

# الافتتاحية

# والله يحكم لا معقب لحكمه

جاءت الشريعة الإسلامية في أصولها وفروعها بمقاصد تشريعية عظمى تنظم الحياة الإنسانية في جميع مجالاتها، والأصل أن لكل حكم شرعي غاية ومصلحة قد شُرِعَ من أجلها، ومن قواعد التشريع المهمة؛ قاعدة اعتبار مآلات الأفعال، التي تهدف إلى تحقيق موافقة الأفعال في الظاهر والباطن والحال والمآل للمقاصد والغايات التي قصدها الشارع، فعند تنزيل الأحكام على الواقع وتطبيقها على الوقائع والمكلفين؛ لابد من النظر إلى المآلات والعواقب التي يفضي إليها ذلك التطبيق لمعرفة التداعيات المستقبلية لتنزيل الحكم الشرعي على الواقعة.

على أنّ هذه الأهمية للمقاصد الشرعية وقيمة النظر إلى مآلات الأفعال، لا تعني معاندة النصوص، والتهربَ من التسليم لأحكام الشريعة حين لا تظهر لنا في بعض الأحكام حكمةٌ أو علة، فإن المسلم الحق كما أنه مأمور بإعمال عقله في فهم النصوص ومواردها وعللها، فإنه كذلك مأمور بالإذعان والتسليم حين لا تظهر له العلل والمقاصد، قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء:٦٥).

وهذه الآية كما ذكر ابن القيم- رحمه الله- في شرح المنازل؛ شملت مراتب الدين الثلاثة، ففيها: مقام الإسلام ومقام الإيمان ومقام الإحسان، فالتحكيم في مقام الإسلام ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾، والإيمان في مقام نفي الحرج ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾، وأعلى من ذلك وأجلّ: تحقيق مرتبة الإحسان وهي التسليم المطلق ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

ولاشك أن من تمام الإيمان وكمال الإسلام إقامة حكم الله وحكم رسوله ﷺ، والالتزام بذلك، فهكذا كان حال المؤمنين من السلف الكرام والصحابة الأعلام رضي الله عنهم أجمعين؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (النور:٥١)؛ فلا اعتراض، ولا تردّد، ولهذا قال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور:٥١)؛ فلا يكون الفلاح إلا لهؤلاء الذين سلّموا لله تعالى ولرسوله ﷺ في جميع أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم، ولم تكن لهم الخيرة فيما يقضي به الله سبحانه ولا رسوله ﷺ.

وقد يكون اختلاف في وجهات النظر، وتدافع في فهم أمر من الأمور، فعند حصول ذلك أمر الله تعالى بالرّدّ إلى الله وإلى الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (النساء:٥٩)، والرّدّ إلى الله هو: الردّ إلى كتابه عز وجل، والردّ إلى الرسول ﷺ هو: الرجوع إليه، بأن يُسأل في حياته، ويُرْجَع بعد مماته إلى سنته، فلا يكون لأحدٍ إيمانٌ تام صادقٌ إلاّ بذلك.

التحرير

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦١

جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

مارس - أبريل ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر: دار الإعلام العربية- ٤ ش الجلاء- مبنى دوحة ماسبيرو- الطابق ٦- مكتب ٦٠٦- تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

**المجلة غير ملزمة**

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

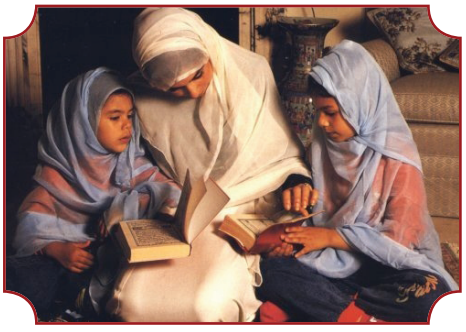
**والمقالات لا تعبر بالضرورة**

عن رأي الوزارة أو المجلة.


## في هذا العدد



الطب النبوي بين الوحي والاجتهاد ١٦



مسابقات في فهم القرآن الكريم ٤٢



نماذج تعليمية حققت النهضة ٨٤

### موضوع الغلاف

وجهات نظر مختلفة ورؤى تجديدية متعددة قيلت وما زالت تقال في مقاصد الشريعة الإسلامية، من أجل الاستفادة منها بشكل أوسع في مجال الحياة العامة للفرد والمجتمع وحتى تسهم في البناء الإيجابي السليم للأمة المسلمة.




## التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ ( ٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة .رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا - شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

### الأسعار

- الكويت: ٥٠٠ فلس
- السعودية: ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سوريا: ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- الجزائر: ٤دينار جزائري
- تونس: نصف دينار تونسي
- المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني
- باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

# المحتويات


| | | |
|---|---|---|
| ٣ | الافتتاحية/ والله يحكم ولا معقب لحكمه | رئيس التحرير |
| ٥ | كلمة العدد/ همسة | التحرير |
| ٦ | سيرة/ صاحب الفراسة المتنورة بالوحي | فتح الله كولن |
| ١٠ | فكر/ مد الإلحاد وجزر فقه الشهود | أحمد عبدالجواد زايدة |
| ١٢ | تراث/ موضحة الطريق إلى صوى مناهج التحقيق | هلال ناجي |
| ١٨ | رثاء/ الخطاط علي بن حامد الراوي | فيصل العلي |
| ٢٠ | حوار / د.سعود عبدالله الغذيان | د. صالح النهام |
| ٢٣ | إصبعي السادسة/ يبغونها عوجًا | عبادة السيد نوح |
| ٢٤ | ملف العدد/ المقاصد الشرعية ضرورة حياتية (مقدمة) | التحرير |
| ٢٤ | ملف العدد/المقاصد من الفقه إلى الحياة | د.مسعود صبري |
| ٢٦ | ملف العدد/ مقاصد الشريعة.. المفهوم والدلالة | د.جاسر عودة |
| ٣١ | ملف العدد/ المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي | عامر أحمد عامر |
| ٣٤ | دراسات/ الفقر رؤية واقعية ٢/٢ | رشيد ناجي الحسن |
| ٣٩ | دراسات/ معالم المنهج الإسلامي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها | د.ماهر رمضان صالح |
| ٤٢ | دراسات/ الطب النبوي بين الوحي والاجتهاد | د.محمود مهدي محمود |
| ٤٦ | دراسات/ ما أحوجنا إلى تصحيح المسار في تدريس علوم الحديث! | أ. د.حمدي عبدالله المليباري |
| ٥٠ | دراسات/استخدام المسك كمضاد حيوي | آمنة علي ناصر صديق |
| ٥٤ | دراسات/ استخدام آيات القرآن في العمران | د.يحيى حسن وزيري |
| ٥٦ | ملف الأدب/ النصح والنصيحة في كتب الأدب | د.محمد المشطاوي |
| ٥٨ | ملف الأدب/ قمة المروءة (قصة) | محمد السعيد الشيخ |
| ٦٠ | ملف الأدب/ الأسواق الشعرية.. طقوس ومعارك ساخنة | صلاح حسن رشيد |
| ٦٢ | ملف الأدب / إسراء لوادٍ غير ذي زرع | أحمد حسن الخميسي |
| ٦٤ | أنباء الكتب/ حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات | التحرير |
| ٦٧ | ملف الأسرة/ المرأة حينما تكون دعاية (مقدمة) | عبدالعزيز العسكر |
| ٦٨ | ملف الأسرة/ مسابقات في فهم القرآن الكريم | دعاء حاتم |
| ٦٩ | ملف الأسرة/ اعترافات خجولة | مليكة محمد الحامدي |
| ٧٠ | ملف الأسرة/ كيف ينمو طفلك معرفيًا؟ | د.أندي حجازي |
| ٧٢ | ملف الأسرة/ قهر الحرمان | أحمد عبداللطيف النجار |
| ٧٤ | حوار/ مع الشيخ المعمر معوض إبراهيم | محمد عبداللطيف |
| ٧٨ | منارات / مكتبة التراث العربي الإسلامي في قطر | تركي محمد النصر |
| ٨٢ | تعليم/ نماذج تعليمية حققت النهضة | هالة عبدالحافظ |
| ٨٥ | طب/ الأطباء ليسوا ملائكة | د.عبدالرحمن النمر |
| ٨٨ | فتاوى الوعي | التحرير |
| ٩٠ | جديد العلوم | هبفاء حسن |
| ٩٢ | بريد القراء | التحرير |
| ٩٦ | ينابيع المعرفة | التحرير |
| ٩٨ | مسك الختام/ التخطيط الإعلامي | تمام الصباغ |


## كلمة العدد

### همسة

الأمانة كلمة عظيمة ومسؤولية جسيمة، فهي ينبوع السعادة ومصدر الفلاح، من اتصف بها، قولًا وعملا، فقد أوتي خيرًا كثيرًا، ومن فرط فيها خسر خسرانًا مبينًا في دنياه وآخرته.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

والأمانة كلمة واسعة الدلالة شاملة لكل جوانب الحياة ومن طبيعة المؤمن أنه صادق أمين في عبادته وسلوكه وأخلاقه وفي تعامله مع الناس وفي أدائه لوظيفته وعمله وفي أقواله وأفعاله، وفي كل ما اؤتمن عليه.

لقد كانت الصفة المثلى واللقب الأول الذي عرف به النبي الكريم ﷺ قبل بعثته «الصادق الأمين»، والأمة لا تزال بخير ما لم تر الأمانة التي تؤتمن عليها غنيمة لها قال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنمًا والصدق مغرمًا».

إن التعدي على حقوق الآخرين المادية أو المعنوية أو الفكرية بقصد كسب المال لا يعد شطارة كما يظن بعضهم بل هو خيانة للأمانة، حري بالمؤمن أن ينأى بنفسه عنها حتى لا يخرج من فئة المؤمنين الصادقين الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والله الهادي إلى سواء السبيل.

**التحرير**

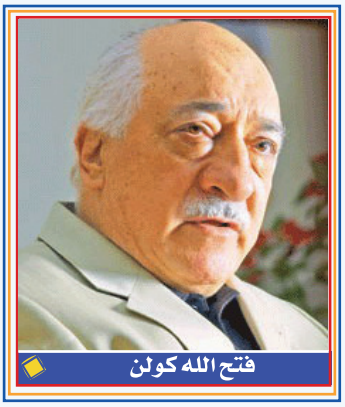
## الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

# صاحب الفراسة المتنورة بالوحي (١-٢)

**إن حصول أي قائد على ثقة جماعته وأتباعه مرتبط بحصوله على قبولهم له ورضاهم عنه من كل جانب من جوانبه ونظرهم إليه كشخص موثوق يمكن الاعتماد عليه. وهذا متعلق بقدرته على حل جميع مشاكل هؤلاء الأتباع سواء أكانت فردية أم عائلية، اجتماعية كانت أو اقتصادية أو سياسية. وكلما كان هذا القائد موفقًا في حله لهذه المشاكل كلما زاد قبوله من قبل أتباعه وزادت محبتهم وتقديرهم وتوقيرهم له، وأصبح لهم رمزًا أبديًا، وكان رسولنا محمد ﷺ قائدًا للإنسانية لا شبيه له في حل مشاكلها ومعضلاتها.**



فتح الله كولن

هناك بديل لحل المشكلات، وهو اللجوء إلى الضغوط وإلى استخدام القوة وسن العقوبات والطرد من البلاد وحرمان الشخص من حقوق المواطنة وفتح أبواب السجن على مصاريعها وتطبيق صنوف التعذيب وبث العيون والجواسيس بين الناس وإشاعة جو من الإرهاب والفزع بين المواطنين... لن تستطيع حل أي مشكلة بهذا الأسلوب.. لا تعجز فقط عن حل المشكلات بل ستتسبب في خلق تعقيدات عديدة وهزات عنيفة في المجتمع، لذا فهذا ليس أسلوبا للحل وإن كان البعض يتصوره طريقا ناجحا في حل المشكلات، إلا أنه في الحقيقة طريقا لإثارة المشكلات ودخول إلى دائرة مفرغة، وبينما تفرح لاعتقادك أنك حللت كل شيء، إذا بك تفاجأ بتعقيدات لم تخطر لك على بال. وعندما تتشكل مثل هذه الدائرة المفرغة فإن كل حركة تتحركها تغرقك في الوحل أكثر فأكثر حتى تكسر هذه الدائرة.

بينما قام رسول الله ﷺ بحل جميع المشكلات والمعضلات بكل سهولة ويسر دون أن يدخل داخل هذه الدائرة المفرغة ودون أن يستعمل الضغوط والإرهاب والقوة، بل أخذ الإرادة الإنسانية الحرة بنظر الاعتبار واحترمها. ولو أخذت هذه الناحية فقط بنظر الاعتبار دون النظر إلى حالاته الخارقة للعادة ودون النظر إلى معجزاته العديدة لآمنت بأنه رسول من عند الله.. أجل، إنه رسول الله لا غير.. وإلا كيف يمكنه حل كل هذه المشكلات؟ كيف كان يمكنه هذا مع أنه نشأ في مجتمع كان يثير المشكلات لأتفه الأسباب، وتنشأ بينهم الخصومات الدموية لأحقر الأمور وتشتعل الفتن لأهون الأشياء.. مجتمع غارق في البداوة والضلالة والطغيان والظلام، لقد وضع الله تعالى عبء إرشاد مثل هذا المجتمع على كاهل النبي ﷺ. يقول القرآن الكريم:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ (الحشر: ٢١). فهذه الآية تشرح كيف أن هذه المهمة التي أعطيت للرسول ﷺ لو أعطيت للجبال لتصدعت من جرائها.. أجل، لقد كانت المهمة شاقة وصعبة إلى هذه الدرجة، ولاسيما في ذلك المجتمع البدوي والبدائي الغارق في الضلالة، فتناول الرسول ﷺ مشاكل هذا المجتمع مشكلة مشكلة ومعضلة معضلة وبدأ بفك عقدها وحل مصاعبها، فأوصل هذا المجتمع إلى شاطئ الاطمئنان وإلى ساحل السلامة.

لقد صنع من هذا المجتمع مجتمع أمن وطمأنينة إلى درجة أنك لن تستطيع رؤية مثل ذلك المجتمع إلا في الكتب التي تصف المدن الفاضلة ككتاب أفلاطون (Platon) «الجمهورية»، وكتاب «توماس مور (Thomas More)» «يوتوبيا» وكتاب كامباناللا (Campanella) «مدينة الشمس»، لقد كتبت كل هذه الكتب بأمل البحث أو بدافع الشوق إلى مجتمع مثل المجتمع الذي أنشأه الرسول ﷺ.. لندع هؤلاء يتجولون في أودية الخيال ولننظر إلى الرسول ﷺ الذي أنشأ قبل قرون مجتمعًا أزال منه الجوانب السلبية الموجودة حتى في هذه المجتمعات المثالية والخيالية، وجعله مجتمعًا مثاليًا يبرق في السماء بريق النجوم ليهتدي به من يأتي من بعده، فمن اهتدى بهذا النجم اهتدى إلى الحق وملأ الاطمئنان قلبه، ونحن نرى هذه الحقيقة في أيامنا الحالية بكل وضوح، ونفهم أن مجتمع الصحابة كان مجتمعًا حقيقيًا وواقعيا، ونطمح في أيامنا القادمة السير نحو ذلك المجتمع النوراني.

لو لم يقم الرسول ﷺ بحل جميع مشاكل ومعضلات إنسان ذلك العصر، أكان من الممكن ظهور الصحابة الذين هم

مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب



## القوة والعقوبات لا تعجز فقط عن حل المشكلات بل تعقد الأمور وتزعزع المجتمع

فخر الإنسانية؟ كلا بالطبع. ولكن هل كان الرسول ﷺ يحل كل هذه المشاكل بعقله الخاص فقط؟ كلا بالطبع. ونضيف فنقول إن الله تعالى وهب له فطنة نبوية، أي فطنة ينورها الوحي بحيث استطاع بهذه الفطنة أن يحل جميع المشاكل بكل يسر، وهذا من أدلة نبوته وهي منطلق بحثنا هذا. والآن لنتعرض لبعض الأمثلة في هذا الخصوص:

**أ- التحكيم حول الحجر الأسود**

كان الناس في ذلك العهد يراجعونه ليحل لهم مشاكلهم المتعددة، وعندما بدئ بترميم الكعبة -الذي شارك فيه شخصيًا- كان وضع الحجر الأسود في مكانه مشكلة قابلة للانفجار بين القبائل العربية قد تؤدي إلى إراقة الدماء، وكان من الواضح أن المشكلة إن لم يتم حلها في ظرف يوم أو يومين فإن الحرب آتية دون ريب، وكما قلنا سابقًا إن الرسول ﷺ إن لم يحل هذه المشكلة بوضع الحجر الأسود في مكانه بطريقة يرضى عنها الجميع؛ لنشب نزاع دموي، وكما هو معلوم فقد وضع الحجر الأسود في ثوب ودعا زعماء القبائل إلى الإمساك من أطرافه وحمل الحجر الأسود جماعيًا، وعندما اقتربوا من مكان الحجر الأسود رفعه بيديه ووضعه في مكانه.

هذه الحادثة -التي لا ندخل في تفاصيلها- تبين لنا كيف أن الرسول ﷺ كان حتى قبل نبوته صاحب فطنة كبيرة.

عندما قام بهذا التحكيم كان عمره يتراوح بين العشرين وخمس وعشرين، أي قبل أن يتشرف بالنبوة ويتأيد بها، وقبل اكتسابه أعماقًا أخرى وقبل انفتاح أبواب اللانهاية أمامه وقبل بدء تلقيه الدروس من ربه. ولكن حتى قبل أن يأتيه الوحي، كان قد احتلّ - بالإلهامات التي كانت ترد إلى قلبه - مكانة في القلوب إلى درجة أن كفار قريش ما أن رأوه داخلًا من باب المسجد حتى هتفوا فرحين: هذا الأمين.. رضينا.. هذا محمد» (١) جاء وحلّ تلك المشكلة.

أجل، حل تلك المشكلة دون أن يفكر طويلًا أو ينتظر أو يأخذ رأي فلان أو علان أو يبحث في الأمر مليا.. حلها ببساطة وكمن يسل شعرة من عجين، كان ذلك أمرًا بسيطًا بالنسبة إليه، ولم يعترض أحد عليه، وما كان بإمكانه أن يعترض، ذلك لأنهم عينوه حَكَمًا لهم، وقام هو بوظيفة الحكم خير قيام، دون خطأ أو تعثر أو تردد، وأرضى الجميع.

لم يخط في حياته خطوة إلى الوراء أبدًا، لأنه كان صاحب فطنة كبيرة يفهم ما يُلقى إليه من ربه حق الفهم.. كانت فطنته هذه مثل برعم زهرة تفتحت، وكلما تفتحت تلونت وابتسمت في الوجه العابس للإنسان.. هذا الإنسان المليئة حياته بالمشاكل وبالرغبات غير المشبعة.

وقد تتصور أن أبعاد عظمته قد انتهت، أو أنك أحطتَ بها، ولكن هيهات.. فعلى قول الشاعر المتصوف «يونس أمره» إنه برعم في داخله براعم أخرى.

أجل، لقد راجعه الآخرون طوال حياته السنية، ولم يَرُدّ هو أحدًا راجعه حزينًا أو مهموما، بل قام بحل مشاكله. فمنذ البداية قام بحل مشاكل قومه الذين كانوا مهيئين لإثارة المشاكل والفتن على الدوام.. كانوا يثيرون المشاكل، وكان يقوم بحل تلك المشاكل واحدة تلو الأخرى.

كانت الهجرة مشكلة قائمة بحد ذاتها.. مشاكل الحرب والنزاع والسلام، مشاكل المنافع والمصالح المادية مشاكل الغنيمة. ولو لم يستطع الخروج من بين هذه المشاكل، لكان من المحتم دخول قومه المحبين للجدل والنزاع والخصام في نزاعات دموية فيما بينهم.

**ب- تقسيم غنائم حُنين**

وأشرنا إلى هذه الحادثة أيضًا وإلى حكمته البالغة وبُعد نظره وفراسته المرهفة في منع وقوع فتنة بين المسلمين وأوردنا خطابه الرائع الذي شرح لهم فيه كيف أنه تألف بهذه الغنائم قلوب زعماء قريش وأنه وكلهم إلى إسلامهم، وأن هذه الغنائم ليست إلا لعاعة من لعاعات الدنيا الفانية وأنهم الرابحون حقًا لأنهم سيرجعون برسول الله ﷺ معهم، ثم دعا لهم ولأولادهم ولأحفادهم. ففتح ببيانه الرائع قلوبهم حتى بكوا واخضلت لحاهم بالدموع. (٢) وهذا مثال من أمثلة فراسته وفطنته وسرعة بديهته. ولا نفصل هنا هذا الموضوع فقد سبق وأن شرحناه ببعض الإسهاب.

**ج- مشكلة الهجرة**

تُعد الهجرة مشكلة على الدوام، وهي تقع في أيامنا الحالية أيضًا، (٣) ونرى كيف أن دولتنا بدأت تقاسي الأمرين من جراء هذه الهجرة، وقد أظهرتُ قلقي في عدة خطب، وقلت إن هذه نتيجة مؤامرات تحاك في الخارج وتوضع كتمثيلية على مسرح تركيا.. وغدًا سيفتحون بابًا للنفاق في الشرق وبابًا للشقاق في الغرب، وفتنة في الشمال وأخرى في الجنوب، يستطيعون فتح هذه الأبواب، ذلك لأن الكفار والظالمين ومنافقي آسيا متهيئون على الدوام لفتح أبواب الغوائل أمامنا. وكانوا قد انتهزوا فرصة ضعفنا في السابق فأزالوا الدولة العثمانية التي كانت عنصر توازن دولي آنذاك، ولو لم تلتجئ الأمة في النهاية إلى معاني روحها وإلى جذور عقيدتها في معركة «شنق قلعة» وفي «حروب الاستقلال» لما كانت هذه الأمة قائمة وموجودة اليوم، بل لتضرر العالم الإسلامي كله من هذا الأمر، ولكن فدائيي «شنق قلعة» و«حرب الاستقلال» استطاعوا تسخير القوى الديناميكية الموجودة في روح هذه الأمة والتي تنبع من عقيدتها ومعنوياتها واستعانوا بالله تعالى فأنقذوا هذه الأمة من أن يكون مصيرها مثل مصير بلغاريا أو مصير تُرْكِسْتان أو أوزبكستان أو مُنغوليا (Mongolia)... وندعو الله تعالى أن يمكن هذه البلدان أيضًا من كسر سلسلة العبودية التي تطوق أعناقها (٤) وأن يمكنهم من محاسبة خصومهم ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠). فإذا كانت الأيام متوجهة نحو أعدائهم اليوم، فقد تدبر عنهم غدا، وقد تغشى الابتسامة والانشراح في المستقبل هذه البلدان المظلومة البائسة.

أجل، إن الهجرة مشكلة قائمة بذاتها وما ذكرناه باختصار عن الهجرة الحالية التي وضعت أمة تعدادها ٥٥ مليون نسمة وحكومتها في وضع حرج وصعب مثال واضح، غير أن الهجرة التي حدثت آنذاك كان عدد أفرادها يكاد يقترب من عدد أهل المدينة ولكن النبي ﷺ استطاع بفطنته أن يجنب الذين هاجروا سواء إلى الحبشة أو إلى المدينة من الضوائق المادية. وإضافة إلى تخطي المتاعب الدنيوية فقد تحققت نتائج جيدة، والحقيقة أنه لا توجد هجرة في تاريخ العالم تحققت بهذا النجاح الذي تم على يد رسول الله ﷺ فكيف حل الرسول ﷺ هذه المعضلة الكبيرة؟ لنشرح هذا بعض الشيء دون الدخول في تفاصيل كثيرة:

كانت يثرب مدينة صغيرة يعمل أهلها في الزراعة، لذا فقد كانت سوقها في يد اليهود، صحيح أن المهاجرين من أهل مكة كانوا يجيدون التجارة إلا أنه لم يكن عندهم الرأسمال اللازم للتجارة؛ ومن ثم فما كان يمكنهم منافسة اليهود، فكيف كان بإمكانهم التعامل بالتجارة وقد تركوا كل أموالهم وأملاكهم في مكة؟ ثم إن أعداد المهاجرين كانت في تزايد مستمر، وكانت نفوس أهل المدينة في تصاعد سريع، فأين يستقر هؤلاء ومن أين يأكلون ولاسيما أن أهل المدينة فقراء.. كانت المشاكل تتراكم وتزداد وتنتظر كلها الحلول من الرسول ﷺ. كان الجميع يتطلعون إليه ويثقون بقدرته على حل هذه المشكلات جميعها، وفعلًا قام بحلها بضربة واحدة.

ما أن حل الرسول ﷺ في المدينة حتى آخى بين المهاجرين والأنصار، فقد نفخ في أرواحهم روح آصرة أخوة أقوى من أخوة النسب وأبعد منها مدى، إلى درجة أنهم توارثوا لفترة من الزمن. (٥) كانت هذه الأخوة قوية إلى درجة أن الأنصار قسموا أموالهم قسمين وأعطوا قسمًا منها إلى المهاجرين، حتى لقد بلغت هذه الأخوة مرتبة جرت فيها هذه الحادثة التي تذهل العقول:

جاء في رواية ينقلها البخاري أن المهاجرين عندما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع،الذي قال لعبدالرحمن: إني أكثر الأنصار مالًا فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط (٦) وسَمْن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ: «مَهْيَمْ» (٧) قال: تزوجت، قال: «كم سقتَ إليها؟» قال: نواة من ذهب. (٨).

أي أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أسرع بالزواج حالما توفرت له فرصة إعالة بيته، وهذا نوع من الاحترام لمشاعر الذين كان يتردد على بيوتهم، ومثال على رهافة الحس ورقة الروح والذوق.

لاشك أن أعظم المشكلات تذوب أمام هذه الأخوة؛ فهؤلاء المضحون الذين ارتبطوا ببعضهم بمثل هذه الرابطة القوية كانوا هم المرشحين لفتح العالم؛ وروح الأخوة التي كانت ترفرف في سماء المدينة سيأتي يوم تحلق فيه على أرجاء العالم كله.

**١. نزاع بين الاستغناء والكرم**

كان رسول الله ﷺ جالسًا وحده فدخل عليه بعض زعماء المهاجرين بعد الاستئذان منه.. لم يكن بينهم أحد من الأنصار، وكان هذا جالبًا للانتباه، فلماذا أتى المهاجرون ولم يدعوا معهم أحدًا من الأنصار؟

وبعد الاستئذان من الرسول ﷺ عرضوا عليه ما جاءوا من أجله فقالوا: «يا

رسول الله! ما رأينا قومًا أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة (٩) وأشركونا في المهنأ (١٠) حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله». فقال النبي ﷺ: «لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم» (١١).

كانت هذه هي الأخوة التي نفثها رسول الله ﷺ في قلوب أصحابه، وهذه هي الأخوة التي جعلت منهم جسدًا واحدًا، فالأنصار كانوا يحبون أن يبقى المهاجرون في بيوتهم، لأن فراق هؤلاء الإخوة كان شيئا مؤلما ألم الموت، فمع أنهم كانوا يلتقون بهم خمس مرات في اليوم في المسجد إلا أن فقدانهم لهم في غرف بيوتهم وفي وجبات الطعام التي تقاسموها معهم كان يحزّ في نفوسهم..

أجل، كان هناك استغناء من طرف وكرم ومروءة وتضحية في الطرف الآخر وكان كلا الطرفين يصرّ على موقفه، وأخيرا توصل الطرفان إلى اتفاق يقضي بأن يقوم المهاجرون بالعمل في مزارع الأنصار مقابل أجرة، وهكذا يستطيعون إعالة أنفسهم ويسكنون في مساكن مستقلة بهم ولا يبقون تحت منة أحد، وهكذا ساعد الأنصار المهاجرين باستخدامهم في العملن وهكذا حل الرسول ﷺ مشكلة الهجرة على نطاق كبير بشعور الأخوة الذي أسسه في المدينة (١٢).

وكانت المشكلة الثانية التي حلها هي التجارة، فقد رأى الرسول ﷺ أن اليهود هم المسيطرون على الحياة التجارية في المدينة، فأصدر أمره بتأسيس سوق للمسلمين في مكان آخر (١٣) لكي يتعاطى المسلمون عمليات البيع والشراء فيما بينهم في سوقهم الخاصة بهم من أجل أن يدخل المسلمون إلى عالم التجارة ويزدادوا قدرة وقوة ويؤسسوا محالهم التجارية الخاصة بهم ويقضوا على هيمنة غير المسلمين على السوق.

أسست سوق جديدة وبدأ المسلمون يتعاطون البيع والشراء فيما بينهم فنرى كتاب المغازي ينقلون بأنه لم يمر وقت طويل حتى عجز اليهود عن مواصلة التجارة في المدينة المنورة. أجل، فلم يعد باستطاعة أحد منافسة المسلمين تجاريًا في سوق المسلمين. وهذا ما كان الله تعالى يريده.. فالله تعالى لا يريد من المسلمين أن يكونوا تابعين لأحد.. إن الله لا يرضى لنا أن ننتظر الأوامر الصادرة من الآخرين ولا أن نلتجئ للآخرين ونرجو منهم أن يحلوا لنا مشاكلنا ونستعطفهم قائلين: نرجو ونتوسل منكم أن تحلوا لنا المشكلة الفلانية.. هذا لا يرضاه لنا، يجب أن يكون المؤمن عزيز الجانب واقفًا على قدميه ينجز أعماله بيده ويحل بنفسه مشاكله، ويرى بعينه لا بعيون الآخرين ويعيش حسب معتقداته ويحافظ على أصالته.. وهذا ما أسسه الرسول ﷺ في المدينة.

### ٢. أول دستور

ما أن وصل الرسول ﷺ المدينة حتى نشر بيانًا (١٤). ويطلق المتخصصون في القانون اسم «دستور رسول الله ﷺ» على هذا البيان الذي أعلنه بعد وصوله إلى المدينة بوقت قصير. ففي هذا البيان أو هذه المعاهدة نرى وجود أسس معظم ما جاء في بيان حقوق الإنسان وفي «فرمان التنظيمات» عندنا. فالحقوق التي تعهد بها للمسيحيين واليهود ساعدت على إرساء وحدة بين أهل المدينة وقربهم إليه وأبعدهم عن خصومه من البيزنطيين والساسانيين والقرشيين. لذا، عاش اليهود مدة تحت جناح المسلمين بكل اطمئنان وراحة وأمن. وقد عبر المنافق المعروف عبدالله بن أُبَيّ بن سَلول عن قلقه أمام قريش فقال إنه لا يخشى قيام الرسول ﷺ بنشر دينه في المدينة. ولكن الخطر هو قيامه بجذب اليهود والنصارى إلى جانبه وضد المشركين.

وقد أصبحت هذه المعاهدة أو هذا البيان أو الدستور مدة طويلة سببًا في إرساء الصلح والأمن بين المسلمين واليهود حتى نقضها اليهود. وكان اليهود يراجعون الرسول ﷺ ويرضون به حكمًا.

أجل، إن كتب الحديث تبين لنا أنهم راجعوه في قضايا السرقة والقصاص والزنا، ونعلم من هذا أن المسلمين وإن أوكلوا شؤون اليهود إليهم وجعلوهم أحرارًا فيها إلا أن اليهود كانوا يرون في المسلم ولاسيما إن كان هذا رسول الله ﷺ عدالة أكثر وقابلية أكثر، لذا كانوا يراجعونه ويجعلونه حكمًا في كل مسألة. وهذا المصدر والنبع القدسي الذي سيصبح في المستقبل مرجع الإنسانية كلها كان قد أثبت مرجعيته بدءًا من تلك الأيام.

وهكذا حل الرسول ﷺ مشكلة الهجرة بضربة واحدة ليتفرغ المسلمون للتوجه نحو العالم أجمع باطمئنان قلب.

### الهوامش

١- المسند، للإمام أحمد ٤٢٥/٣؛ السيرة النبوية، لابن هشام ٢٠٩/١

٢- البخاري، المغازي، ٥٦؛ مسلم، الزكاة، ١٣٢-١٣٥؛ السيرة النبوية، لابن هشام ١٤١/٤-١٤٢

٣- فقد سيق مثلا (٣٠٠) ألف أخ من إخواننا في الدين والقومية إلى الهجرة من بلغاريا إلى تركيا في سنة ١٩٨٩ ووقعت في أثناء هذه الهجرة مآسٍ وفواجع عديدة.

٤- قال المؤلف هذا قبل انهيار الاتحاد السوفييتي. (المترجم)

٥- انظر إلى تفسير هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٥) من تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٢/٤-٤٣ والدر المنثور، للسيوطي ١١٧/٤-١١٨

٦- أقط: نوع من الجبن. (المترجم)

٧- مَهْيَمْ: أي ما حالك؟ أو: ما شأنك؟ (المترجم)

٨- البخاري، مناقب الأنصار، ٣

٩- أي تحملوا عنا مؤنة الخدمة في عمارة الدور والنخيل وغيرهما. (المترجم)

١٠- المهنأ: ما أتاك بغير تعب، والمعنى: أشركونا في ثمار نخلهم. (المترجم)

١١- الترمذي، القيامة، ٤٤؛ المسند، للإمام أحمد ٢٠٠/٣، ٢٠٤

١٢- البخاري، مناقب الأنصار، ٣

١٣- ابن ماجه، التجارات، ٤٠؛ مجمع الزوائد، للهيثمي ٧٦/٤

١٤- السيرة النبوية، لابن هشام ١٤٧/٢ من كتاب النور الخالد للكاتب.

# مَد الإلحاد وجزر فقه الشهود!

أحمد عبدالجواد زايدة

**مُنذ ما يزيد عن ثلاث سنوات تعرفت عليه، وكانت معرفتي به معرفة جيدة لأنه نوعية ليست كالمعتادة من الأصدقاء.. كان حديث البعض عنه أنه متمرد بشدة وأنه حاد في نقده! ولم يكن لدي بأس في هذا.. بدأت العلاقة به تتوطد، وكان حريصًا على السؤال والمناقشة وكان العقلان متطلعين إلى أسئلة بعيدة.. لكن في حدود! كان يحمل في قلبه همًا أحسب أنه هم صادق ونبض وهاج؛ ولطالما تحدثنا في الهموم العامة لساعات! وكان يُرسل إليّ برسائل في بعضها فلسفة عميقة! بعد فترة بدأت ألمس في كلامه نفسًا تشكيكيًا أو قُل مُتحيرًا في الإجابة أو استنطاق الأسئلة الوجودية البديهية- والتي لها في القُرآن خير جواب .**

في فترات مُتلاحقة بدأنا ندخل في أسئلة جدية عن الآخرة والقبر.. وأحيانًا نذهب إلى ما هو أبعد.. وأبعد.. كثيرا! كان يهتم بكتابات من عُرفوا بالتمرد الشديد الذي يتجاوز الحد الحسن! ولم يكن بناؤه المنهجي التكويني يسمح له باختراق مساحات كتلك! لكن نداء العقل والوجدان كان يذهب إلى هناك، وهذا نداء لا يستأذن ولابد له من مُجيب! والله هو العاصم سُبحانه! مع ذلك.. كان يقرأ لبعض من عُرف من المُفكرين ذوي الخلفية الإسلامية أصحاب الرؤى الناضجة ويُثني وينتقد! ثم تطور الأمر إلى «أنهم جيدون.. لكن أنا خارجهم»، لكنهُم شيء وأنا شيء! إذن.. ماذا تُريد؟! «الإجابة: لا شيء.. عدمية وتفكك وتفسخ» ويزداد الأمر سوءاً كلما انضم واجتمع مع غيره من أصحاب الهوى! مررنا بمراحل صدام تتخلل مراحل حوار وتوافق واختلاف! كُنا حين نتحدث أنه «مُنكر للسنة»! أتعجب! ما مفهومك عن السنة؟ وماذا تقصد بأحاديث الآحاد! فلا يكون هناك جواب! لكن كُنت أتفهم جزءاً لا بأس به مما يحدث له عبر تجارب عديدة مرت بها هذه النوعية من خلال معايشتها لتجارب فاشلة فكريا وتجريبيًا وأخلاقيا! وكُلهم يدعي وصلًا بليلى.. وليلى تندب حظها ليلًا ونهارا! لكن أمثال هؤلاء كانوا يحملون في نفوسهم هما صادقا نحو إصلاح أحوال البلاد! سألته مرة عن الآخرة والقبر؟ فقال انا مهتم بشؤون بلادي وموجه كل طاقتي لإصلاح أحوالها! فقلت له: بل استعن بهذه على تلك! فهذه فلسفة وجود! كان يُجيبني: معركتي في الدُنيا وليست في الآخرة! فأُجيب: بل نستعين بالآخرة وبالروح وبالإيمان على هدم طاغوت الشيطان وصنم الاستبداد! لربما كانت مشكلة أمثال هذه النوعية أنهم افتقدوا مثالًا مُتزنا (إنسانا) لا يحمل في عقله جمودا وفي روحه خمودا وفي أخلاقه مواتا وفي مروءته نقصا! فلم يجدوا من يمسح على وجدانهم ويُبرئ بحكمته عقولهم! فحادوا عن الجادة ذات اليمين وذات الشمال! وأشهد أنهم مرارا أرادوا أن يتعلموا ويسألوا! أذكر أنني ذهبت في زيارة لدولة مجاورة وفتحت الحوار مع أحد المفكرين فقال لي «هؤلاء يهربون من معركتهم مع الاستبداد ويخلقون لأنفسهم ساحة معركة بديلة.. أسهل»!؛ كانت حُجة مُتكررة من حُججهم أنهم يقولون: لو كان الله موجودًا وقدرته نافذة لمحا الاستبداد والظلم الذي يقهر هؤلاء المظلومين! فنتحدث عن سُنن الله وأنها لا تُحابي أحدًا! وأن الحق لو قام له رجال لمحقوا الباطل ولأيد الله لهم قوته ونصرهم! لكن طالما الجميع أمواتا فسنة الله أنه لا يُساعد إلا من يسعى ويجتهد ويبذل

**تحصين الأمة من الأفكار الهدامة والنفوس المريضة لا يكون إلا بالتنزيل المقاصدي للشريعة وبتداول الفقه السنني القرآني ونشره**

باحث في الأزهر الشريف

كل ما في وسعه للوصول الى هدفه! إن أمثال هؤلاء عاشوا بين نيران! نار الجهل التي اتسم بها عدد غير قليل (من الوعاظ) – لذا فإن كثيرا منهم لم يكن يُصلي الجُمعة أساسا سخطاً على خطبة الجمعة!– ونار الظلم المُجتمعي الذي عايشوه ورأوه! ونار عدم وجود– أو على الأقل اطلاعهم على الفقه العُمراني والحضاري المُحقق لشهود هذه الأمة– فأنتج هذا النتائج! إن تحصين الأُمة من مثل هذه الأفكار بل «هذه النفوس» لن يكون إلا بالتنزيل «المنهجي» «المقاصدي» للشريعة؛ وبالنشر المنهجي للفقه بمعنى الصناعة الكلية! وبتنزيل وتداول الفقه السُنني القُرآني في الأُمم والأفراد وأُسس صناعة الحضارة وإقامتها وبنائها! حين ننتج خطابا وإن كان وعظياً لكنه يحمل في طياته نفسًا حضاريًا رساليًا يهتم ببناء الإنسان والعمران والسلطان! يضع الإنسان في مكانته بين الجماعة، والجماعة في مكانتها ودورها في الكون! هو خطاب يخاطب هذا الإنسان.. يُعلمه.. «من أنت.. أيها الإنسان.. الإنسان»؛! إن نفرًا من أصحابنا يتجهون لليسار وأفكار اليسار والتشكيك في بعض «الثوابت» الحقيقية ولا أعني هُنا الثوابت «بالمعنى التنظيمي اللامنهجي الذي يصل في بعض الأحوال للاعلمية»! وللأسف الشديد أن عددا غير قليل منهم قد خرج من عباءة التنظيمات الإسلامية كردة فعل على تواضع خطابهم ومواقفهم وبرامجهم وتطبيقاتهم! والآخر كذلك يتجه لليمين.. وينظرون إليه على أنه هو.. الحل! ولو يعلم أصحابنا ما لدى أهل الحق من كنوز ودُرر مُخبئة لا تتداول على المنابر والمقاهي فتصوغ وجدان المُجتمع.. وهو شريعة وعقيدة لم تصل إليها العقول بعد تركيبها وعبقريتها، لا أحسب أن الوقت ومروره في صالح من يحملون الهم لمدافعة هذا.. على المستوى التكويني الخاص وعلى المستوى التداولي العام لهذه الأفكار في المُجتمع لصياغته وبنائه وتحصينه! إن جيلاً من المُنهجين علميًا المدعومين روحيًا المُلهمين بنور الحق وشعاع الحكمة واجب تكوينه وجوبًا عينيًا– هو جيل تخرج على موائد القرآن والسنة ودرس الفقه وتشربه وتأمله وتربى على نظريات المصالح فدرس ابن تيمية في الفتاوى ومر على ابن عبدالسلام في «قواعد الأحكام» وعرَّج على الشاطبي في «موافقاته» فتشرب المقاصد من منابعها؛ ودخل في أعماق القرافي وفروقه وإحكامه فتحصن عقله؛ ومرَ على الفقه السُنني والعُمراني عبر بوابة ابن خلدون وابن نبي وإقبال وعبدالكريم زيدان! ودخل في بحار ابن عاشور عبر مقاصده وتحريره وتنويره.. فأضاء واستضاء! هذا جيل ينهض ويقود.. ولو كان من الأخفياء الأتقياء! هذا جيل يُبنى ليبني أُمةً! يا أُمة الشهود.. عارٌ أن تُؤتى الأُمة من هذا الجانب! فنُضيع ما أُنيط بهامتنا! ونحن أُمة لن تُستبدل ولكن إن تأخرنا سُنؤدب ونُعذب! فالله الله في ما به كُلفنا! هذا واجب أهم من السياسة والمناكفات والصراعات! هذا من واجب الوقت.. والأُصوليون– رضي الله عنهم وطيب ثراهم– قالوا قديمًا «لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة»! فهل من مُجيب وهل من مُلب وهل من دافع ناشر! ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.. فاشهد.. فاشهد! اللهم أحيينا مُسلمين وأمتنا شُهداء صادقين واحشرنا في زُمرة النبيين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا.. والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل وإنما الموفق من وفقه الله.. فستذكرون ما أقول لكم وأُفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

**جيل المنهجين.. تخرج على موائد القرآن والسنة ودرس الفقه على نظريات المصالح وشرب المقاصد من منابعها الأصلية**

# موضحة الطريق إلى صوى[1] مناهج التحقيق

الأستاذ: هلال ناجي -رحمه الله-

هذه منظومة رائعة سابقة في بابها، نظم فيها صاحبها الأستاذ هلال ناجي رحمه الله «أصول تحقيق النصوص التراثية» وهي جامعة لكثير من المباحث التي يحتاج إليها المشتغلون بتحقيق الكتب والمخطوطات التراثية، وقد نُشرت في مجلة «المورد»، المجلد الخامس عشر، في العدد الثالث سنة ١٩٨٦م.

اعتاد العلماء منذ القدم على تصنيف متون في شتى العلوم والفنون، اعتُبرت السبيل الأمثل لتقييد تلك العلوم وحفظها، وقد سلك المصنفون سبيلين لهذا الغرض.. الشعر والنثر.

ولقد امتازت المتون الشعرية بسهولة الحفظ، ومنها هذه المنظومة الرائعة التي اهتمت بوضع قواعد لتحقيق النصوص التراثية يسهل حفظها والاستشهاد بها.

## المدخل

لما أتى لأوروبا أن تنهضا
ونشرت شراعها المفضّضا
أقامت النهضة في قرنين
على جليل لاح في أُسَّين
أس به صنّعت الترابا
وآخر أحيت به الآدابا
وكان لليونان واللاتين
إرث من الآداب مذْ قرون
ظلَّ دفينا بعدهم أحقابا
والجهل غولٌ ضاربٌ أطنابا
فكانت النهضة في تأصيله
وبعثه حيًّا وفي تسهيله
ووضعوا قواعدًا في النشر
هي المنارُ لقيام الحشر
لكنها إن أنصف النقاد
بعض الذي جاء به الأجداد
وأقبل المستشرقون الفضلا
يحيون من تراثنا ما أهملا
فطبقوا قواعد الإحياء
وأصَّلوا النصوص في رواء
«لبودة» و«ريتر» الألماني
فضلٌ على تراثنا الإنساني
إذ طبَّقا في قرننا القواعدا
تطبيق من قد أتقن الفوائدا
وكانت النشْرات في نهجين
نهْج فرنسي بدون مَيْن
وآخر أبدعه الألمانُ
وهم به الحداة والفرسانُ
كانت لهم ريادة التحقيق
في عصرنا ورائع التدقيق
وشان بعضًا منهم التعصبُ
وذاك داء للنُهَى مخرِّب
لكنهم في الأغلب الأعم
الرادة الذادة في المهم
قد طبقوا الأصول والدقائقا
وجدَّدوا من أجلها الطرائقا
و«كارل» مبتدع التخطيط
في رصد كلِّ أثَرٍ مخطوط
أول من دلَّ على الدفين
في العلم والآداب والفنون
حتى غدا كتابه المفهرسُ
دليل بحث قبله لا يُنبَسُ
فإن تشأ أن تعرف الدفينا
من أثر قد جاوز القرونا
فلتقرأ الكتاب في إمعان
بحثا عن المخطوط في المظان
ففيه تلقى الأصل والمختصرا
وشرحه ورقمه المبتكرا
وجاء بعد جهده المُخلَّد
«سزكين» في تصنيفه المجوَّد
فاستكمل الصورة والأطبارا
فنحن في الحق له أسارى
لكنَّ ما جاء به الإثنان
مازال دون مطمح الفنَّان

(١) صُوَى ج: صُوَّة، وهي حجر يكون علامة في الطريق، وقيل: الصوى الأعلام المنصوبة المرتفعة في غِلَظ، وفي الحديث: «إن للإسلام صُوىً ومنارًا كمنار الطريق». لسان العرب- مادة: (صَوي)

«ففهرس الفهارس» المطلوبُ
هذا الذي ترنو له القلوبُ
مازال بعدُ مطلبًا عسيرًا
وهدفا يستشرف المصيرا

## المصنفون في قواعد التحقيق والنشر

«لراشرٍ» كان بلا اختلاف
ريادة للركب في المطاف
وبعده «هارون» في الذي وَضَعْ
وخلفه «مُنَجِّد» بما ابتدع
ولابنة الشاطئ فضلٌ طائلُ
ومثلها «شوقيُّ» وهو الفاضل
وللأديب مصطفى الجواد
أماليا تقصر عن مراد
وصنَّفَ العانيُّ والقيسيُّ
سِفْرًا به الأصيل والطَلليُّ
فيه الأصول والفروع في رتب
فعُجْ عليه دون ريث في الطَلَبْ
فإنه من أقرب الموارد
لفهم هذا الفن بالشواهد
ولا تكن مُرَدِّدَ المعاب
مطربة الحيّ بلا إطراب
فالعلم بحرٌ ما له حدود
ولا زمان لا ولا مهود
فَخَلِّ عنك آفة المعاصرة
فإنها لكل فضل ساترة

## حصر النسخ لجمعها والسبيل الأمثل للفهرسة

وإن يَقُلْ فردٌ بلا إمعان
القول للفذّ بَرَوْكَلْمان
فهْوالذيأحصىالأصولوحَصَر
وكشف الغابر في أجلى صورْ
فقل له من دونما تثريب
ودونما زهو ولا تأنيب
كارلُ قد جُرَّ إلى أخطاء
وخلط الترياق بالغثاء
واعتمد الفهارس المطبوعة
وهي بألْف خطأ مشفوعة
وإنما كتابه البديعُ
المدخل البكر الذي يضوعُ
وقد أتت من بعده فهارسُ
لم يرها وجُليت حنادسُ
وكشف الزمان عن دفين
ورائع كالجوهر المكنون
كان خبيئًا في مدى قرون
لم تره عينٌ من العيون
فلا يفُتْك فحصها في تؤدةْ
فبينها جواهر منضدةْ
وبعض من فَهْرَسَ جاء بالشطَطْ
والمضحك المبكي وألوان الغَلَطْ
وإنما السبيل للصواب
أن ينظر الواضعُ في الكتاب
وأن يرى المخطوط بالعيان
من دونما سَهْو ولا نسيان
ودونما نَقْل عن الأغيار
فذاك دَرْب آمن العثار
والرأي عندي فحصهُ المخطوطا
من داخل ليأمن التخليطا
فذلك السبيل للمُفَهْرِس
لا صنعةٌ جاءت بلا تمرُّس
وبعضهم عدا على الأموات
وانتحل الجهود في ساعات
«فطَلَسٌ» قد أبدع الكشافا
وبذل الجهد به أضعافا
ثم أتى من بعده «الجبوري»
فَنَحَلَ الكتابَ بالميسور
أضاف للفهرس دونَ ثُمْنِه
ولَصَّهُ بشرحِه ومَتْنِه

## ترتيب النسخ

أولى النصوص نسخةُ المصنّف
فهي إذا ما سلمت به تفي
لكن تَثَبَّتْ أنها المُزَيَّدة
ولا تقع في نسخة مُسوَّدة
فبعضهم زاد على تأليفه
وصوَّبَ الكثير في تصنيفه
فخذ يقينا أنها الأخيرة
وأنها بجهدكم جديرة
وأقوم الفروع بعد الأمّ
ما اثبتَ الواضعُ عند التمّ
بخطّه المعروف في آخرها:
«قد قُرئت عليه أو قرأها»
وبعدها ناقلةٌ عن أصله
معارَضًا بضبطه وشكله
وبعدها ما كتبت في عصره
قد زانها سماعُ من في مصره
وبعدهنَّ نسخةٌ معاصرة
ليس عليها لسماع آصرة
وبعدها الحديثةُ المكتوبة
من عالم فإنها مرغوبة
وجملة القول على الترتيب
ماالاصطلاحالأثباتفيالتبويب
وإن فقدنا النُسَخَ المطلوبة
مُسنَدَةً مَرْوِيَّةً مَنْسُوبة
فالأصل أن تقدَّم القديما
معارَضًا مقابَلًا قويما
وقد تلاقي نسخة جديدة
لكنها قويمة سديدة
قد نقلت عن نسخة قديمة
مضبوطة دقيقة سليمة

فللأصح السبق والتفضيلُ
وذاك ما نحن به نقولُ
إذ غاية التحقيق فيما عُرفا
أن تبعد التصحيف والمُحرَّفا
وأن يكون النص في الإخراج
كصورة الأصل السليم الناجي

## خطر الاعتماد على النسخة الواحدة

ولا يجوز نشرُك الكتابا
عن نسخة وتهملَ الأترابا
فذاك من مقاتل التحقيقِ
فكن عميقَ الفهم يا صديقي
فإن أردت مَثَلا معاصرا
جئنا «بقُطْبٍ للسرور» سائرا
جاء به «الجنديُّ» رغم فضله
كالغُصْنِ المجذوذ دون أصله
أو خطبة بتراء في صلاة
وكانت النشرة كالشتات
وذاك لاعتداده بواحدة
رغم وجود نُسَخٍ مساعدة
ونُسَخٍ أخرى لها تُكَمِّل
تسد نقصا أو بها تُؤصَّلُ

## خطر نشر المختصرات مع وجود الأصل الكامل

وبعضهم قد نشر المختصرا
رغم وجود الأصل ما بين الورى
وبعضهم أُولع بالمختار
والمنتقى من دونما اصطبار
والرأي عندي جعلك المختصرا
مساعدًا في رَمِّ خَرْمٍ قد جرى
وليس أصلاً تُهدر الجهودُ
في نشره وأصلُه موجودُ

## الفئات

صنِّفْ جميعَ نسخ الكتابِ
لزُمَرٍ كصنعة الأنساب
تجمع كلَّ زمرة أشياءُ
زيادةٌ والنقصُ والأخطاءُ
ثم انتخبْ من كل صنف واحدة
أكملها أجودها في الفائدة
حتى إذا استوت لكم بضْع نُسَخْ
قَيِّمَةً صحيحة بلا مسَخْ
تَوَلَّها مقارنا لفهمها
متخذًا أَصَحَّها كأمِّها
فليست العبرة بالقديمة
وإنما العبرة بالقويمة
وثَبِّتِ الخلاف في الأصول
في هامش وابعد عن الفضول

## غاية التحقيق والقصد منه

هذا الذي أبدأ أو أعيدُ
علمٌ به التأصيل والتجويدُ
علم به تُوَثَّق الأصولُ
وتُعرف الفضولُ والنقولُ
ويُفرَزُ المقحَمُ والمدخولُ
ويُشرَحُ الغامضُ والمجهولُ
حتى يجيء النص في النهاية
في غاية الوضوح والكفاية
مطابقًا لصنعة المصنِّف
مُنَزَّهًا عن سقطات السلف
والقصد إحياء تراث السلف
من خَلَفٍ أدرك معنى الخلف
فليس في الأرض بناءٌ شامخُ
إلا له في الأرض جذرٌ راسخُ
وحينما تنقطع الجذور
فالويل للمُنْبَتِّ والثبورُ

## تحقيق النص

أول ما يوجبه التعريف
معرفةٌ بمن له التصنيف
ودقِّقِ الفِهْرَسْتَ والمعاجما
وكن بعنوان الكتاب عالما
فربما زُيِّف في العنوان
تزييف نُسَّاخ بلا إمعان
وربَّما ضلَّلك النُّسَّاخُ
حتى لَقيل إنهم مُسَّاخُ
فَدَقِّقِ المنهج والأسلوبا
وحَقِّقِ الأحداث والغيوبا
فإنها تنبئ عن مخروم
من أول، أو كاتب مكتوم
وبعضهم ينقل من فصول
فَلتَعْرِضِ النقل على الأصولِ
وبعضهم يشير عند النقلِ
لمصدر النقل بدون دَغْلِ
وبعضهم يُوغل في الكتمان
وذاك من كتمانه نعاني
فإن هداك البحثُ للمصادر
فعُدْ لها وَثَبِّتَنْ في الآخر
وجهَ اختلاف النص في الإثنين
فإنه المذهب في النهجين
إن كان ما قد كَتَبَ المصنِّفُ
بخطه كان عليك الرصفُ
من دونما مسٍّ بنصٍّ قد كَتَبْ
فإنه دليل علم قد كسبْ
وبعضهم أجاز أن نُصَحِّحا
في هامش من وهمه ما وَضُحا
وحينما تزدحم الأصولُ
وتُنتقَى الأمُّ التي نطولُ
يقارنُ النصُّ بلا جِناف
ويُبسَطُ الهامش للخلاف

في المتن دوما ثَبّت الصحيحة
وأدرجَنْ في الهامش المرجوحة
وعندما يكون في بعض النُسَخْ
زيادة عن أُمّها لم تُنْتَسَخْ
تضاف للمتن بالاتفاق
وحولها العُضَاد كالصِفَاقِ
وجوَّزوا في المتن أن تزيدا
لفظًا وأن تُقَوّس المزيدا
وجوَّزوا أن تستضيف خبرا
ضاع من الأصل بخرمٍ قدرا
إذا وجدت النص في مطبوع
أو كان مخطوطا بلا ذيوع
واشترطوا التقويس للزيادة
وذاك أمرٌ واضح الإفادة
وإن وجدتَ أنها قد عُورضتْ
بنسخة في هامش قد لوحظت
فَثَبّت الهامش في الحواشي
كيلا يؤول الأمرُ لارتهاش
وإن وجدتَ أنها قد صُحّحَتْ
من عالم فَثَبّتَنْ ما أُوضِحَتْ
وفي العموم ثبّت الهوامشا
ولا تكن في حصرهن رائشا
وإن تجد مزالقًا في الضبط
أووَهَما في الشَكْل أو في النقط
عليك بالمعجم «كاللسان»
و«التاج» و«الصحاح» كالميزان
و«للمحيط» الفصل في المعاني
وبعده «تكملة» الصاغاني
بها تردُّ الكلمة المُحَرَّفَةْ
لأصلها ومثلُها المُصَحَّفَةْ

## تقسيم النص وترقيمه

حافظ على ما بوَّب المصنِّفُ
فهو الذي عن مثله لا يُجنَفُ
والنصُّ إنْ كان على أقسام
فرقِّم الأبوابَ بانتظام
وجوِّزوا الترقيم في النصوص
وأوجبوا الترقيم في الشخوص
واشترطوا أن تضع الأعلاما
في جانب أو وَسَطٍ تماما
ووجبوا الترقيم للأشعار
وللأحاديث بلا اختيار
ورقِّموا السطور خمسًا خمسا
وما أرى للأمر وجهًا يُرسَى
سوى انتفاع منه في الفهارس
لقارئٍ أو باحث أو دارس
وبعضهم حاد عن الطريق
وخلَّط التأليف بالتحقيق
فابتكر العنوان للفصول
وجزَّأ النص بلا مثيل
وهو لعمري مذهبٌ مرجوحُ
وما ذكرت المنهجُ الصحيحُ

## الرسم والشكل

وإنْ تجدْ في الخط رسمًا داثرا
مخالفًا لخطنا مغايرا
مما نأتْ عن مثله الإصابة
فاخترْ لك الأحدثَ في الكتابة
فالرسم والخطوط لا تدومُ
لكنه تَطَوُّرٌ محتومُ
فاعتمد الطريقة الجديدة
في رسمك الأحرف والمفيدة
وثبِّت الهمزةَ في ابتداءِ
ونقطتي ياءٍ بلا مراءِ
كي لا يقال إنها مقصورة
ويقع التخليط في الأخيرة
وأثبتِ الشدة في الكتابة
فإنها من أوجه الإصابة
والشكلَ أوجبناه في أمور
في آية أو مَثَلٍ مأثور
وفي الحديث والذي يلتبس
من عَلَمٍ أو لفظةٍ قد تُبْلِسُ
والشكل في الشعر من الضروري
من دونه تسقطُ في المحظور
وَلْتضبط الأعلامَ يا صديقي
بشكلها في غاية التدقيق

## الحديث.. درجاته وتخريجه ومختصر ألفاظه

وحَسَنٌ بعد الصحيح فاتَّبِعْ
فمُرسَل فمعضل فمنقطعْ
فَخَرِّج الحديثَ في المصادرِ
وثَبِّتَنْ رتبته في الآخرِ
واختصر الألفاظ في الإسناد
(أنا ونا) تَشِفّ عن مرادِ
ورمزوا (بالنون) للنَّسَائي
وللبخاريِّ بحرف (خاء)
ومسلم (بالميم) وهو عَلَمُ
ولأبي داود (دالٌ) تُعلمُ
ورمزوا (بالقاف) للقزويني
والترمذيُّ (تاؤه) تغنيني
و(تع) تعالى الله وهو الأوحدُ
و(صلعمٌ) نبيُّه محمدُ
و(رَضَهٌ) تَرمزُ للترضي
و(رَحَهٌ) تَرَحُّمٌ لبعضِ
و(إلخ) تعني: إلى آخره
ولانتهى (اهـ) ببعض سطره
وبعضُهم فضَّل في الإسناد
صغيرَ حرفٍ جنبَ ذي المراد

## العلامات

ونقطةٌ عند انتهاء الجُمَلِ
ونقطتان بعد قول القائلِ
وللخروم النُقَطُ المعلَّمة
كلُّ ثلاث نقطٍ لكلمة

واستعملوا إشارة التعجُّب
في موضع الهزء وللمستغرب
واستعملوا إشارة استفهام
لسائلٍ يبحث عن مرام
واستعملوا الفواصل المعروفة
في السَّجْع والمواضع المعطوفة
واستعملوا علامة اعتراض
في موضع الحاجة لاعتراض

## الأقواس والرموز والخطوط

مُزَهَّرُ الأقواس للآيات
وللحديث القوسُ في الإثبات
وبعده المعقوف كالعضادة
علامة التكملة المُزادة
وبعده علامة التنصيص
وهي لما استُجْلِبَ من نصوص
ممّا أتى بأصله المؤلف
أو كان عنوان كتابٍ يُعرفُ
مُمَوَّجُ الأقواس للمضاف
مما اقتضى حذفًا بلا خلاف
علامة الزائد للمضطرب
في أوَّلٍ وآخر فاحتسب
وبعضُهم خَصَّ عمودًا قائما
في أول وآخر كما هما
لما تُضيفُ النُسَخُ الثواني
للأُمّ مما ضاع في المكان
وبعضهم يستعمل العضادة
لكل ما جاء من الزيادة
وأنت بالخيار في الإثنين
فهو صوابٌ في كلا النهجين
واستعملوا قوسًا بالاتفاق
للفظة تضاف للسّياق
وهي زوايا باصطلاح العلْم
وقيل قوسٌ كُسرت بعلم
واستعملوا الأقواس في حَصْر الورقْ
ما بينها الأرقام في خير نَسَقْ
ورمزوا للوجه حرف (واو)
و(الظاء) للظهر الذي يساوي
وبعضهم أجاز حرف الألف
للوجه والباءُ لظهرٍ مختف
و(لا-إلى) قد جعلوها في الوَسَطْ
رمزًا لما كان من المتن سَقَطْ
ووحَّد الإفرنجُ في الأنماط
وجعلوا العضاد للأسقاط
وألحقوا الغامضَ لما نُبِذَا
قوسين ما بينهما لفظ (كذا)
وارمز لكل نسخة برمز
فإنه أضمن عند الفرز
وعندما تُقارَنُ الأصولُ
فهو لها مختصَرٌ مقبولُ

## الحواشي

وخُصِّصَ الهامشُ للتخريج
ولاختلاف النصّ في الوشيج
ومقصد التخريج بادٍ للملا
تأكيد أن النصَّ صَحَّ وانجلى
تُخَرَّجُ الآياتُ بالأرقام
وتُذكَرُ النُّقولُ في إحكام
ويُعرضُ الشعرُ على الديوانِ
أو كتب الآداب في الأوان
وكتب الأمثال للأمثال
وتُضبَطُ الأعلامُ كاللآلي
واختلفوا في الشرح والتراجم
على طريقين بلا تعالم
بعض رأى أن يُفرِدَ الملاحقا
إذا شأى أن يُوضِحَ المغالقا
خشية أن يَطُول متنُ الحاشية
ويثقل النصُّ بأمر الغاشية
وبعضُهم أوصى بالاختصار
في ذكرها في هامش الأخبار
الاسمُ ثُمَّ سنة الوفاة
ومصدر الترجمة المزجاة
وعَرِّف المجهول من أعلام
واعزف عن المشهور في المقام
وذَيِّل التعريف بالمصادر
حتى تكونَ مدخلًا لآخر

## طرق التحمل والأداء

إن أثبت الناسخُ للنصوص
طريقة الأداء بالشخوص
أفاد في دراسة الرجال
وعصرهم ما لم يكن ببال
وطرق الأداء والتحمُّل
جليلة القدر بلا تخيُّل
واجبة الإثبات عند النَشْر
لما لها من كشف أهل العَصْر
وطُرُق التحمُّل الثمانية
هي المدار فانتبه لما هيه
أولها (السماع) (فالإقراء)
عُلُوُّهُ كان به الإفتاءُ
وبعده (إجازة) المُعَيَّن
في مطلبٍ او شاء لم يُعَيِّن
وبعده فيما نرى (المناولة)
وهي إذا أجاز شيخٌ حاصلة
وبعده طريقة (المكاتبة)
واشترطوا لتعرفنَّ كاتبه
وأن يكون خطه معلوما
لمرسلٍ إليه بل مفهوما
وبعدها (الإعلام) و(الوجادة)
وفيهما تكتمل الإفادة
وبعضهم عدَّ بها (الوصية)
وإنها عن أمرنا قَصِيَّة

وهاك ما قد قيل في الإجازة
وهو الذي أوضح في وجازة
احفظ لها تَفَرُّد السطور
فهو بيانُ القائلِ المشهورِ
ورقِّم السطور للرواة
وقوِّس الأرقام في أناة
وقدِّم السماع في إيجاز
بموجز أصغر في إعجاز

## الفهارس

لِفهْرَسِ الأعلام والأماكن
ما يرشد الباحث عن بواطن
وفهْرسُ الأشعار والأمثال
كفهرس الحديث في المآل
وفهرس الكُتْب التي قد وردتْ
وفهرس الآيات أنَّى ذُكرَت
كُلٌّ له ضرورة وواجبُ
ومطلبٌ تعنو له المطالبُ
وابتكروا فهارس الحضارة
حيث رأوا لمثلها الإشارة
مِمَّا سَهَتْ عن ضَمِّها المعاجم
وهي لها ذيلٌ جليلٌ قائمُ
عن مثلها ستستقى اللغاتُ
وتغتني الألفاظُ والحياةُ
وفهرسٌ آخر للمَراجع
مما به النفع على المتابع
حتى غدا ميدانُ علم الفهرسَةْ
مدرسةً كبرى وأيّ مدرسة!
وعندنا برَزَ في الميدان
فذّان عملاقان «عوّادان»
أبو سُهَيْل (١) واحدٌ والثاني
أبو هلالٍ (٢) فهما صنوان

## المقدمة

تقديمُك الكتابَ فنٌّ قائم
على ثلاثٍ سنَّها العيالمُ
موضوعه وما الذي قد أُلِّفا
في فنّه وما الذي قد عُرفا
وما الذي قدّم من جديد
في بابه فكان كالفريد
وبابةٌ تُعقد للمؤلف
تبحثُ عن حياته بما يفي
وبابةٌ تُعقدُ للمخطوط
وحبَّذا أنموذج الخطوط
النَسْخُ والناسخُ والزمانُ
والخط والمِداد والمكانُ
وعدد الأوراق والقياسُ
وعدد السطور والمقاسُ
وما على النسخة من تعقيب
أو هامش يجدر بالتقريب
وما على النسخة من تمليك
واسم الكتاب صِينَ عن شكوك
وما بها من صور الإجازة
وصفحة العنوان في وجازة
جميعه تذكره بدقَّة
محتملاً من أجله المشقة
وثبّت النماذج المصورة
من أول وآخر كالتذكرة
فإنها الناطقُ عن مجهود
وما به من عَنَتٍ شديد
وإنني موصيك بالرموز
لا تنسها في الوصف والتبريز
فقد سها عن ذكرها أعلامُ
ونالهم من سهوهم مَلامُ
وبعضهم أضاف نوعَ الورق
وأحسب القول بلا تعمق
بل أحسبُ الأمر من المحال
ما أوغل المخطوط في المجال
أنَّى لنا أن نصف الأوراقا
وهي التي ما طالعت أحداقا
وجيلُنا معتمِدٌ بأخَرَهْ
على رقوق النُسَخ المصورة

## الختام

سميتها «مُوضِحَةُ الطريقِ
إلى صُوى مناهج التحقيق»
ولي بها سبقٌ على الأقرانِ
ليس لها فيما علمتُ ثانِ
أستغفر الله العليَّ القادرا
من الهوى ومن غرورٍ خامَرا
قصدتُ فيها خدمة النصوص
ووضع دستور بلا تعويص
ونُجِّزَتْ من بعد ألف قد مضتْ
وأربع من المئات أوْمَضَتْ
من هجرة الهادي وخير البشرِ
ومَن أتى بمعجزات السورِ
والحمد لله على ما سدَّدا
حمدًا كثيرًا ليس يُحصَى عددا

**الهوامش**

١-كوركيس عواد.
٢- ميخائيل عواد.

**ترجمة الناظم ١٩٢٩-٢٠١١**

هو الشاعر الأديب هلال ناجي ابن زين الدين الشقاقي العلوي، من أدباء العراق، تخرج من كلية الحقوق بجامعة بغداد سنة ١٩٥١، كان رئيسا لاتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين، له دواوين شعرية وكتب أدبية، فاز بجوائز عدة، منها: جائزة التحقيق من مكتب تنسيق التعريب سنة ١٩٧٠، وجائزة التقدير الذهبية من جمهورية مصر العربية سنة ١٩٨٢.

# الخطاط علي بن حامد الراوي

## (١٣٦٤ - ١٤٣٣هـ/ ١٩٤٤ - ٢٠١٢م)

فيصل يوسف العلي



**هذه كلمات في حق أحد مبدعي الخط العربي جمعتنا معه محبة وود رغم أنه لم يتيسر لنا اللقاء به وجهًا لوجه، فكانت مشاعرنا ينقلها مداد الأقلام وعبر الهاتف والأثير، وقد دعوناه إلى الكويت، لكن حبسه المرض، ثم ما لبث أن غيبّه الموت- رحمه الله تعالى- قبل اللقاء؛ ذلكم هو الخطاط الشيخ الأستاذ علي بن حامد الراوي الرفاعي، يتصل نسبهُ بسيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، ومن مواليد الموصل عام ١٩٤٤م، اعتنى بالخط واهتم به حتى نال شهرة وعرف اسمه في بلده، وأسهم في أنشطة وأعمال الخط وتحسينه محليًا وإقليميًا.**

### مؤهلاته

حصل على معهد إعداد المعلمين بالموصل عام ١٩٦٥، كما أنه مارس الخط ودَرَّسه، كما قام بتدريس علوم متعددة، ثم نسب لتدريس الخط في معهد الفنون الجميلة وحتى إحالته على التقاعد سنة ١٩٩٠. والشيخ علي متعدد المواهب.. فقد درس العلوم النقلية والعقلية، ونبغ في أصول الفقه، ودرس عروض الشعر، ودرس القراءات، فهو خطاط متفنن، وشيخ في القراءات، وأصولي، وخطيب مفوه، وشاعر مبدع.

### العلماء الذين أخذ عنهم

انتفع بوالده الذي علمه ووجهه وأحسن تربيته، ثم إنه استفاد من إمام الخط في الزمن المعاصر الأستاذ حامد الآمدي الغني عن التعريف، الذي توفي عام ١٩٨٢م، والذي من أشهر تلامذته الأستاذ الخطاط حسن جلبي، كما أخذ عن الأستاذ يوسف ذنون وحصل منه على الإجازة سنة ١٩٧٨م، كما استفاد أيضًا من الخطاط المبدع محمد طاهر الكردي وحصل منه على الإجازة ، والخطاط هاشم محمد البغدادي الذي رأى فيه نبوغًا وتوقع له مستقبلًا باهرًا.

### مشاركاته وإنجازاته

شارك الشيخ علي الراوي في مسابقات عديدة في اسطنبول وبغداد وأربيل، ونال جوائز تقديرية، منها جائزة مهرجان بغداد، ومهرجان أربيل، وكان آخر المسابقات التي شارك فيها مسابقة ملتقى مجمع الملك فهد لأشهر خطاطي المصحف الشريف في العالم في جمادى ١٤٣٢هـ (مايو ٢٠١١م) في السعودية.

كما أنجز أعمالاً تتصل بالخط وتيسير تعليمه وتعلّمه، من ذلك أنه أنجز كراسات لتعليم الخط، وكتب آيات كريمة في المساجد، كما كتب صفحات من المصحف الشريف.

والمتأمل للوحاته وقلمه يعرف مقدار مكانته وإبداعه في الخط.

### زيارته للكويت

أثناء الحديث (١) إلى الأستاذ علي الراوي، ذكر- رحمه الله تعالى- أنه زار الكويت عام ١٩٧٩م في طريقه إلى الحج عن طريق مدينة الجهراء، التي تقع غرب مدينة الكويت، حيث كانت مُلتقى الحجاج العابرين لاستكمال طريقهم إلى مكة بعد تسهيل أمورهم في مدينة الحجاج هناك.

### دعوته إلى الكويت

عرضنا عليه زيارة الكويت للاستفادة من علمه وخبراته، لكنه اعتذر بأدب، وذلك لشدة مرضه بالقلب، وكذلك لضعف بصره، حتى إنه قال: إن أيامي قليلة- رحمه الله، ثم في اتصال آخر أخبرني أنه ذاهب إلى اسطنبول لعلاج بصره، وقال في ذلك أبياتًا معبرة نختار منها قوله:

**ذهبت إلى اسطنبول لإصلاح البصر**
**لأرى بهما أحبة بفؤادي والنظر**

(١) كان ذلك في ٧ شوال ١٤٣٢هـ (٢٠١١/٩/٦م) حيث تحدث معه رئيس التحرير

## مساجلاته الشعرية

كان الشيخ علي الراوي يعرف قيمة الصداقة، ويجعل لها اعتبارًا في نفسه، يتضح ذلك من الحديث معه عن طريق الهاتف، فقد كان رحمه الله يبث مشاعره ومحبته في المناسبات بأبيات من الشعر تدل على صدق مشاعره، وكنت أبادله القريض بأبيات مماثلة زادت من أواصر المحبة والصداقة معه، فمن الأبيات التي أرسلها- رحمه الله- وربما كانت آخر أبياته في ٢٠١١/١١/٥م بمناسبة عيد الأضحى:

**الكون ينشد والقلوب تردد**
**والعيد أقبل والفؤاد يغرد**
**أزكى تهانينا لكم يا فيصلا**
**دامت سعادتكم وعيش أرغد**
**لكم المودة والعناية والهدى**
**والفضل يسري والإله يسدد**

وأجبته بهذه الأبيات وهي مرسلة من الأديب د.يعقوب الغنيم في (٢٠١١/٩/١٩).



لوحة بقلمه بخط الثلث الجلي

**يا شاعرًا في شعره نثر الدُّرَرْ**
**وأثارَ في القول السديد لنا الفِكَرْ**
**ما أعذب الشعر الذي يَعْلُو به**
**معنًى تجلَّى في تهاويل الصُّوَرْ**
**وعلا به لَفْظ يفيض عذوبةً**
**كالمسك في الدنيا تَضَوَّعَ وانتشرْ**
**لله أنت فقد كتبتَ فريدةً**
**أُثني عليك بها الثناءَ المُنْتَظَرْ**
**ولئن ذكرتَ أخاكَ فيها إنما**
**قد كُنْتَ تذكر من أَحَبَّكَ وادَّكَرْ**

وأرسل بمناسبة الحج هذه الأبيات في ٢٠١١/١١/٢٧م.

**عبير القلب أظهره لساني**
**وشوقي أن أراك وأن تراني**
**فذا شهر به الأضحى مثال**
**يسطره الخليل مدى الزمان**
**تهاني القلب نرسلها إليكم**
**بشهر الحج موفور الأماني**

وأجبته بهذه الأبيات وهي مرسلة من الأديب د.يعقوب الغنيم في (٢٠١١/١١/٢٩):

**خليلي أي شعر قد أتاني**
**أشبهه بأنوار المغاني**
**تعبر فيه إذْ وافى بشيرًا**
**بشهر الحج رائعة الزمانِ**
**وترسل من تهاني الود صفوًا**
**يقدمه الهوى قبل اللسانِ**
**إليك تحيتي وإليك شكري**
**أزفهما على طول الزمانِ**

ومن أبياته وردوده وكلماته أيضًا أجاب بقوله:

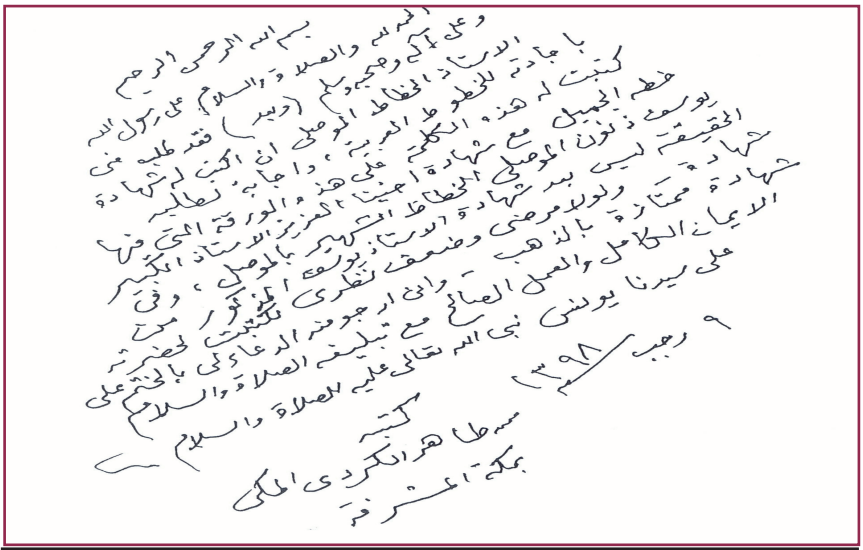
«... أخي فيصل أنا في لحظة لا أملك إلا أن أقول بحقكم:

**أنتم عيون للفؤاد إذا نظر**
**وقريضكم شبه اللآلئ والدرر**
**لكم السماحة والمهابة والتقى**
**وسناء وجه مستنير كالقمر**
**أدعو لكم رب العباد إذا قضى**
**ليقيك من نار الجحيم ومن سقر**
**فيعيش في نبض الفؤاد ودادكم**
**حيًّا ويسري كالنسائم في السحر**
**يا فيصلًا في شعره متفضلا**
**وأراه شهمًا ذا مآثر تدخر**

## وفاته رحمه الله

أثناء زيارتي إلى دولة قطر في يناير ٢٠١٢ لحضور دورة خاصة بالعناية بالمخطوطات نظمها المعهد العربي بالتعاون مع الجهات المعنية في وزارة الأوقاف في قطر، التقيت شيخه الأستاذ يوسف ذنون الذي أخبرني أن الأستاذ علي الراوي قد وافته المنية بتاريخ (٤ محرم ١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١١/١١/٢٩) وكان وقع هذا الخبر شديدًا على نفسي فترحمت عليه واسترجعت.

فرحم الله الشيخ الأستاذ الراوي وتقبله بواسع رحمته.. آمين.



إجازة الشيخ الخطاط طاهر الكردي له بشهادة الأستاذ الخطاط يوسف ذنون

مدير المركز الثقافي الإسلامي بمدريد د.سعود عبدالله الغديان في حوار لـ «الوعي الإسلامي»:

# مسلمو أوروبا حريصون على ترسيخ مفاهيم الحوار والتعايش

حوار: د.صالح النهام - مدريد

**أكد د.سعود عبدالله الغديان مدير المركز الثقافي بمدريد أن كثيرا من المراكز والجمعيات الإسلامية في الغرب تعاني من قلة الدعم المقدم والتمويل، بل وانعدامه في كثير من الأعمال، حتى بات الخوف هاجسا من عدم دعم المراكز، وكذلك انعدام الثقة في كثير من الجمعيات الإسلامية، ما ساهم في عجز الكثير من المراكز عن القيام برسالتها.**

**وقال في حوار خاص لـ «الوعي الإسلامي» أثناء زيارة وفد وزارة الأوقاف إلى أسبانيا أخيرًا برئاسة وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية خليف الأذينة لحضور ملتقى ثقافي للجالية المسلمة هناك قال إن المركز يسعى إلى نشر الثقافة الإسلامية في إسبانيا، وبناء جسور التعاون مع المؤسسات الثقافية العربية والإسلامية المختصة والمهتمة، وتوحيد الجهود من أجل وجود عربي إسلامي أفضل في هذه البلاد، وتعزيز الحوار مع المؤسسات الإسبانية العاملة في المجال الثقافي والعلمي والاجتماعي، بُغية تحقيق مستوى أفضل من التعاون المتبادل، ونشر صورة ناصعة وواضحة عن الإسلام.**

**وتطرق الحوار إلى أسئلة كثيرة عن أوضاع الجالية المسلمة في إسبانيا والتحديات التي تواجههم والعلاقة مع الحكومة الإسبانية والدور البارز للمراكز الإسلامية في أوروبا.. فإلى التفاصيل:**

**● حبذا لو تقدمون للقراء نبذة تعريفية عن شخصكم الكريم؟**

– سعود بن عبدالله بن عبدالرحمن الغديان، المدير العام لإدارة الدعوة بالخارج بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ومعار لرابطة العالم الإسلامي لإدارة المركز الثقافي الإسلامي بمدريد، خريج كلية الشريعة، ماجستير ودكتوراه من المعهد العالي للقضاء في الفقه وقواعده من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض، أمارس العمل الدعوي منذ أكثر من ٣٠ عامًا بحمد الله تعالى في الداخل والخارج.

**● متى أسس المركز؟ وما الهدف من وراء ذلك؟**

– المركز الثقافي الإسلامي بمدريد مؤسسة إسلامية تابعة لرابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية، وقد أنشئ هذا المركز على أرض مساحتها ما يقارب ١٣ ألف متر، تنازلت عنها بلدية مدريد لصالح رابطة العالم الإسلامي، وتبرع بإنشائه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز – رحمه الله – وافتتح هذا المركز في ٢١ سبتمبر من عام ١٩٩٢م تحت رعاية الملك الإسباني خوان كارلوس، وبحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود – وزير الدفاع – نيابة عن الملك فهد –رحمه الله–، وللمركز سياسته الخاصة وتعامله الخاص بحكم استقلاليته.



د. عبدالله الغديان

وأما أهداف المركز فتتمثل في توفير الاحتياجات الدينية والاجتماعية والثقافية للجالية الإسلامية المقيمة والزائرة، ونشر الثقافة الإسلامية، وبناء جسور التعاون مع المؤسسات الثقافية العربية والإسلامية المختصة والمهتمة، مع فتح طرق التواصل وتوحيد الجهود من أجل وجود عربي إسلامي أفضل في هذه البلاد، من خلال التنسيق مع كل الهيئات والمنظمات والمعاهد الرامية إلى تحقيق هذه الأهداف السامية، وتعزيز الحوار مع المؤسسات الإسبانية العاملة في المجال الثقافي والعلمي والاجتماعي، بُغية تحقيق مستوى أفضل من التعاون



وكيل الوزارة المساعد الأذينة يكرم الغديان بحضور د. النهام

## التصرفات السيئة من بعض أبناء الجاليات المسلمة .. أبرز الصعوبات

المتبادل، ونشر صورة ناصعة وواضحة عن الإسلام.

**● ما أنواع الأنشطة التي يقوم بها المركز؟**

– أنشطة المركز متنوعة، فبعضها دائم، وبعضها بحسب المناسبات، فمنها النشاط الديني والثقافي ونشاط العلاقات الخارجية والإعلام، والنشاط الاجتماعي، والنشاط التعليمي، وإشهار الإسلام، وهذه الأنشطة هي أهم أنشطة المركز، وقد ذكرنا بعضها إجمالاً واختصارًا.

**● المراكز في الغرب كثيرًا ما تعقد مؤتمرات ثقافية ودعوية لأبناء الجالية المسلمة، ويدعى لها مفكرون ودعاة من العالم العربي، فما دوركم في هذا المجال؟**

– المركز له دور كبير في التحضير والمشاركة في مؤتمرات ولقاءات الحوار، وقد كان للمركز الشرف في المشاركة في تنظيم المؤتمر العالمي للحوار، الذي افتتحه الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، وملك مملكة إسبانيا خوان كارلوس، كما أن المركز يشارك في الندوات واللقاءات التي تتعلق بهذا الموضوع ويساهم في ترسية مفاهيم الحوار والتعايش، وقد سبق أن نظم المركز ندوة عن الحوار والتعايش وحظيت بحضور كبير.

**● كيف تقيمون العلاقة بينكم وبين الجهات الحكومية الإسبانية؟**

– العلاقة بين المركز والجهات الرسمية في إسبانيا علاقة جيدة جدا، تصل إلى حد الصداقة، حيث بدأت بتنازل بلدية مدريد عن أرض المركز لصالح رابطة العالم الإسلامي مرورا بالعلاقات الجيدة مع الوزارات والجامعات والمكتبات والمؤسسات الحكومية، فالعلاقة جيدة جدًا والحمد الله، وهذا انعكس على عمل المركز وعلى بقائه شامخًا يؤدي عمله بحرية واقتدار طيلة العشرين سنة الماضية.

**● ما مدى تنسيقكم مع باقي المراكز في أوروبا وأميركا؟**

– هناك تنسيق منظم مع الجمعيات والمراكز الإسلامية داخل إسبانيا عموما وفي مدريد وضواحيها خصوصا، والتنسيق يتم عن طريق إقامة الأنشطة والمساعدة في تجهيز المساجد بالمصاحف والكتب، والإسهام في توزيع التمور والإمساكيات لشهر رمضان المبارك، وكذلك إفادة المراكز من الإمكانات الضخمة للمركز في إقامة المسابقات والاحتفالات والمهرجانات.

**● أوضاع الجالية المسلمة في إسبانيا هل تأثرت بالأزمة الاقتصادية العالمية؟**

– نعم، فالوضع حاليا صعب في ظل الأزمة الاقتصادية المنتشرة في أوروبا كلها، وأوضاع المسلمين عموما صعبة لغلاء المعيشة وفقد كثير من العاملين لوظائفهم وعدم توفر العمل الذي يدر دخلا جيدا للأسرة المقيمة هنا، حتى إن كثيرًا من أبناء الجالية عادوا إلى أوطانهم بسبب هذه الأزمة، وهذا ينعكس سلبا على المراكز الصغيرة لغلاء الإيجارات وشحة تمويل مناشطها وتشغيلها، وكذلك العجز عن الوفاء بالديون التي عليها لأصحابها.

**● ما أبرز العقبات والتحديات التي تواجه المسلمين في إسبانيا؟**

– المسلمون في إسبانيا يؤدون عباداتهم وواجباتهم الشرعية بكل يسر وسهولة ودون مضايقات في المراكز والمصليات والجمعيات، إلا فيما يتعلق بفئة تعمل في المؤسسات والشركات، ولكن من أبرز الصعوبات التي نعانيها

## بلدية مدريد قدمت الأرض .. والملك فهد تبرع بالإنشاء على ١٣ ألف متر مربع في عام ١٩٩٢

التصرفات السيئة من بعض أبناء الجالية المسلمة مع الأسف والتي تسيء إلى الإسلام وتفسد أكثر مما تصلح.

ويمكن تقسيم المعوقات التي نعانيها إلى قسمين، الأول: معوقات مرتبطة بطبيعة العمل الدعوي والظروف المحيطة بالمنطقة، والثاني: معوقات مرتبطة بأحداث يمر بها العالم وتؤثر على مسيرة العمل الإسلامي.

أما بالنسبة للقسم الأول فالمعوقات كثيرة، منها على سبيل المثال:

الظروف المعيشية الصعبة التي تمر بها الجالية المسلمة في إسبانيا وتحميل المراكز الإسلامية المشاكل والصعوبات التي تمر بها الجالية المسلمة، وبالتالي تحمّلت المراكز أعباء كثيرة لا علاقة لها بظروف الجالية، حيث إن هذه المشاكل إما بسبب الأزمة الاقتصادية التي تمر بها أوروبا، أو بسبب التدبير السيئ لشؤون الجالية من قبل أفراد الجالية أنفسهم.

قلة الوعي والثقافة لدى كثير من أفراد الجالية، وبالتالي تسيء إلى المسلمين وهذا ينعكس سلبًا على الإسلام ونظرة الإسبان إليه.

ضعف المراكز والجمعيات الإسلامية العاملة في إسبانيا، للظروف الاقتصادية الصعبة.

السلبية المنتشرة في الجالية وحب الأنا وتغليب مصلحتها الفردية على مصلحة الأمة والجماعة، وضعف إسهاماتها في شتى الأمور.

أما المعوقات المرتبطة بالأحداث فلاشك أن العمل الإسلامي في أوروبا على وجه الخصوص، وفي العالم على وجه العموم يتأثر بالأحداث العالمية، فقد تضرر العمل الدعوي كثيرًا من أحداث ١١ سبتمبر، وكذلك من أحداث ١١ مارس في إسبانيا المتمثلة بتفجير القطارات بمدريد.

فقد عانت المراكز والجمعيات الإسلامية كثيرًا من صعوبات ومعوقات في العمل الإسلامي تمثلت في قلة الدعم المقدم للمراكز والجمعيات الإسلامية بل وانعدامه في كثير من الأعمال، حيث أصبح الخوف هاجسا في دعم المراكز، وكذلك انعدام الثقة في كثير من المراكز والجمعيات الإسلامية حيث عجز الكثير من المراكز عن القيام برسالته في ظل قلة الدعم والتمويل، ولابد من إعادة النظر في ذلك فهي مسؤولية شرعية تتطلب من الجميع حكومات وأفرادا دعم العمل الإسلامي من خلال المؤسسات والمراكز العاملة في الخارج حتى تؤدي دورها على أكمل وجه وبكل حرية ووضوح.

**● هل من كلمة أخيرة توجهونها لجموع المسلمين في العالم؟**

– أشكر قراء المجلة على اقتطاع جزء من وقتهم لقراءة هذه المقابلة بُغية الإفادة من تجارب الآخرين، وما نحن إلا ضمن قافلة تسير في هذا العمل الدعوي، نبدأ من حيث انتهى الآخرون، ونوصي الإخوان والأخوات القراء بأن يكونوا قدوة في سلوكياتهم وأعمالهم، فإن القدوة الحسنة والمثال الطيب أعطى ويعطي ما عجز عنه المُنَظّرون، فالرسول ﷺ هو القدوة الحسنة والمثل الأعلى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فيجب علينا أن نقتدي به ﷺ في جميع أمور الحياة، لنبلغ هذا الدين بالدعوة إليه؛ إذ الدعوة هي وظيفة الأنبياء والمرسلين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

ولابد لكل فرد من أفراد المسلمين ذكورا وإناثا أن يساهموا في نصرة هذا الدين ورفعته كلٌّ بحسبه، فصاحب المال بماله، وصاحب العلم بعلمه، وصاحب الجاه بجاهه، فلا يبخلوا بأنفسهم عن نصرة دينهم، والله تعالى ناصر دينه ومعل كلمته.



عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

# يبغونها عوجًا!

**المتمعن في الساحة المجتمعية اليوم يجد أن نفرًا من الناس يتصدرون المشهد العام، ويسيطرون على المنابر الإعلامية، وخطابهم استفزازي إقصائي للمخالفين لآرائهم وأهوائهم وشهواتهم، متشدقين بضرورة فصل الدين عن الحياة باعتبار أن تجربة الغرب الحضارية خير دليل على صحة هذه الرؤية القاصرة.**

وهؤلاء يرون الأشياء مقلوبة، كأن يرى أحدهم مثلًا مسألة شرب الخمر من الأمور التي يشدد فيها العلماء ويحجرون فيها على الحرية الشخصية، بل تراه يرى أن مثل هذه الأطروحات تؤثر على اقتصاد البلاد، وأن مثل هذه الآراء قد طواها الزمن وعلاها الغبار.. هؤلاء المفلسون موجودون في كل مجتمع من مجتمعاتنا.

وقد صدق المصطفى ﷺ عندما قال: «سيأتي على الناس سنوات خدّاعات، يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن ويُخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة» قيل وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة».

أصحاب الأهواء دائمًا يمكرون بالليل والنهار من أجل إشباع بطونهم وفروجهم، لا يعنيهم الناس، ولا يتلمسون احتياجاتهم، ولا يفكرون في مشاكلهم، ولا ينظرون إلى من هو أدنى منهم، نظرتهم دائما قاصرة على من يحيط بهم أو من ينفعهم أو ينتفع منهم.. ولكن الله دائمًا يفضحهم ويخزيهم ويثبت لدى الناس فساد منطقهم وبطلان منهجهم.

هؤلاء يبغونها عوجًا في نفوسنا وبيوتنا ومجتمعاتنا وأمتنا، حتى نسير بلا منهج أو طريق، ونكون غثاء كغثاء السيل.. لا فائدة ولا هدف في الحياة، نعيش كالأنعام.. لنا قلوب لا نفقه بها، ولنا أعين لا نبصر بها، ولنا آذان لا نسمع بها.



ينتسبون إلى الإسلام ويتكلمون بألسنتنا، ويعيشون معنا، ومع ذلك نجد أن همهم الأول ألا يروا للإسلام راية، يرون أن «الدين لله والوطن للجميع»، و«نحن أعلم بأمور دنيانا»، دائمًا يقولون «إن الحكم إلا لنا».. معاذ الله.

وهم متخوفون من إغلاق المواخير والخمارات، ومتوجسون من القضاء على بيوت العهر والبغاء، ولا يخافون من الله وهو معهم، مطلع عليهم، وكأنهم يعلمون لأول مرة أن هذه من المحرمات، وأنها تسهم في التفسخ الأخلاقي للمجتمعات والانحدار نحو الهاوية.

لا يعلمون أن الإسلام جاء لإخراج البشر من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، جاء ليؤلف بين القلوب ويقرب بين العقول، جاء لينشر العدل والخير والفضيلة بين الناس، ولعل الأمم السابقة خير شاهد على تطور ورقي المجتمعات التي ساسها المسلمون بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبالرغم من أن الإسلام عاش في غربة قد طالت منذ سقوط الخلافة العثمانية، فإنها توشك أن تنتهي ويعود الأصل لأصحابه الربانيين المتطهرين المتوضئين ليقودوا دفة السفينة بروح العدل والفضيلة والخير والإحسان.

## المقاصد الشرعية

مقصود الشرع من الخلق خمسة- كما قرره الإمام أبوحامد الغزالي- وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوّتها فهو مفسدة، وشريعة الإسلام إنما شرعت الأحكام للحفاظ على هذه الأصول التي اصطلح العلماء على تسميتها بالضروريات الخمس.

فالحفاظ على الدين ثابت بالنص؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ولأجل الحفاظ عليه شُرع الجهاد ونُهي عن الردة وعوقب عليها، كما نُهي عن الابتداع في الدين ما ليس منه.

وللحفاظ على النفس شُرع تكريمها وتكثير النسْل بالزواج، وفُرض القصاص والدية دفاعا عن حرمتها، كما حرم كل ما يلقي بها إلى التهلكة.

وللحفاظ على العقل؛ حُرّم المُسكر وإن قلّ، وعوقب من يتعاطاه.

وللحفاظ على النسل أوجب الشرع حفظ العرض بتحريم الزنا ومعاقبة الزاني، وفرْض حدّ القذف.

وللحفاظ على المال وجب شرعًا السعي في طلب الرزق، وأبيحت المعاملات التجارية وغيرها، كما حُرّمت السرقة والغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل وعوقب على جميع هذه الجرائم بعقوبات صارمة.

وبهذه الأصول والوسائل الواضحة كانت مقاصد الشريعة في مأمن من الضياع وفي حراسة من الاعتداء عليها أو تجاوزها، على أنه من الواجب «على العالم المتشبع بالاطلاع على مقاصد الشريعة وتصاريفها أن يفرّق بين مقامات خطابها، فإن منها مقام موعظة وترغيب وترهيب وتبشير وتحذير، ومنها مقام تعليم وتحقيق؛ فيردّ كل وارد من نصوص الشريعة إلى مورده اللائق، ولا تتجاذبه المتعارضات مجاذبة المماذق».

من أجل هذا كانت فكرة الملف ملحّة، وكان طرقها ببعض الدراسات مُهمًا، والله وحده الهادي..

التحرير

## كيف تستفيد من المقاصد في حياتك؟

# المقاصد.. من الفقه إلى الحياة

د.مسعود صبري

**مقصود هذا المقال بيان درجة التجديد في مقاصد الشريعة، والوقوف- بلمحة سريعة- حول محطات التجديد، وبيان كيفية تطوير الإفادة من مقاصد الشريعة بشكل أوسع، وانتقال النظر إليها من النظر الفقهي إلى مجال الحياة العامة، وكيف تكون المقاصد مادة عامة للأفراد والمؤسسات، بما يحقق الإفادة منها في الدين والدنيا.**

### مراحل تطور المقاصد

لقد تطورت مقاصد الشريعة، ومر هذا التطور بمراحل عدة:

المرحلة الأولى: اعتبار المقاصد جزءا من علم أصول الفقه، على مدى مراحل الاهتمام بها المتنوعة قلة وكثرة.

المرحلة الثانية: المناداة باعتبار المقاصد علما مستقلا على يد الطاهر بن عاشور (عالم وفقيه تونسي، ١٢٩٦هـ/١٨٧٩-١٣٩٣هـ/١٩٧٢)، وتوسع الاهتمام بها في مجال استقلالها عن علم أصول الفقه.

المرحلة الثالثة: الوصول إلى إنشاء قسم للدراسات العليا خاص بها في بلاد المغرب العربي، وقيام عشرات الباحثين بالكتابة فيها على مستوى درجتي الماجستير والدكتوراه، وبحوث الترقية، ثم إنشاء مركز خاص للدراسات المقاصدية، وهو مركز دراسات مقاصد الشريعة بلندن ( أسسه أحمد زكي يماني وآخرون).

المرحلة الرابعة: انتهى المطاف- في مجال التجديد في مقاصد الشريعة- باعتبارها كلية ورتبة أعلى من علم أصول الفقه، الذي كان المحضن الأول لها من حيث التعريف والتصنيف.

ومراحل التجديد في مقاصد الشريعة السالف ذكرها ليست محل اتفاق بين علماء الشريعة حتى اليوم، فمازال هناك من يرى تبعية مقاصد الشريعة لعلم أصول الفقه، ومن باب أولى ألا تكون رتبة أعلى من أصول الفقه، لكن هذا لا يمنع من الدعوات والرؤى التجديدية التي تتعلق بمقاصد الشريعة.

ورغم تلك الرؤى التجديدية لمقاصد الشريعة فإن مساحة الحديث عن المقاصد لا يتعدى النظر والاستدلال الفقهي اللصيق بمساحة الاجتهاد، وفهم علوم الشريعة على نحو أوفق.

### المقاصد في حياة الأشخاص

لكننا بحاجة أن نعيد النظر في مجال التجديد الخاص بمقاصد الشريعة، برؤية كلية لا تقف عند حدود التوليد في مجال الفقه والأصول، بل باعتبار مقاصد الشريعة ميزانا للنظر المنهجي فيما يتعلق بدين ودنيا الفرد والجماعة، وعدم حبس المقاصد في مجال التشريع، لنُخرج منها منهجا ينبع عنه استقامة الحياة بكل مجالاتها.

باحث في المركز العالمي للوسطية





فعلى المستوى الشخصي يحتاج الإنسان الإفادة من المقاصد بما يحقق له التوازن والشمول في حياته، وتقديم الجوهر على المظهر، وإدراك فقه الأولويات في دينه ودنياه، حتى تمثل المقاصد بوصلة التوجيه العقلي والفكري والروحي والتشريعي، فبعد استخراج منهج النظر والاستدلال من المقاصد يمكن تطبيقه بشكل ناجح وناجع في فروع حياته كما يستعمله الفقيه في الاستدلال، والنظر في الفروع الفقهية التي تتعلق بالحلال والحرام.

ولعل التدليل للمقاصد في الفقه والأصول كثير مشتهر، لكن التدليل له في حياة الناس أمر جديد من حيث التنظير والتطبيق.

## مجالات الإفادة من المقاصد

ولنضرب أمثلة على الإفادة من المقاصد في حياة الإنسان..

في مجال الإنفاق، فيما يتعلق بالأفراد والمؤسسات، فإنه يمكن اعتماد رتب المقاصد من الضروريات (هي التي تتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، بحيث إذا فقدت اختلت الحياة الدنيا وحل العقاب في الآخرة)، والحاجيات (هي التي يحتاج الناس إليها لرفع الحرج عنهم فقط، بحيث إذا فقدت وقع الناس في الضيق الحرج

## رتب المقاصد تقدم للمؤسسات والأفراد خطة تشغيلية لتنظيم إجراءات الحياة

دون أن تختل الحياة )، والتحسينيات (هي المصالح التي يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق )، مع الإفادة من دلالات تلك المصطلحات الثلاث دون التقيد بدلالاتها داخل الدرس المقاصدي، فكم من الأموال تهدر على مستوى الأفراد والمؤسسات وهي في رتبة التحسين! في حين يغيب الاهتمام بأهداف وطموحات هي من باب الضرورة أو الحاجة، مما يمثل عائقا كبيرا في حياة الفرد وفي مسيرة المؤسسات الرسمية والشعبية، وتتعطل خطط الإنتاج الطموحة لغياب فكر المقاصد فيها. والعمل بمنظومة رتب المقاصد سيوفر للفرد والمؤسسات أموالا طائلة، وسيرشد الإنفاق بشكل كبير، مما يمكن به الانتفاع بالموفور المالي في مجالات أكثر أهمية.

فإذا كان لدى الفرد مثلا تفكير في رحلة ترفيهية خارج البلاد، ودورة تدريبية تخص تنمية مهاراته المهنية، وليس معه مال إلا لإحداهما، فإنه بناء على منهج المقاصد يقدم الدورة التدريبية على الرحلة، وتؤجل الرحلة لحين توفير السيولة لها إن كانت مهمة، أو إلغائها والبحث عن بدائل أوفر وأسهل لتحقق مقاصد الرحلة الترفيهية.

وإذا كان للفرد أهداف مالية ويلح عليه شراء بيت أو شقة، كما أنه بحاجة إلى شراء سيارة، وهو يسكن بالإيجار، فإنه يقدم شراء السكن على شراء السيارة، لأنه يمكن أن يتحمل التنقل بوسائل المواصلات، ويقدم شراء السكن ليوقف نزيف ثمن الإيجار، وينتقل إلى التمليك، وما يملكه يكون له رصيدا ماليا قد يستفيد به فيما بعد.

هذا بخلاف من يريد بعض المشاريع، ويحتاج إلى سيولة، ويفكر في شراء سكن أو يكوّن به مشروعا استثماريا، فإنه يقدم المشروع على السكن، ويستعيض عن شراء السكن بسكنى بالإيجار.

وإذا كان عند الإنسان أكثر من أمر يريد فعله، ولا وقت كافيا إلا لأحدهما، كأن يريد القيام بالكشف الطبي أو المشاركة في ندوة علمية، فإنه يقدم الكشف الطبي، لأن الحفاظ على النفس مقدم على الحفاظ على رتبة التحسين في الحفاظ على العقل.

إن جملة من مقاصد الشريعة لكفيلة بتنظيم الحياة سياسيًا واقتصاديًا وفكريًا واجتماعيًا، فرتب المقاصد من الضروري والحاجي والتحسيني، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وترتيب فقه الأولويات (وهو العلم بالأحكام الشرعية التي لها الحق في التقدم على غيرها بناء على العلم بمراتبها، وبحسب الواقع الذي يتطلبها)، والتنبه إلى مقصود الأعمال.. ليعطي للأفراد والمؤسسات خطة تشغيلية يساعدها في تنظيم الإجراءات التي تسهم في البناء الإيجابي بما يدفع للعيش في حياة كريمة، وتحقيق أمنيات وغايات في وقت يغلب عليه الترشيد لتحقيق ما نصبو إليه.

**عندما طرح أئمة المقاصد نظريات للمقاصد منذ الترمذي الحكيم (ت ٢٩٦هـ) والقفال الكبير (ت ٣٦٥هـ) والعامري الفيلسوف (ت ٣٨١هـ)، مرورًا بالجويني (ت ٤٧٨هـ) والغزالي (ت ٥٠٥هـ) والشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، وانتهاء بابن عاشور (ت ١٣٧٩هـ/ ١٩٧٣م) (١) والفاسي (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٧٤م)، كانت نظرياتهم تصنيفات لنصوص الشريعة حسبما تصوروا من غاياتها والمعاني التي شرعت من أجلها، ولكن قبل الشروع فيما يلي من محاولة لتحليل هذه التصنيفات حسب مفهوم رؤية العالم، وجب القول إن هدف هذا التحليل هو فهم آليات التجديد والإبداع في هذا العلم- علم المقاصد الشرعية- والاستفادة منها في البحث المعاصر، وليس الهدف من هذا التحليل الدعوة إلى نبذ نظريات المقاصد بدعوى عدم مناسبتها للعصر كما قد يتسنى لبعض «التفكيكين» المعاصرين ممن يتبنون فلسفات ما بعد الحداثة، مما سيأتي ذكره في مبحث لاحق، فقناعتي أن المقاصد والمقاصديين أمل كبير من آمال هذه الأمة في تجديد أصيل ومبدع ليس في علومها الشرعية فقط وإنما في علومها الاجتماعية والإنسانية على حد سواء، ولكن هذا التجديد لابد له- فيما يبدو لي- من فهم لقابليات التجديد في نظريات المقاصد نفسها حتى تفعل هذه القابليات التفعيل الصحيح دون إفراط تضيع معه الثوابت الإسلامية أو جمود تتحول فيه المعاني الاجتهادية إلى ثوابت مقدسة.**

# مقاصد الشريعة.. المفهوم والدلالة

د. جاسر عودة

وقد يسأل: كيف يكون المعنى الواحد نتيجة لرؤية العالم عند المجتهد وفي الوقت نفسه مقصودًا للشارع تعالى؟ والجواب هو أنه لا تناقض بين هذا وذاك، فالمقصد من النصوص الشرعية إما أن ينص الشارع عليه صراحة- كالعدل مثلًا- وإما أن يستقرأ مثل حفظ النسل، فأما المعنى المنصوص عليه صراحة فليس لرؤية العالم دخل في تصور معناه المجرد، ولكن في تصور تطبيقه في الواقع الاجتماعي، فقد تختلف الإجراءات المطلوبة لتحقيق مقصد العدل مثلًا من مجتمع لمجتمع، وهذا مثل ما يسمى عند الفقهاء بمراعاة العرف في تحقيق المناط.

وأما المعنى الذي يستقرأ فلا يتناقض استقراؤه مع كونه مقصودًا للشارع تعالى حسب غلبة الظن عند المجتهد، فإنما الأعمال بالنيات ولا يكلف الله تعالى العباد إلا بما تصل إليه عقولهم بعد بذل الوسع ويغلب على ظنهم الصواب، والله أعلم بمراده في جميع الأحوال، من ذا الذي يدعي أنه أصاب باستقراء أو استنباط قصد الله تعالى على القطع؟ إنما هو الظن والتكلف، ولكنه ظن كلما بني على باع في العلم واستقصاء في البحث اقترب من يقين واستحق به التكليف، فإذا غلب على ظن المجتهد أن معنى معينًا مقصودًا للشارع وجب عليه مراعاته ولزمه ذلك.

والمباحث التالية تضرب أمثلة على الاجتهاد الذي حدث عبر أجيال المقاصديين في مصطلحات الضرورات من المقاصد، وتحاول تحليل رؤية العالم على تطور هذه المصطلحات.

## من حفظ النسل إلى بناء الأسرة

ذكر أبوالحسن العامري الفيلسوف «مزجرة هتك الستر» التي شرع لها حد الزنا في سياق إرهاصته المبكرة بالضرورات الخمس في كتابه «الإعلام بمناقب الإسلام»، ثم ورد التعبير الذي اختاره إمام الحرمين الجويني في برهانه وهو «عصمة الفروج»، ثم استخدم تلميذ الجويني أبوحامد الغزالي في مستصفاه تعبير «حفظ النسل»، وهو التعبير الذي تبناه الشاطبي- معلم المقاصد الأول- في موافقاته، أما المعلم الثاني- الطاهر بن عاشور- فقد قدم إبداعًا نوعيًا حين كتب عن النظام الاجتماعي في الإسلام في إطار غايات الشريعة وأهدافها وكان رائدًا في هذا المقام للمعاصرين من أمثال الشيخ محمد الغزالي ود.يوسف القرضاوي وغيرهم.

وهذا التطور الذي دخل على هذا المصطلح عبر الأجيال كان موازيًا للتطور الذي حدث لثقافة التصورات في مجتمع المسلمين ورؤية العالم عند هؤلاء الأئمة الذين تفاعلوا مع الواقع فيما طرحوه من أطروحات. فـ«مزجرة هتك الستر» اقتصرت على بيان حكمة الحدود الشرعية في هذا الباب، كما ذكر العامري، وهو تعبير يصور مجتمعًا يسعى لسلامته وأمنه بردع المجرمين

نائب مدير مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق بمؤسسة قطر



وهاتكي الأستار فيه، ولكن «عصمة الفروج»- وهو تعبير الجويني- لا يتعلق فقط بردع الجريمة في هذا الباب وإنما يعبر أيضًا عن مبدأ يمتد ليشمل خلقًا منشودًا وحقًا من حقوق الفرد والمجتمع في عصمة فروجهم، أما «حفظ النسل» فهو أوسع من المفهومين السابقين لأنه يشمل درء المفاسد ودعم المبادئ المذكورة بالإضافة إلى مصلحة الفرد في حفظ فلذة كبده، بل يلقي تعبير حفظ النسل ظلالًا على مصلحة الأمة في حفظ الأجيال الناشئة، وهو مفهوم حضاري أوسع من قضية الزجر عن هتك الستر أو الحفاظ على عصمة الفروج.

ثم لما أدرج الشيخ القرضاوي «تكوين الأسرة الصالحة» (٢) في مقاصد الشريعة الإسلامية بشكل مباشر، عكس ذلك المصطلح رؤية للمجتمع تظهر فيها الأسرة كوحدة بنائه الأساسية، وهي رؤية تختلف عن الرؤية التقليدية، وهذا لا يعني أن تلغى «مزجرة هتك الستر» أو تسقط «عصمة الفروج» أو يتناسى «حفظ النسل» وإنما يعني أن يكون تحقيق هذه المصالح الفردية والجماعية جزءًا ونتيجة لبناء الأسرة وفي إطارها، وهو أولى، ولا يخفى أن إعطاء هذه الأولوية لمصلحة الأسرة يعزز من حقوق المرأة- التي تحتاج إلى دعم إذا ما استقرأنا الواقع المعاصر- وحقوق الأولاد الذين هم عماد مستقبل المجتمع والأمة، وحمايتهم جميعًا من التعسف والبخس، وبهذه المرونة في تطوير المصطلح المقاصدي توظف الشريعة الإسلامية في خدمة قضايا الأمة ومصالحها المعاصرة.

## من حفظ المال إلى التنمية الاقتصادية

تكلم العامري الفيلسوف عن مقصد سماه «مزجرة أخذ المال» التي شرعت لها حدود

## مقياس التنمية البشرية: مستوى الدول الإسلامية أقل من المتوسط

السرقة والحرابة، وذلك أيضا في سياق إرهاصته المبكرة بالضرورات الخمس، ثم كان تعبير إمام الحرمين في نفس المعنى عن مفهوم آخر من مفاهيم العصمة، وهو «عصمة الأموال» ثم طور أبوحامد الغزالي ذلك المعنى في مستصفاه إلى جزء من نظرية الحفظ عنده وسماه «حفظ المال»، وأصل الشاطبي لنفس المعنى في موافقاته، والمال مذكور في مواضع كثيرة من القرآن، وهو قوام حياة الناس، وأهمية كون المال من طيب الكسب ومكرمة الجود به وعار البخل به كلها مفاهيم أصيلة في ثقافة العرب وتصوراتهم. قال حاتم الطائي مثلا:

**إذا كان بعض المال ربا لأهله**
**فإني بحمد الله مالي معبد**
**يفك به العاني ويؤكل طيبًا**
**ويعطى إذا منّ البخيل المطرد**

أما في العصر الحديث، فقد توسع مفهوم المال ليشمل مفهوم الثروة والقيمة التي ترتبط بالاقتصاد المحلي والدولي، وعبرت عن هذا التطور نظريات «الاقتصاد الإسلامي» التي زاد البحث العلمي الجاد فيها خاصة في العقود الثلاثة الأخيرة بعد ظهور مشاريع البنوك



الإسلامية، ثم حدث تطور نوعي في تناول مقصد حفظ المال عند بعض المعاصرين، وأصبح مفهومًا اقتصاديًا استقرأ السيد هادي خسروشاهي- مثلا- من أجله من نصوص الكتاب والسنة ما يلزم الدولة بتحقيق التكافل والتعادل والتقريب بين الطبقات بالإضافة إلى ما يحفظ أموال الأفراد من الاعتداء والغصب- وهو المفهوم الأساس (٣).

وقد فسر بعض الباحثين المعاصرين حفظ المال بالازدهار الاقتصادي بل والتنمية، فمثلا، كتب د.أبويعرب المرزوقي (٤) (على الرغم من نقده لعلم المقاصد نفسه على أساس «عدم قطعيته»- ويناقش ذلك مبحث قادم): «إنما حفظه (أي المال) يكون بتحقيق شروط تكوينه السوي وأولها الدولة العادلة وشروط توزيعه المناسب للجهد والعدل بحسب ما فرضه الإسلام من معايير، فيكون الحفظ هنا تحقيق شروط المكافأة العادلة التي هي شرط شروط الازدهار الاقتصادي»، وكتب د.سيف عبدالفتاح: «المقاصد الكلية ليست إلا صياغة لمفهوم متكامل للتنمية من منظور حضاري» (٥). وهذه الإضافات القيمة بحاجة إلى بحث وتأصيل حتى تربط بالنصوص الشرعية وتفسر من خلالها مصطلحات المقاصد تفسيرًا جديدًا أو لعلها تكون سبيلًا لتقديم مصطلحات مقاصدية جديدة في هذا الباب أقرب لرؤية العالم اليوم فيما يصلح الناس، وهذه آلية لتفعيل المقاصد تفعيلًا يمس مشكلات الناس ويتعامل مع واقعهم، فحسب تقارير الأمم المتحدة في الأعوام الأخيرة، تقع غالبية الدول الإسلامية (وتحتوي على نحو ٩٠٪ من المسلمين) في مستوى أقل من المتوسط في مقياس التنمية البشرية، والذي هو مفهوم أوسع من التنمية الاقتصادية،

تقيسه لجنة التنمية بالأمم المتحدة بناء على عدة مقاييس لمستويات الصحة ومحو الأمية والمشاركة السياسية وتفعيل دور المرأة وسلامة البيئة، بالإضافة إلى مستوى المعيشة».

وبناء على هذه المرونة التي يتمتع بها مصطلح المقاصد، فإنه يمكن صياغة مقصد «للتنمية البشرية» يكون له تميزه بإضافة مقاييس إسلامية تعبر عن قيم الإسلام الأصيلة، فمثلًا، محو الأمية واجب إسلامي، ولكن الإسلام لا يكتفي بمحو الأمية أو التعليم الأساسي لقياس مستوى التعليم في المجتمع كما هو الحال في مقياس التنمية البشرية الحالي، إذ يجعل الإسلام من طلب العلم فريضة دون تحديد حد أعلى لذلك ويجعل من التفوق في كل علم أيا كان فرضًا كفائيًّا إسلاميًّا، والمشاركة السياسية في مفهوم الإسلام لا تقاس فقط بنسبة التصويت في الانتخابات أو عدد الوزراء من طائفة أو أقلية ما، كما هو الحال في مقياس التنمية البشرية الحالي، وإنما المشاركة في صنع القرار السياسي على كل المستويات مسؤولية إسلامية على كل مسلم، سماها الرسول ﷺ «النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم» (٦).

## من حفظ النفس والعرض إلى حفظ حقوق الإنسان

وحفظ النفس، وحفظ العرض أيضًا من المصطلحات التي عبرت عن تصور لقيم أساسية عبرت عنها كل أجيال المقاصديين، والمصطلحات التي استخدمت في هذا الباب هي: «حفظ النفس» و«مزجرة قتل النفس» و«حفظ العرض» و«مزجرة ثلب العرض» و«حفظ النسل» عند من ضم حفظ العرض إلى حفظ النسل في التقسيم مثل الجويني والغزالي والشاطبي، وتعبير النفس قد ورد بوضوح في القرآن الكريم، ولكن لم يرد فيه تعبير العرض، إلا أنه ورد في حديث رسول الله ﷺ مثل: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»، و«إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم» (٧)، والعرض مكون أساسي من تصور الإنسان وعلاقاته الاجتماعية عند العرب- شاع في أشعارهم وأدبياتهم على مدار العصور، لعل من أشهرها الأمثلة التالية:

قال عنترة:

**ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تدر**
**للحرب دائرة على ابني ضمضم**
**الشاتمي عرضي ولم أشتمهما**
**والناذرين إذا لم ألقهما دَمي**

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

**سأمنح مالي كل من جاء طالبًا**
**وأجعله وقفًا على القرض والفرض**
**فإما كريم صنت بالمال عرضه**
**وإما لئيم صنت عن لؤمه عرضي**

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في المعنى نفسه:

**أصون عرضي بمالي لا أدنسهُ**
**لا بارك الله بعد العرض في المال**

وأما المعاصرون فقد شاع بينهم- في معرض الحديث عن حفظ النفس والعرض- مصطلح «حفظ الكرامة» أو «حفظ الكرامة البشرية» كنوع من التجديد أو التفسير لهذين المصطلحين (٨)، ومفهوم الكرامة البشرية لصيق بمفهوم «حقوق الإنسان» الذي تصوره أيضا كثير من المعاصرين في تنظيرهم للمقاصد الشرعية في السياق نفسه (٩)، وهذه آلية أخرى لتفعيل المقاصد تفعيلًا يمس مشكلات الناس ويتعامل مع واقعهم.

إلا أنني أرى أنه من الضروري أن تبحث مسألة حقوق الإنسان بشكل مفصل قبل إدماجها بالمقاصد الشرعية حتى يفرق بين ما يدعو إليه الإسلام من حقوق للإنسان تتفق فعلًا مع المبادئ (الأساسية) لحقوق الإنسان العالمية، وبين بعض التفسيرات والإلحاقات لهذه الحقوق في بعض المجتمعات والتي قد تختلف جذريًّا مع ثوابت الرؤية الإسلامية، فمفهوم الحرية التي اعتبرها الطاهر ابن عاشور وعدد من المعاصرين من مقاصد الشريعة الإسلامية- واستدلوا على ذلك باستقراء الكتاب والسنة- يختلف عن مفهوم الحرية عند كثير من الأوروبيين مثلًا، والذي قد تتعدى فيه حرية التعبير إلى حرية الإهانة والسخرية، وحرية اختيار الأزواج إلى حرية الشذوذ أو الخيانة، وحرية التصرف في البدن إلى حرية قتل المرء نفسه أو تعاطي المخدرات، وعليه فالأمر يحتاج إلى تحقيق حتى لا تفسر مفاهيم حقوق الإنسان بما يتناقض مع معايير الإسلام وثوابته، وحتى لا يطلق «مقصد حفظ حقوق الإنسان» على عواهنه ويساء استغلاله.

## من حفظ العقل إلى نماء الملكات العقلية والفكرية

مر حفظ العقل بتطور مماثل على مدار الأجيال من التركيز على حد الخمر فقط لكونها مذهبة للعقل إلى توسيع ذلك المفهوم حتى يشمل كل ما يتصل بالعقل من علم وفكر، فمثلًا، كتب د.يوسف القرضاوي: «أرى أن حفظ العقل يتم في الإسلام بوسائل وأمور كثيرة، منها: فرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، والرحلة في طلب العلم، والاستمرار في طلب العلم من المهد إلى اللحد، وفرض كل علم تحتاج إليه الأمة في دينها أو دنياها فرض كفاية، وإنشاء العقلية العلمية التي تلتمس اليقين وترفض اتباع الظن أو اتباع الهوى، كما ترفض التقليد للآباء وللسادة الكبراء، أو لعوام الناس، شأن «الإمعة»، والدعوة إلى النظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء إلى آخر

ما فصلناه في كتابنا «العقل والعلم في القرآن الكريم» (١٠).

ومن الجيل الجديد من المقاصديين، كتب د.سيف عبدالفتاح: «حفظ العقل ضرورة من ضرورات العمران- إن نسل كثير ونفوس لا تتمتع بالرشد والعقل إنما يعبر عن كم مهمل أو هو في أحسن الأحوال إضافة سلبية تتحرك ضد مقصود العمران- حفظ العقل باعتباره مناط التكليف وقاعدة حمل الأمانة وأساس لقيمة الاختيار، إن حفظ العقل من كل ما يسلبه من أفكار وتسميم وغسل مخ، وحفظه من كل ما يذهبه لهو تعبير عن الحفظ الأساسي اللازم لأن يمارس العقل وظيفته وفاعليته في تحرك إمكانات تسكين عناصر متعددة ضمن حياتنا المعاصرة (هجرة العقول- عقلية القطيع والعوام- غزو العقول- استلاب العقول...) (١١). و«كتب د.أبويعرب المرزوقي: «القصد بحفظ العقل إن قلنا بنظرية المقاصد وسلمنا بوظيفة الحفظ لا التنمية ليس هو ما فهم الفقهاء كتحريم الخمر أو المخدرات، فمفسدات العقل من حيث هو ملكة طبيعية حرمت نصًّا ولا يحتاج فيها الناس إلى تعليل بمقصد حفظ العقل، إنما المقصود إن صحت نظرية المقاصد تحقيق شروط نماء الملكات العقلية بتحقيق شروط عملها بحرية» (١٢).

فمن هذه الأمثلة- وغيرها- يظهر التطور الذي يحدث لمصطلح حفظ العقل تبعًا لتغير رؤية العالم لدى المقاصديين، فظهر مثلا تأثير السياسة والاقتصاد في مفهوم «هجرة العقول» الذي ذكره د.سيف، وتأثير الأعراف الاجتماعية والعلمية على مفهوم «العقلية العلمية» الذي ذكره الشيخ القرضاوي، وقس على ذلك.

وهذا التطور في المقاصد سواء وقع من باب إعادة التفسير مع الإبقاء على المصطلح الأصلي (حفظ العقل)- وإعادة




التفسير على أي حال سمة عامة في الاتجاهات الفكرية الإسلامية المعاصرة- أو وقع من باب إعادة نحت المصطلح نفسه مثل «مقصد نماء الملكات العقلية والفكرية»، فتوظيف مصطلح المقاصد في التنمية الفكرية والعلمية لا تخفى فوائده.

## من حفظ الدين إلى كفالة الحريات الدينية

والمثال الأخير الذي يوضح أثر رؤية العالم على المصطلح المقاصدي هو مفهوم حفظ الدين، الذي بدأ بدوره معبرًا، عن «مزجرة خلع البيضة» بتعبير العامري الذي ارتبط بما يسمى بحد الردة، وانتهى بمصطلح «حفظ الدين» عند كل العلماء الذين كتبوا عن المقاصد من بعد، ليس فقط مستندين إلى ما يسمى بحد الردة ولكن بناء على حفظ العقائد والعبادات وغيرها من شرائع الإسلام.

ثم حدث تطور نوعي مشابه لما مر في تفسير هذا المفهوم، أمثل عليه مرة أخرى مما كتب د.سيف عبدالفتاح «لا إكراه في الدين: حفظ الدين في إطار يشمل حركة من الفرد إلى الجماعة إلى الأمة ومن الذات إلى الغير حتى مع اختلاف الأديان» (١٣). أي إن حفظ الدين يشمل كل الديانات بناء على مبدأ لا إكراه في الدين، وهذا مثال على مدى التغير الذي قد يحدث في مصطلح شرعي حين يعاد تأويله في ضوء رؤية عالم مختلفة، فقد تحول حفظ الدين من مبدأ يقوم عليه «حد الردة» إلى مبدأ يضمن كفالة الحريات الدينية بالمعنى المعاصر.

## هل للمقاصد المتصورة حد معلوم أو هيكل نمطي محدود؟

الإجابة المطروحة على هذا السؤال تتعلق أيضًا بقضية الطبيعة التصورية للمقاصد، فإذا اتفقنا على أن المقاصد تصورات نظرية في أذهان المجتهدين، فكذلك المسمى والهيكل- اللذان يمثلان جزءًا من ذلك التصور- قد يتغيران حسب العقول ويتغير الزمان والمكان، ولا يعني ذلك أن الشارع- عز وجل- لم يرتب المقاصد ترتيبًا معينا تنظم فيه، فالترتيب والتنظيم والإبداع في خلق كل شيء وفي تشريع كل شيء نؤمن به عقيدة، ولكن إدراك هذا الترتيب المنتظم- الذي قد يكون أعقد بكثير من أنساقنا الأولية البسيطة- ليس بلازم، ومثلا ذلك الكون المرئي وقد خلقه الباري تعالى بإبداع ونظام وإحكام وتوازن وما له من فطور، وكل مسلم يؤمن بذلك، ولكن محاولاتنا- نحن البشر- لاكتشاف هذا النظام وسبر أغواره كلها ناقصة، وهذا ما تثبته الأيام، فعلى مدار التاريخ كلما تصور علماء الطبية نظامًا في مجال ما نتيجة اكتشاف ما، جاء بعد ذلك بزمن- طال أو قصر- اكتشاف آخر ليعلمنا أن ما سبق كان صحيحًا جزئيًّا فقط وأن درجة أكبر من التعقيد قد تقترب بنا من «حقيقة» النظام الكوني، ولكن ما أدراك ما حقيقة النظام الكوني؟! ويبدو لي أن

المقاصد لا تخرج عن هذا المثال، نعم، لابد للمقاصد من حصر وهيكل ونسق، ولكن ما تصل إليه عقول المقاصديين هو اجتهاد يقبل التطور دائما ولا يلزم أن يكون هو الحقيقة كلها.

فمثلًا، قسم العلماء المعاصرون المقاصد إلى مستويات ثلاثة: عامة وخاصة وجزئية (١٤)، فالمقاصد العامة هي المعاني التي لوحظت في جميع أحوال التشريع أو أنواع كثيرة منها، كمقاصد السماحة والتيسير والعدل والحرية (١٥).

وتشمل المقاصد العامة الضرورات المعروفة التي استهدفتها الشريعة بما يعود على العباد بالخير في دنياهم وأخراهم، مثل حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال والعرض، والمقاصد الشرعية الخاصة هي المعاني التي لوحظت في باب من أبواب التشريع المخصوصة، مثل مقصد عدم الإضرار بالمرأة في باب الأسرة، ومقصد الردع في باب العقوبات، ومقصد منع الغرر في باب المعاملات المالية، وهكذا... والمقاصد الجزئية عرفت بمعنى الحكم والأسرار التي راعاها الشارع في حكم بعينه متعلق بالجزئيات (١٦)، كمقصد توخي الصدق والضبط في مسألة عدد الشهود وأوصافهم، أو مقصد رفع المشقة والحرج في الترخيص بالفطر لمن لا يطيق الصوم، أو مقصد التكافل بين المسلمين أي عدم إمساك لحوم الأضاحي، وهكذا.

وهناك نسق آخر لتصنيف المقاصد في هرم منتظم من الأهداف في قاعدته الضرورات ثم تتلوها الحاجيات ثم التحسينيات (وهو الهرم الذي يدرس الآن- بحذافيره- في علوم الإدارة الحديثة تحت مسميات مثل هرم الحوافز البشرية وغيرها من دون ذكر ولا إشارة لأي من علماء المقاصد المسلمين الذين استحدثوه استحداثا).

ولكن يبدو لي أنه رغم أهمية مسألة الأولويات نظريًا وعمليًا إلا أنه يصعب استقراء مقاصد الشريعة كلها واستقصائها في مستويات هرمية صارمة، فضلا عن أن يُبنى على هذه الهرمية نتائج فقهية بشكل آلي، وهو ما حاوله بعض العلماء الأعلام، فأبوحامد الغزالي مثلا قد رتب الضرورات الشرعية ترتيبا اشتهر بعد ذلك وتابعه عليه كثير من الفقهاء، وهو حفظ الدين ثم النفس ثم العقل ثم النسل ثم المال (١٧)، ثم بنى على ذلك الترتيب نتائج فقهية فقال: «عند تعارض مصلحتين ومقصودين، يجب ترجيح الأقوى»، ومثل لذلك بإباحة شرب الخمر تحت الإكراه، وهو متوافق مع تقديم حفظ النفس على حفظ العقل (١٨)، ولكن أبا حامد ناقض الترتيب حين لم يفت بإباحة الزنا تحت الإكراه، رغم أن النسل متأخر عن النفس في ترتيبه المذكور، والآمدي قد وضع بعض الأولويات الفقهية العملية مثل تقديمه لحفظ الدين على النفس، رغم أن هذا مناقض- مثلا- لإباحة النطق بكلمة الكفر تحت الإكراه، وتأخيره لمقصد حفظ المال عما سواه رغم أن «من قتل دون ماله فهو شهيد»، ولعل هذه الإشكالات هي التي أدت إلى عدم تصريح كثير من العلماء بترتيب محدد في مسألة المقاصد الضرورية مثل الشاطبي، والرازي والقرافي وابن تيمية.

## الهوامش

١- تعريف ابن عاشور: المعاني التي قصد الشارع إلى تحقيقها من وراء تشريعاته وأحكامه، محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة: محمد الميساوي، دار الفجر (كوالا لامبور)، ودار النفائس (عمان)، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص: ١٨٣، التفكيك (deconstruction) هو مصطلح استحدثه جاك دريدا (وهو فيلسوف فرنسي يهودي من أصل جزائري) في الستينيات من القرن العشرين لتفكيك والتخلص- حسب رأيه- من كل تمحور أو مركز حول أي سلطة كانت سواء كانت لنص أو لدين أو لجنس.

﴿إن الله يأمر بالعدل...﴾ (النحل: ٩٠)، ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (الحديد: ٢٥)، وإدخالي للعدل ضمن منظومة المقاصد أنقله عن كثير من العلماء المعاصرين مثل الطاهر بن عاشور ومحمد الغزالي- رحمهما الله، راجع: جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، المعهد العالي للفكر الإسلامي بفرجينيا ودار الفكر بدمشق، ٢٠٠١م.

٢- في ورقته التي قدمها تحت عنوان «بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، دراسة في فقه مقاصد الشريعة» للندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية- مقاصد الشريعة الإسلامية، دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق، تحرير: محمد سليم العوا، لندن، ٢٠٠٦، وقد ذكره من قبل في كتابه: كيف نتعامل مع القرآن الكريم- طبعة دار الشروق.

٣- في ورقته التي قدمها تحت عنوان «حول علم المقاصد الشرعية، وبعض أمثلتها التطبيقية» في الندوة المذكورة أعلاه.

٤- من بحث «محاولة فهم مآزق أصول الفقه بعد بلوغ تأسيسه الأول الغاية»- أبويعرب المرزوقي- أرسله لي مشكورًا عن طريق البريد الإلكتروني- وهو على حد علمي تحت الطبع في سلسلة حوارات لقرن جديد- دار الفكر.

٥- ورقة قدمها تحت عنوان «نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي» للندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية- مقاصد الشريعة الإسلامية دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق.

تحرير: محمد سليم العوا، لندن ٢٠٠٦، وقصد بها التنمية البشرية بمفهومها الشامل.

٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ج: ١، ص: ٧٥.

٧- صحيح مسلم ج: ٤، ص: ١٩٨٦، وصحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ١٤٠٧- ١٩٨٧، الطبعة الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ج: ١، ص: ٣٧.

٨- يوسف القرضاوي، مدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة، ١٩٩٦م، ص: ٧٥، أيضًا: ورقة د.عبدالرحمن الكيلاني «القواعد الأصولية والفقهية، وعلاقتها بمقاصد الشريعة الإسلامية» قدمها للندوة التأسيسية لمركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية- مقاصد الشريعة الإسلامية: دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق تحرير: محمد العوا، لندن ٢٠٠٦.

٩- مثلا: ورقة «بين مقاصد الكلية والنصوص الجزئية» يوسف القرضاوي- مرجع سابق.

١٠- نفسه.

١١- ورقة «نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي»- سيف عبدالفتاح- مرجع سابق.

١٢- ورقة «محاولة في فهم مآزق أصول الفقه بعد بلوغ تأسيسه الأول الغاية»- أبويعرب المرزوقي- مرجع سابق.

١٣- ورقة «نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي»- سيف عبدالفتاح- مرجع سابق.

١٤- انظر: نعمان جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص: ٢٦- ٣٥، وفيه تقسيمات متعددة تبعًا لاعتبارات مختلفة.

١٥- مقاصد الشريعة الإسلامية- محمد الطاهر بن عاشور ص ١٨٣- مرجع سابق.

١٦- طرق الكشف عن مقاصد الشارع - نعمان جغيم ص: ٢٨ - مرجع سابق.

١٧- محمد بن محمد الغزالي أبوحامد، المستصفى، تحقيق محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ج:١، ص: ٢٥٨.

١٨- نفسه ص: ٢٦٥.



# المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي

عامر أحمد عامر

**ثمة صحوة ملحوظة في دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية توازي الصحوة الإسلامية أو تقاربها، حيث أضحى للمقاصد مناهج دراسية، ورسائل علمية أكاديمية، ودراسات وأبحاث، وندوات ومؤتمرات، وأصبح للمقاصد أعلام ومتخصصون كما لكل فن وعلم، وهذا تطور طبيعي لعل من أسبابه ما نحياه من نهضة علمية وتطور على كل الأنحاء.**

**والحق أن الحادثات والمستجدات تحتاج إلى إعمال لآليات الاجتهاد المستقرة عندنا، التي أرسى دعائمها وشيَّد عمارتها من هيأهم الله تعالى لهذه المهمة، كما تحتاج إلى توسيع لهذه الأوعية لتكون الشريعة أكثر قدرة- بفعل المجتهدين فيها- على الاستيعاب والاحتضان، فمن مقاصد وضع الشريعة دخول المستجدات تحت مظلتها، وهذا ما يمكن أن تساهم فيه المقاصد الجزئية بشكل أو بآخر.**

«المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي.. دراسة تأصيلية تطبيقية» كان عنوان رسالة لنيل درجة الدكتوراه تقدم بها الباحث وصفي عاشور أبوزيد ونوقشت أخيرًا في قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، وتكونت لجنة المناقشة والحكم من د.محمد قاسم المنسي مشرفا، ود.محمد كمال الدين إمام مناقشا، ود.إبراهيم محمد عبدالرحيم مناقشًا.

وقد جاء البحث في مقدمة وستة فصول وملحق وخاتمة، فأما المقدمة فقد احتوت على الحديث عن أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة حوله، وصعوباته، ومنهجه، ومنهج الباحث فيه، ومصادره، وخطته.

وأما الفصل الأول فحمل عنوان «ماهية المقاصد الجزئية وطبيعتها، واحتوى على مبحثين، الأول: تعريف المقاصد الجزئية والأثر والاستدلال الفقهي والألفاظ ذات الصلة، والثاني: طبيعة المقاصد الجزئية، وجاء في خمسة مطالب: المطلب الأول: مقصد الحكم الجزئي بين الانفراد والتعدد، والمطلب الثاني: مقصد الحكم الجزئي بين الجزئية والكلية، والمطلب الثالث: المقصد الجزئي بين القطعية والظنية والوهمية، والمطلب الرابع: المقصد الجزئي بين الأصلية والتبعية، والمطلب الخامس: طبيعة العلاقة بين مقصد الحكم وعلته.

وأما الفصل الثاني فكان عنوانه: تأصيل العمل بالمقاصد الجزئية، وكان في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: المقاصد الجزئية في القرآن الكريم، والمبحث الثاني: المقاصد الجزئية في السنة النبوية، والمبحث الثالث: العمل بالمقاصد الجزئية عند الصحابة.

وتحدث الفصل الثالث عن نطاق المقاصد الجزئية، وجاء في ثلاثة مباحث أيضًا، المبحث الأول: كلام الأصوليين في مقاصد الأحكام الجزئية جملة وتفصيلاً، والمبحث الثاني: المقاصد الجزئية في العبادات جملة وتفصيلاً، والمبحث الثالث المقاصد الجزئية في غير العبادات جملة وتفصيلاً كذلك.

وجاء الفصل الرابع بعنوان: مسالك الكشف عن المقاصد الجزئية، وكان في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: طرق الكشف عن المقصد الجزئي، والمبحث الثاني: مقارنة بين مسالك الكشف عن العلة والمقصد الجزئي، والمبحث الثالث: المقصد الجزئي: خطورة إثباته وصعوبة تحديده.

وأما الفصل الخامس فكان بعنوان: ضوابط اعتبار المقاصد الجزئية ومدى حجيتها، وجاء في مبحثين: المبحث الأول: ضوابط اعتبار المقاصد الجزئية، والمبحث الثاني: مدى حجية المقاصد الجزئية، وكل من المبحثين تحته مطالب.

وتحت عنوان: وظائف المقاصد الجزئية، كان الفصل السادس في مبحثين: المبحث الأول: الوظائف العامة للمقاصد الجزئية، والمبحث الثاني: الوظائف الخاصة للمقاصد الجزئية، واحتوى الملحق على أمثلة تطبيقية مستقلة تؤكد أهمية المقاصد الجزئية مع أحكامها، شملت كل أبواب الفقه.

ومن أهم النتائج التي انتهتْ إليها الدراسة فيما يتصل بماهية المقاصد الجزئية وطبيعتها أن المقاصد الجزئية هي ما قصده الشرع من مصلحة تُجلب أو مفسدة تُدفع في كل حكم من الأحكام

باحث لغوي وشرعي



الشرعية الجزئية العملية، ويكون له تأثير في توجيه ذلك الحكم، وأن هناك فروقًا بين المقاصد والمصطلحات الأخرى من ناحية، مثل الحكم والعلل والأسرار والمحاسن والأثر، وأن تراثنا الفقهي والأصولي شاع فيه التداخل بين هذه المصطلحات بما لا يدع مجالاً للتمييز بينها، كما أن العلاقة بين العلة والمقصد تكاملية، وطبيعة مقاصد الأحكام الجزئية ليست واحدة، فقد يكون للحكم الفقهي العملي مقصدٌ واحد، وقد يتعدد، قد يكون مقصدًا جزئيًا، وقد يكون كليًا، قد يكون مقصدًا قطعيًا أو ظنيًا أو وهميًا، قد يكون مقصدًا أصليًا وقد يكون تبعيًا، كل هذا تبين من خلال الأمثلة العملية التي ذُكرت في مواضعها.

وفيما يخص تأصيل العمل بالمقاصد الجزئية انتهت إلى أن للقرآن الكريم طبيعة خاصة في المقاصد الجزئية، ليست كما يستخدمها الفقهاء والأصوليون، بل هي في القرآن مقاصد كونية، ومقاصد خَلقيَّة، ومقاصد عمرانية، ومقاصد حضارية، ومقاصد

## الفقه الإسلامي يحتاج إلى صياغة جديدة .. والمقاصد لم تنل حظها في مجالات الحياة

للحاضر والمستقبل، ومقاصد للأمم والشعوب والجماعات كما هي للأفراد والآحاد سواء، وأن السنة النبوية أصلت لمنهج العمل بالمقاصد الجزئية، فطبقه النبي ﷺ وهو منهج القرآن الكريم، إذ السنة مبينة وشارحة له.

وفيما يتصل بنطاق المقاصد الجزئية انتهت إلى أن الأصل في الأحكام الشرعية أنها ذات مقاصد وعلل، سواء من ناحية الإجمال أو من ناحية التفصيل، في العبادات أو المعاملات سواء، رغم وجود أحكام كثيرة في العبادات لا نعرف لها مقصدًا، بما لا يقارن بغير العبادات، ولكن ذلك لا ينفي وجود المقصد، وأنه لا تعارض بين تعبدية الأحكام وتوقيفيتها من ناحية، وبين أن تكون ذات مقاصد وعلل من ناحية أخرى، وأن أداء العبادات ليس موقوفًا على معرفة المقصد، لكن له مع العبادات وظائف أخرى، بخلاف غير العبادات؛ فإن الوقوف على مقصدها- أي غير العبادات- قبل التلبس بها أمر مشروع ومحبوب.

وبينت الدراسة أن المقاصد الجزئية تعتمد الاستنباط طريقًا للكشف عن مقصد الحكم الجزئي باعتباره يهتم بالأحكام الشرعية العملية، كلٌ على حدته، وأن معظم مسالك الكشف عن العلة تصلح آليات للكشف عن المقصد الجزئي، وبعضها أحيانًا يصلح في الدلالة على المقصد، وأحيانًا لا يصلح مثل مسلك النص، وبعضها لا يصلح مطلقًا مثل مسلك الإجماع، سواء في الدلالة أو المسلكية، ولا يلزم من ذلك - بالضرورة - أن يكون ما يتوصل إليه من مناط أو علة من خلال مسالك الكشف عن العلة صالحًا لأن يكون مقصدًا، بل الغالب أن يكون علة لا مقصدًا، إلا في مسلك المناسبة التي هي المصلحة الصالحة - غالبًا - لأن تكون مقصدًا للحكم الشرعي الجزئي العملي، وتحديد المقصد الجزئي أمر له خطره، إذ الخطأ فيه يعود على الفقه بالانحراف، وعلى الشريعة بالإبطال، لأن أدلة وأحكامًا كثيرة ستتفرع عنه في الاستنباط، وما بني على خطأ فهو خطأ، كما أن تحديد المقصد الجزئي أمر بالغ الصعوبة، إذ يحتاج إلى متمرس بالشرع الإسلامي، ذي احتكاك بالنصوص ودربة معها.

وذكرت أن المقصد الجزئي لا يكون معتبرًا إلا بضوابط، هي: أن يكون مستقًى من مسالك الكشف عنه، وأن يكون ظاهرًا، وأن يكون منضبطًا، وأن يكون مطردًا، وألا يتعارض مع مقصد مثله أو أعلى منه، وألا يعود الجزئي على الكلي بالإبطال ولا العكس.

وضبط المقصد الجزئي ينتج عنه عدد من الآثار هي إخراج المكلف من داعية هواه، وأن يصبح المقصد مؤثرًا، وحماية المقاصد من التشويه والانحراف، وأن العمل بضوابط المقاصد هو العمل بالمقاصد نفسها، ووضع ميزان للتعامل مع تزاحم المقاصد، وأن العمل بالضوابط يقود إلى التوسط والوسطية.

وقررت أن المقصد الجزئي لا يعتبر حجة إلا إذا ثبت ثبوتًا معتبرًا، على نحو ما يثبت به غيره من القضايا الشرعية، والعبرة بقوة الثبوت ودرجتها في القطع والانضباط والوضوح؛ فإذا ثبت المقصد وسُلِّم به، فإن اعتباره. أي حجيته وتأثيره . يكون شرعًا لازمًا، بل هو العنصر الأساس في كل خطاب شرعي، وفي كل حكم شرعي، وأن شروط العلة لا تعتبر كلها ضوابط لاعتبار المقصد؛ فالمضمون مختلف، والوظيفة مختلفة، ومن ثم لابد أن تختلف الضوابط أو الشروط في العلة عنها في المقاصد الجزئية، والقول بحجية المقصد الجزئي بضوابطه ينتج عنه عدد من الآثار، هي: أن يكون له دوره في التحليل والتحريم، ويكون له أثره في الصحة والفساد والبطلان، ويكون له قوته في حسم الجدل وتقليل الخلاف.

وذكرت أن للمقاصد الجزئية وظائف وآثارًا عامة، منها العمل على بيان خلود الشريعة وعمومها وصلاحيتها، والتسديد في الفقه والفتوى، وتوسيع أوعية الاجتهاد، والتوسط في الاجتهاد والأحكام، والعمل على شرعية المصالح واعتبارها، والعمل على اعتبار الاجتهاد المآلي، وأن للمقاصد الجزئية وظائف وآثارًا خاصة، منها نوط الحكم به، وإجراء القياس به، وإبطال الحيل، وتعيين دلالة النص أو توسيعها، والترجيح عند الاختلاف، والتحكم في سد الذريعة وفتحها، وإزالة التعارض الظاهر بين النصوص، وتقييد إطلاق النص، وإبطال كثير من دعاوى النسخ، وتكوين مقاصد خاصة وكلية وعالية، وتخصيص عموم النص.

وأوصت الدراسة بتناول القرآن الكريم تفسيرًا وتحليلاً في ضوء المقاصد الجزئية، لأنه يحتاج إلى دراسة مفصلة عن المقاصد الجزئية فيه.. طبيعتها، علاماتها، نطاقها، أهميتها، وبيان أثر ذلك كله على الدراسات الفقهية والأصولية، وأن نصوص السنة النبوية في حاجة إلى شرح يهتم بهذا الجانب، ويسلط الأضواء عليه، ويتناول الأحاديث في ضوئه وتحت ظله، وسوف يكون لهذه الدراسة آثار أصولية وفقهية ربما تُحدث نهضة في مجال الفقه والأصول.

كما أوضحت الرسالة أن الفقه الإسلامي يحتاج بأبوابه جميعًا إلى صياغة جديدة، وتناول بلغة العصر يبين الدليل، ويذكر خلاصة مختصرة للآراء، ثم يجعل المقاصد الجزئية شغله الشاغل وهمه الأكبر في التناول والصياغة، جامعًا بين القيم الحضارية والأخلاقية والمقاصدية وبين الأحكام الفقهية، مبينًا آثار ذلك من ناحية التأصيل والتطبيق، فلا تصح أن تنفصل الأحكام الشرعية عن القيم الإيمانية والمقاصدية، وهذا منهج قرآني فريد.

وتنادي الدراسة بتفعيل الفكر المقاصدي في الحياة العامة، وفي المجالات الحياتية المتعددة، فإذا كانت المقاصد حظيت بقدر لا بأس به من التفعيل في مجالات البحث العلمي، فإنها لم تأخذ مجالها- بعدُ- في مجالات الحياة العامة، وسوف يكون لذلك آثار راقية وحضارية من جهات كثيرة.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

## الرؤية

الريادة عالميا في العمل الإسلامي

## الرسالة

ترسيخ قيام الوسيطية والأخلاق الإسلامية، ونشر الوعي الديني الثقافي، والعناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ورعاية المساجد، وتعزيز الوحدة الوطنية من خلال تنمية الموارد البشرية وفقًا لأفضل الممارسات

## القيم

١- الشفافية والمسؤولية
٢- الشراكة
٣- الوسطية
٤- التميز
٥- العمل المؤسسي

# الفقر رؤية واقعية .. (العلاج)(٢)

رشيد ناجي الحسن

**يعدّ النظام الاقتصادي المعاصر اليوم أحد عناصر العولمة المعاصرة التي فُرضت على العالم منذ تسعينيات القرن العشرين، والتي أوجدت صورة جديدة للفقر. هذا النظام يتبنى نظرية (٢٠-٨٠) وتعني أن ٢٠٪ من سكان العالم يجب أن يكونوا أغنياء بالقوة، و٨٠٪ وهم الباقون يفرض عليهم الفقر. وهذه مع الأسف آخر صورة للفقر تواجهها المجتمعات البشرية، وهي صورة شديدة التعقيد، صعبة العلاج.**

المال أحد الضروريات الخمس التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها، وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، والعبد يحتاج المال في شؤون حياته كافة؛ ولذا جعل الشرع للمال حُرمة عظيمة، وأولاه عناية واهتمامًا، لأن الناس مجبُولون على حبه، ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾. وجلّ المال في الاقتصاديات الوضعية قائم على الربا، والجشع والاحتكار، فهو هدف بحد ذاته، والنتيجة: اتساع دائرة الفقر والبطالة، فتكثر الجرائم ويكثر القتل والنهب، وترتفع معدلات الانتحار. أما الإسلام فينظر إلى المال نظرة واقعية على أساس أنه خير وزينة وقوة؛ إذا أُخذ بحق وأُنفق بحق، ولم ينقلب إلى فتنة بين أيدينا؛ إذ به قوامنا، وهو مال الله، استخلف عباده فيه لينفقوه فيما أمرهم، بعد أن جعلهم مسؤولين عنه، ومحاسبين على طرق كسبه وطرق إنفاقه. والمال ليس غاية لذاته، وإنما وسيلة من وسائل تبادل قضاء الحوائج.

وقد حث الإسلام على تحصيل المال من الطرق الشرعية كالتجارة والفلاحة والصناعة والحرف والصيد والوظائف، وحرّم بعض الطرق غير الشرعية، كالغش، والرشوة، والربا. كما دعا الإسلام إلى إنفاق المال في طرق الخير، دون إفراط ولا تفريط، ولتحقيق عبادة الإنفاق ذم الإسلام البخل، والإسراف، ودعا إلى الاعتدال، قال تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾. (الإسراء: ٢٦).

## النظرة الإسلامية الاقتصادية للمجتمع الإسلامي

لا ينظر الإسلام لأفراد المجتمع الإنساني على أنهم وحدات مستقلة بعضها عن بعض، وإنما هم بطبيعة معيشتهم في هذه الحياة وظروف حياتهم فيها وحدات تتبادل المنافع، وتتعاون على قضاء المصالح. من أجل ذلك جاء الإسلام بتشريعات لتحقيق المعيشة الكريمة للفئات المحتاجة، وتلك التشريعات تنقسم إلى قسمين:

- تشريعات تنصّ على الفئات التي تستحق هذا التكافل، وعلى أحكامها.
- تشريعات تصون الموارد المالية التي توفر تحقيق التكافل المعيشي لكل هذه الفئات.

## مبدأ الاستخلاف ومعالجة الفقر

مبدأ الاستخلاف يجعل الملكية في الإسلام سواء كانت ملكية خاصة أو عامة تستمد مشروعيتها من تشريعات اللّه سبحانه وتعالى. وهذا يعطي الغطاء الرقابي لتنفيذ هذه التشريعات، وذلك لأن المخاطب بهذه التشريعات مستخلف على ما في يده، وهذا يوجد نوعًا من الرقابة.

## موقف الإسلام من الفقر

يذمُّ الإسلام الفقر ولا يعتبره ظاهرة إيجابية، بل هو مرض اجتماعي يجب معالجته، وقد كان ﷺ يقول دبر كل صلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ»، لكن الإسلام في المقابل لا يذم الفقراء ولا يتنكر لهم، بل يمتدحهم في كثير من المواضع والآيات، كما ينظر الإسلام للفقر على أنه ابتلاء من الله عز وجل لعبده المؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).

## منهج الإسلام في القضاء على الفقر

لا يمكن حصر المنهج الذي يقضي به الإسلام على الفقر في العنصر الاقتصادي وحده، وإنما الإسلام ككل فاعلٌ في ذلك، بعقائده وعباداته وأخلاقه... ، في نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

وإذا كان الإسلام يتحدث عن مشكلة الفقر وطرق معالجتها وحلّها، فإنه أيضًا يتقصّى أسبابها ومنشأها ليتجنبها المجتمع، وفي ذلك تحقيق للعلاج الجذري والأساسي.. وقد كان أول ما حاربه الإسلام منذ ولادته المشرقة هي الطبقية والتمييز بين أبناء المجتمع الواحد.

هذا وإن منهج الإسلام في القضاء على

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية



الفقر مبنيٌّ على قاعدة: «الوقاية خير من العلاج»، ويكون ذلك بعدة أساليب: صحة العقيدة الاقتصادية، والتخصيص الصحيح للموارد الاقتصادية، وإدارة الاقتصاد بأسلوب التخطيط، ومنهج الأولويات الاقتصادية. هذه الأساليب يوفر الإسلام من خلالها دخلاً لكل قادر على العمل بعمله، وبهذا فإنها تعتبر من الإجراءات التي تمنع ظهور الفقر في المجتمع. وصحة العقيدة الاقتصادية تعتبر الأسلوب الأول لمواجهة الفقر في منهج الإسلام، فبعض الفقراء يرى أن الفقر الواقع عليهم هو قضاء وقدر من الله سبحانه وتعالى لا ينفكُّ عنهم، ويلازمهم طوال حياتهم وهذا الاعتقاد إذا وجد فإنه قد يؤدي بالفقير إلى الاستسلام للفقر الواقع عليه، وعدم معالجته، ولذا لابدّ أولا من إبطال تعلق الفقير بالقضاء والقدر بالمفهوم السلبي عنده، وبالتالي إبطال استسلامه للحالة التي هو عليها من الفقر. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٣٠). قال ابن كثير – رحمه الله: في هذه الآية إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض، الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيُغني من يشاء، ويُفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى، ومن يستحق الفقر... وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجًا والفقر عقوبة، عياذًا بالله من هذا وهذا، (تفسير ابن كثير، ٥ /٧١).

ولأن خيرات الأرض كثيرة، لذا يجب العمل والسعي والكسب، ولا عذر لأحد في تركه كسلا وإهمالا وخمولا بحجة أن الله كتب عليه الفقر، أو أنه بلا حظّ، فالعمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر وجلب الثروة. وقد شجع رسول الله ﷺ على مزاولة الأعمال، وبعض المهن والصناعات، كما رعى رسول الله ﷺ الغنم، وزاول التجارة قبل بعثته. واشتغل صحابته الكرام بذلك.

كما رهب الإسلام من التسول والاحتيال على الآخرين، ونهى عن التصدق على غير المحتاج.

أمّا إذا ضاقت الدنيا بالمسلم، ولم يجد عملاً، وغدا فقيرًا محتاجًا، فيجب على الأغنياء الموسرين من أقاربه أن يَكْفُلوه، وذلك لما بينهم من الرّحم والقرابة، وقد وصفه الله بأنه حقٌّ من الحقوق الواجبة بين الأقارب، فقال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ (الروم: ٣٨)،

فإذا عجز الأقارب الأغنياء عن سدِّ حاجة الفقراء؛ جاء دَوْرُ المجتمع ككل، متمَثِّلًا في الزكاة التي فرضها الله للفقراء من أموال الأغنياء. والذين شُرعت الزكاة من أجلهم. وفريضة الزكاة كفيلة – لو نظمت– بأن تحل كثيرا من المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الفقر، وأن تسهم في الحد منه، ومن ثم كان لها تأثيرها الحيوي في إشاعة التكافل. هذا فضلا عن آثارها المعنوية حيث تنفي من المجتمع الأحقاد والبغضاء الناتجة عن انقسام الناس إلى مالكين لا يعبأون بغيرهم، ومحرومين لا يعبأ بهم.

ولسائل أن يسأل: هل شرعت فريضة الزكاة أو روعي في مشروعيتها ألا يبقى في المجتمع المسلم فقير؟ وهل هذه النسبة القليلة كافية لسد حاجات الفقراء في كل الأحوال؟ يجيب عن هذا التساؤل د .عبدالكريم بكار حيث يقول: لا أعرف آية أو حديثًا فهم منه أئمتنا أن الزكاة إذا أديت على أكمل وجه في مجتمع أو إقليم تم القضاء على الفقر فيه. ولا أعتقد أن من يملك درجة متوسطة من الفقه يُقدم على القول بذلك. إن أفضل عصر أديت فيه الزكاة، وكانت الرغبة فيما عند الله في أوجها هو عصر النبي ﷺ، ثم عصر الخلفاء الراشدين. ولم يتم القضاء على الفقر لا في مركز الدولة (المدينة المنورة) ولا في غيرها. وفي أميركا أو أوروبا يدفع المواطن أحيانًا ما يصل إلى ٦٠ أو ٧٠٪ من دخله ضرائب للدولة، أي عشرات أضعاف الزكاة، ومع هذا فإن في تلك المجتمعات فقراء وبائسين كثر. إنني أعتقد أن شعيرة الزكاة جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي وهذه الشعيرة لا تحقق أغراضها بكفاءة إلا إذا اشتغلت باقي أجزاء النظام مثل: القرض الحسن، والكفارات، وتوفير فرص العمل، و... على نحو جيد. والنظام الاقتصادي هو الآخر جزء من النظام الإسلامي العام، فإذا كان هناك فساد إداري أو سياسي،

أو كان هناك ظلم اجتماعي فادح، أو تحلل أخلاقي؛ فإن النظام الاقتصادي لا يعمل بالكفاءة المنشودة. ومع كل هذا فإن الأعمال الخيرية لا تشكل متن الكفاية المعيشية لأحد، وإنما هي عبارة عن كرّة أخرى من أجل تلافي قصور النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في توزيع العدالة. إنها تساعد النظم المعمول بها، وتسد فجواتها لكنها لا تكون أبدًا بديلة عنها. وإذا ما عجزت الزكاة عن سدِّ حاجة الفقراء والمحتاجين فإن الخزانة العامّة للدولة المسلمة بمواردها كافّة تكون هي الحلّ لمعالجة مشكلة الفقر والبطالة، وخير شاهد على ذلك من سيرة رسول الله ﷺ ما كان يفعله مع أهل الصُّفّة. ذلك أن الشرع قد جعل للدولة سلطة جباية أموال دائمة حتى تقوم بما أوجبه الله عليها، كالخراج والجزية. أما إن لم يوجد في بيت المال مال، سواء في قسم الزكاة أو الأقسام الأخرى، فيجب على الدولة أن تفرض- بالشروط المعتبرة الشرعية- ضريبة على أموال الأغنياء وتحصلها لتنفق على الفقراء والمساكين منها، قال عمر رضي الله عنه: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقرائهم»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «في مالك حقٌ سوى الزكاة». (سنده صحيح). وأما حديث: «إن في المال حقا سوى الزكاة» فهو حديث ضعيف. فإن خشيت الدولة حدوث ضرر استدانت، لأن كفاية الفقراء والمساكين واجب على الأمة. وإذا بقي في المجتمع محتاج لا يستطيع العمل؛ وجب على المجتمع كله أن يُخرج الصدقات ابتغاء مرضاة الله وثوابه، وهذه مزيّة تميّز بها الإسلام عن غيره من المعالَجات البشريّة للمشكلة.

## مسؤولية الدولة في معالجة الفقر

إذا كان الإسلام قد أولى عناية كبيرة لوسائل التكافل الفردية، فإنه لم يكتف بها، بل أقام إلى جانبها الوسائل العامة التي جعلها من مسؤولية الدولة وواجباتها الاجتماعية، وإضافة لما ذكر فإن من واجبات الدولة في معالجة الفقر:

تأمين موارد المال العام وذلك باستثمار المحيط الطبيعي للدولة، وما ينطوي عليه من ثروات باستخراج معادن الأرض وكنوز البحار، وكافة الثروات التي أودعها الله في الكون.

إيجاد فرص عمل للقادرين عليه وذلك بالبحث عن أفضل الحلول لمواجهة البطالة، وإقامة المشاريع البناءة التي تساهم في النهضة العامة، وتوفر في ذات الوقت فرص العمل للأيدي العاطلة بعدالة تامة.

تنظيم وسائل التكافل الفردي فالدولة مسؤولة عن تنظيم الوسائل الفردية للتكافل، وخاصة الزكاة والوقف، وذلك بإقامة السياسات اللازمة لتحقيق أهداف تلك الوسائل المتمثلة في القضاء على الفقر وتقريب الهوة الاجتماعية بين الموسرين والمحرومين، وإيجاد الضمانات اللازمة لتحقيق ذلك.

التعاون بين الأقطار الإسلامية في الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

وفي هذا الخصوص أود أن أشير إلى أن الكويت ومن خلال الصندوق الكويتي تقدم مساعداتها للدول العربية والدول النامية الأخرى للإسهام في تمويل استثماراتهم في قطاعات مختلفة، وقد أقام الصندوق الكويتي في ٢٢/٠٢/٢٠١٢ احتفالية بمناسبة مرور نصف قرن على إنشائه، عكست مسيرة الصندوق واستعرضت إنجازاته على مدى خمسة العقود الماضية، فحتى نهاية ديسمبر ٢٠١١ قدم الصندوق قروضا ميسرة بقيمة نحو ١٥. ٥ مليار دولار استفادت منها ١٠٢ دولة، من بينها ١٦ دولة عربية، و٤٠ دولة إفريقية، ١٩ في منطقة شرق وجنوب آسيا والمحيط الهادي، و١٦ في آسيا الوسطى وأوروبا، و١١ دولة في أميركا اللاتينية والبحر الكاريبي. إلى ذلك قدم الصندوق الكويتي مساعدات فنية ومنحًا وهبات يزيد إجماليها على ٢٢٨ مليون دولار، وجهت لتمويل أنشطة مهمة تدعم جهود التنمية بصفة عامة. وقد كان الهدف من كل ذلك تخفيض نسبة الفقر إلى الحد الممكن.

## مسؤولية ولي الأمر في معالجة الفقر

اتفق الفقهاء على أن وظيفة ولي الأمر في المال العام وظيفة النائب، وهي فرع وظيفته العامة على شؤون المسلمين، قال ابن تيمية في السياسة الشرعية (ص ٤٠): وليس لولاة الأمور أن يقسموها (أموال بيت المال) بحسب أهوائهم، كما يقسم المالك ملكه، فإنما هم أمناء ونواب.. ليسوا ملاكًا. وهذا يعني أن ولي الأمر حين يتصرف في المال العام فإنه لا يتصرف فيه بالأصالة، وإنما بالنيابة، أو الوكالة. ولأن الزراعة والتجارة والصناعة هي عماد الاقتصاد لكل أمة فقد كان من الضروري العمل على تنسيقها تنسيقا يحقق للأمة هدفها الذي يوجبه الإسلام عليها والذي يجب أن تحصل عليه وتحتفظ به، وتنميه، صونا لكيانها واستقلالها. وقد علّمنا تاريخ الاحتلال أن أهم أسبابه وأول نافذة يتسلل منها إلى الأمة هو نقص الأجهزة التي تحقق للأمة كفايتها من هذه العُمُد الثلاثة. من هنا كانت المسؤولية على ولي الأمر أن يعمل جهده ليحقق للأمة المسلمة الانتفاع بها كلها، وأن يعمل على تنسيقها بحيث لا يترك الأموال تتجه إلى تركيز عنصر واحد دون سواه. ولو اضطره الأمر مثلا إلى تحويل بعض الأراضي الزراعية إلى رؤوس أموال تجارية أو شركات صناعية على حسب حاجة البلاد. ولا يعتبر هذا التنسيق تقييدا للحرية في الملكية وإنما

هو توجيه تستدعيه حاجة البلاد يمكنها من حريتها الحقة الكاملة.

من هنا أجمع الفقهاء على أنه لولي الأمر أن ينتزع أية ملكية لتوسيع مسجد مثلا مع أن الأرض كلها مسجد، كما أن له ذلك لتوسيع شارع أو نحوه من المصالح العامة، وذلك لإتاحة فرصة الحياة الكريمة للأفراد والجماعة على حد سواء. ومن بلادة الحسِّ أن بعض الأغنياء يسمع هذا الكلام فلا يظن نفسه المخاطب به، فيشارك في النقد، ويسرف في الإنكار، ويلح في الطلب، لأن الحكومة في رأيه يجب أن تلبي كل نداء، وأن تؤدي كل واجب. والحكومة لو درى هذا المتواكل الفدم لا تتسع مواردها لكل رغبة، فإنها لم تجبِ منه ومن أمثاله إلا حق العمارة والأمن، أما حق الله عنده فقد وكلت أداءه إلى ضميره، يعطيه متى يشاء وكيف يشاء، ولكن الضمائر نامت على هدهدة الشهوات، والعواطف قست على جفاف المادة، وبين غفوة الضمير وقسوة العاطفة ذهب وازع الدين فلم يبق إلا وازع السلطان. «فهل يفكر أولو الأمر أن يعالجوا الفقر بما عالجه الله به فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان؟ إنهم إن فعلوا ذلك فلن يجدوا في البيوت عائلاً، ولا في الطريق سائلاً، ولا في السجون قاتلاً، ولا في المواخير ساقطة».

**وفيما يلي علاجات أخرى للحد من ظاهرة الفقر**

- تصحيح الخلل الفظيع في توزيع الثروة الوطنية، وتحمل النخبة الثرية مسؤوليتها في تنمية مجتمعاتها، بتشغيل رؤوس الأموال في بلدانها عوض توظيفها في الخارج.

- الاستثمار في قطاعات مختلفة كالتعليم والصحة والمياه والصرف الصحي والزراعة، من الأهمية بمكان وضع آليات لجذب الاستثمارات العربية الموجودة في الخارج لإعادة توطينها داخل العالم العربي والإسلامي، وإذا نجحنا في ذلك

## تأمين الموارد وفرص العمل وتنظيم وسائل التكافل الفردي والتعاون بين الأقطار الإسلامية... بعض الوسائل

فسوف نجد داخل البلدان الإسلامية وفرة مالية كبيرة ستسمح بإيجاد فرص عمل متعددة، ستسهم في حل أزمة الفقر بإذن الله. وخسائر الأموال العربية في الخارج من جراء الأزمة المالية العالمية بلغت طبقًا لتقدير جامعة الدول العربية ٢٤٠٠ مليار دولار.

- محاولة القضاء على التبعية الاقتصادية من طرف الدول العربية والإسلامية، للدول المتقدمة.

- تطوير منتجات إسلامية متوافقة مع أحكام الشريعة، كي تلبي احتياجات طالبي القروض لإقامة المشروعات الصغيرة والكبيرة، ولتمكنهم من إيجاد فرص عمل لهم ولغيرهم، ومن ثم تحسين مستوى معيشتهم، والحد من الفقر والبطالة، خاصة في صفوف الشباب، وتساعدهم على الاعتماد على الذات من خلال العمليات المصرفية، وتقديم القروض والتسهيلات والخدمات للفقراء، وطالبي العمل.

- فتح الأسواق العربية المشتركة وزيادة التبادل التجاري، والبدء بإنتاج السلع الإنتاجية ونصف المصنعة والسلع الصناعية، أو إنتاج البدائل الصناعية بالتعاون مع بقية الأقطار لغرض ترصين الاقتصاد العربي والتعاون العربي المشترك.

- تشجيع الصادرات العربية والإسلامية، الأمر الذي يساهم في زيادة حجم العمالة والعوائد النقدية.

- دعم وتفعيل دور الصناديق الاجتماعية المتخصصة، التي تهدف إلى معالجة الفقر بين الأفراد وتأهيل الأسر الفقيرة بتمهيد السبل أمامها للمساهمة في العملية الإنتاجية، بالاعتماد على قوتها الذاتية، من خلال توفير التمويل للمشاريع الإنتاجية الصغيرة الكثيفة العمال، والمدرة للدخل وتحويل طالبي الوظائف إلى أصحاب العمل.

- التوسع في برامج التدريب المهني الهادفة إلى تأهيل القوى العاملة، وتمكينها من إشغال فرص العمل المتاحة، وخاصة في الأنشطة الاقتصادية التي يمكن أن تستقطب المزيد من القوى العاملة، وتعزيز دور مؤسسات التدريب المهني، وزيادة عدد مراكزها لرفع قدرتها على تأهيل القوى العاملة، وزيادة كفاءتها وإنتاجيتها لتتلاءم مع متطلبات سوق العمل، وتمكنها من إشغال فرص العمل المتاحة.

- تنمية الأنشطة الزراعية: باستصلاح الأراضي، والري، والمواشي، إضافة إلى توزيع الأراضي ذات الملكية العامة على الكفاءات المحلية، بنظام التأجير الميسر.

- ضرورة توفير قاعدة معلومات وبيانات وافية عن سوق العمل، وعن حجم مشكلتي الفقر والبطالة، وتوزيعهما، وخصائص الفقراء والعاطلين عن العمل بما يخفف وطأة المعضلة الاجتماعية والاقتصادية.

- جعل النظام الضرائبي أكثر رفقة بالعمالة، من خلال تقليل عبء الضريبة على العمال، وإصدار تشريعات منصفة للفقراء.

- ضرورة وضع قيود على الاستثمارات الأجنبية المسموح لها في الأقطار العربية، وهي أسواق الأسهم، والسندات والعملات، ولاسيما في حالة تقديم جهد فعلي، أو تحقيق استثمار حقيقي داخل الأقطار العربية.

- إحياء ثقافة الوقف داخل المجتمعات الإسلامية، مع تشجيع وتحفيز رجال الأعمال على عمل وقفيات يعود ريعها على الفقراء. ووضع تصورات منهجية لإدارة الأوقاف من أجل تحقيق الاستفادة المثلى في الأعمال الخيرية، والإنفاق على الفقراء.

- العمل على إدماج الفقراء في سوق العمل، لتحويلهم من مجرد متلقّين للمساعدة إلى ساعين على الرزق بالعمل، وهذا يمكن تيسيره عن طريق القروض الحسنة التي تقدمها المؤسسات الخيرية لمشروعات اقتصادية.

**وفيما يلي بعض التوصيات المهمة للحد من ظاهرة الفقر.**

- لأن أسباب الفقر ليست متشابهة في كل قطر، لذا يجب التطرق في المرحلة الأولى لكل قطر على حدة، ثم بعد ذلك يتم تبنّي أفكار موحدة من خلال استخلاص النتائج.

- توفير المناخ المناسب من أجل الاستثمار، وتخصيص بعض الاستثمارات للمشروعات التي تهم الفقراء مثل مشروعات الضروريات والحاجيات، حتى تحقق الأمن الغذائي لهم. وتنظيم الدور الاجتماعي لرجال الأعمال، وتعميق مفهوم التوازن بين المصلحة العامة والخاصة.

- تطبيق سياسات تحقيق الأمن والأمان للعامل ولصاحب المال؛ لأن اليد الخائفة لا تعمل.

- تدعيم المشاريع الصغيرة، وما يترتب عنها من وسائل مرتبطة.

- توفير الخدمات الأساسية مثل الصحة والتغذية والتعليم والسكن، وذلك لتنمية مستوى حياة الأفراد.

- توفير القروض الصغيرة، وتسهيل الإجراءات الخاصة بالحصول على هذه القروض.

- الاستفادة من التجارب الرائدة في مجال مكافحة الفقر.

- تنفيذ سياسات للمساءلة، والاستجابة للمنتفعين، والمراقبة ومكافحة الفساد.

- الدعم السياسي للعمل العام الموجه نحو مكافحة الفقر، وتيسير إنشاء جمعيات الفقراء.

- إعفاء المشروعات ذات العلاقة بضروريات وحاجات الفقراء من بعض الضرائب والرسوم، وذلك لتخفيض أسعارها عليهم.

- دعم مؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة بنظم التكافل الاجتماعي، وتشغيل العاطلين، ومن وسائل ذلك: الدعم المالي والعيني والإعلامي لها.

- التوسع في نظام تمويل المشروعات الصغيرة والمتناهية في الصغر ليس بنظام الفوائد الربوية، ولكن بنظام: المشاركة المنتهية بالتمليك، ونظام الإجارة المنتهية بالتمليك، ونظام البيع الآجل بهامش ربح قليل، وذلك بهدف خلق فرص عمل للفقراء.

- أشار الفقيه الكبير أبويوسف - رحمه الله - إلى جواز إقراض المحتاج من بيت المال كما نقل عنه الفقيه ابن عابدين، حيث قال: «يدفع للعاجز - أي العاجز عن زراعة أرضه الخراجية لفقره - كفايته من بيت المال قرضا ليعمل ويستغل أرضه».

وختاما فإن القضاء على الفقر ضرورة عقائدية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية لسلامة المجتمعات والأمم. وهي مهمة لا تقع على عاتق الدولة وحدها، بل لابدّ أن تكون هناك نية وعزيمة من طرف المجتمع نفسه. والفقر - رغم توافر الموارد- سيبقى، وتلك سنة الله في خلقه، لأن الله- تعالى- جعل الحاجة والعوز ونقص الأموال أداة ابتلاء واختبار لعباده، وسوف تستمر هذه الأداة إلى أن تنتهي حياة البشر على هذه الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥). هذا وإن عقيدة المسلم يجب أن تقوم على أساس أن الموارد التي خلقها الله تعالى في الأرض تكفي للبشر، ولكن سوء الاستغلال والإنتاج وسوء التوزيع، والظلم بمعناه الشامل هو السبب في وجود مشكلة الفقر، الإفراط والتفريط، القصور والتقصير.

**بين الفقر وبين الكفر**
**جناسٌ في المبنى والمعنى**
**وجناسٌ في قتل الإحساسْ**

يا فقراء العالم:

**الأرض حَنونٌ كالأم**
**ومثقلةٌ بالخيرات**
**ولكن العيبَ هنا**
**في سوء القسمة**
**في جشع الناسَ**

## أهم المراجع


- المحلى، ابن حزم.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور.
- عالم بلا فقر، رفعت السيد العوضي، مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف، قطر.
- التأصيل الإسلامي لعلاج الفقر، عبدالرحمن الجبرين.
- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د.يوسف القرضاوي.
- الإسلام والتكافل الاجتماعي، محمود شلتوت.
- اشتراكية الإسلام، الدكتور مصطفى السباعي.
- مشكلة الفقر وكيفية علاجها من منظور إسلامي، د.علي محيي الدين القره داغي.
- علاج رسول اللهﷺ لمشكلة الفقر والبطالة، د.راغب السرجاني.
- منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج مشكلة الفقر، د.حسين حسين شحاتة.
- الفقر.. أسبابه وعلاجه، سعد بن محمد العبيد.
- خمسة وعشرون مقترحًا للحد من ظاهرة الفقر في العالم الإسلامي، الهيثم زعفان.
- التخلص من الفقر.. نصائح وتجارب، زيد بن محمد الرماني.
- العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، عبدالحميد براهيمي.

# معالم المنهج الإسلامي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

د.ماهر رمضان صالح

**لا يغيب عن وعي المنشغلين بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الحال التي وصلت إليها اليوم من إعراض عنها، وضعف شأنها بين الأمم، حتى تجرأ عدوها ينادي لإسقاطها من قائمة اللغات العالمية بحجة عدم استعمالها في المنتديات والمؤتمرات الدولية، وقلة جدوى الانشغال بها، حتى في أمتها، فصار حالها قوة لغيرها، وقد انحسر وجودها الفاعل عالميًا! ومما يزيد في العجب أنهم لم ينسبوا حالها إلا إليها هي، ومن ثم فهي، في نظرهم، لغة صعبة التعلم، مستحيلة التعليم، لا ترقى إلى مستوى عالمي، ولولا أن تاريخ الحضارة العالمية يحوج إليها لما نظر إليها أحد، وبناء عليه فقد وجب التخلص منها.**

هذه هي الحال الواقعة والظاهرة التي تستدعي من كل منصف القيام لرد اعتبار هذه اللغة التي تعيش غربة قطع من الليل مظلمًا، حتى بين حملة عرشها، وحماة صرحها، ولله أمرها، يتولى إصلاحها، وإن هذا لفساد نكير، قد لزم إصلاحه، وأول الإصلاح إنما يكون بالنظر إلى ثلاثية لا تنفك عن حال أية لغة.. خصائص علم، ومتعلم، ومعلم، وهي أهم عناصر المنهج التعليمي.

إن التخبط والاضطراب والتعجل والعشوائية والقصور والإفراط والتفريط والنقص والسطحية والترقيع، وفقدان عوامل القوة.. كل ذلك ونحوه مما يعتور تعليم العربية اليوم، ويدل على أن تعليمها ليس بمنهج مستقيم، والأثر يدل على المسير.

نعم إنني لا أنكر عسر العربية بسبب قوتها وصرامتها واتساعها ومحكمها ومتشابهها، وتداخل أبوابها، وتصرفاتها الأسلوبية كالحذف والتقديم والتأخير، وتمسكها بالفروق اللغوية، وتشعب مسائلها، وكثرة مؤلفاتها، واختلاف علمائها، وكونها فريضة للدين، مما يصرف الناس عن أثقالها، ويلجئهم لترجمتها. لكن عسرها أمر أراده الله، لتكون ميدان عبادة وجهاد وصبر، كالتكاليف الشرعية.

وبالنظر إلى خارطة تعليمها في العالم، يتحتم عليَّ تشخيص الداء، ووصفه بالوبيل، جاعلا همي صنعة الدواء، ونعته بالمنهج الأصيل،أحببه وأزينه للاتجاهات التعليمية الحديثة أن تفكر فيه، وتسعى إليه في تجارب صادقة فستجني منه خيرًا كثيرًا.

والمنهج هو العلم الضابط للعمل، وبقدر فرضية العمل تكون فرضية المنهج، فلا يقبل أحدهما إلا بالآخر، ولعل هذا المعنى يبدو من قوله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾، فالشرعة هي العمل، والمنهاج هو تيسيره، والبعد عنه عنت وتكلف، فالله فرض الاثنين معًا، وبهذا تظهر أهمية المنهج في صلته بالعربية، فلا يحق أن تفصل عن منهجها الشرعي الذي ينبثق من المصدر الذي خرجت منه العربية، الخبير بمداخلها ومخارجها وشعابها، فلا تخفى عليه منها ذرة في المجرة، جمع مادتها وفحصها ورتبها واستنبط قواعدها، حتى صارت علمًا مستقيمًا، لا يعزب عنه شاردة ولا واردة، لايضل السبيل، ولا التعليل ولا الدليل ولا التأويل.

فهو الطريق البين الذي انتهجه دين الله للعجم في الفتوحات وحقق به نتائج واقعية فائقة النجاح في الكفايات اللغوية، واقتصادية التعليم، ومتعة التعلم، ونفع الإنسانية.

إن هذا المنهج يتغيا تيسير تعليم العربية ملتزمًا بالوفاء التام حتى تكون ملكة قادرة على الفهم والتفهيم متخذًا التيسير عدته دون أن ينكر العسر، ودون أن يهرب من التبعة، انطلاقًا من قاعدة ﴿فإن مع العسر يسرًا﴾.

ولقد ارتبطت اللغة العربية في كل شيء بدين الله، واصطبغت بصبغته، والتصقت بسيرته، فكانت منه وله وبه، ودارت معه حيث دار، فلا تفارقه أبد الآبدين، فخصائصه خصائصها، وقوته قوتها، فهي صورة من صوره، وسورة من سوره، وآية من آياته، وسلاح من أسلحته، فنجاحه نجاحها، فلا يفهمها إلا من فهمه، ولايفهمه إلا من فهمها، فهو أصلها وهي فرع من دوحته، خرجت من مشكاته النيّرة، فلا تصلح إلا لمن أخذها بقوة من جميع جوانبها، بصبر جميل، ولا يسلس قيادها إلا لمن صفت مشاربه، وزكت نفسه، وصحت عزيمته، وكبرت همته، وعلت بصيرته.

ولما كانت اللغة أداة التواصل الأمثل بين الناس، في الدين والدنيا والآخرة، ولما كان للعربية الجواذب الدافعة لتعلمها، ولما كان تعلمها كثيرًا ما يسبقه تعلم غيرها لأسباب تمثل صعوبات بالغة تزهد أو تقلل أوتعرقل تعلمها، عندئذ يكون الحمل ثقيلاً، والعسر شديدًا، وهذا ما يقوم المنهج الإسلامي بتيسيره، وتذليل صعابه، فإن نجح مع هذا النوع من المتعلمين كان مع غيره أنجح.

فليس عجبًا أن يصبح تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها علمًا تكثر شعابه، وتتداخل فيه علوم، تقوم على متابعة ميدانه الفسيح لتحدد قضاياه، وتحصي مسائله، وتبين مساره، وتعلن عن أهدافه، وتجلي مقاصده،

وتخط وسائله، وتظهر معالمه، وتكشف غاياته، وتحلل نتائجه، وتفسر غوامضه، وتزيل مبهمه، وتؤرخ لأعلامه، وتحقق أموره، وتكتب مستوياته، وتعلي صرحه، وتباهي بخصائصه، وتحمي حقيقته، وتجاهد أعداءه، وترصد حربهم، وتدفع زحفهم، فصار له مقاصد علمية في التأليف.

ومن اللازم هنا ذكر جملة من خصائص هذا العلم، للإيمان به وله، وتحديد المقاصد والأهداف والغايات والوسائل العلمية، لأن المنهج يمثل حجر الزاوية، حراسة للعربية من مناهج مضللة.

ولا بد أن يكون لهذا الدين منهجه القيّم، في إعداد هذه اللغة للتعليم، ودفع المعلم والمتعلم، وتوجيه الأمة لرعاية مقاصده من تعليمها، والقيام على خدمة هذا الميدان لتلبية حاجاته، والاستعداد لحل مشكلاته إلى يوم الدين، ولا يتسع المقام إلا لموجز عن معالم هذا الطريق، ومنهجه في حل مشكلاته، وأسلوبه في اقتحام عقباته الميدانية في البيئات العجمية:

**١- العربية الحقة وحي وتوقيف**

ليضمن لغة نقية قوية، فوجب أن تكون دينًا في مادتها العلمية والتعليمية، وفي هذا يقول ابن القيم: «إن القرآن نقل إعرابه كما نقلت ألفاظه ومعانيه، لا فرق في ذلك كله فألفاظه متواترة، وإعرابه متواتر، ونقل معانيه أظهر من نقل ألفاظه، وإعرابه فإن القرآن لغته ونحوه وتصريفه ومعانيه، كلها منقول بالتواتر، لا يحتاج في ذلك إلى نقل غيره، بل نقل ذلك كله بالتواتر أصح من نقل كل لغة نقلها ناقل على وجه الأرض، وقواعد الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة منه، مأخوذة من إعرابه وتصريفه، وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتج له بها، فهو الحجة لها والشاهد، وشواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصح من الشواهد من غيره حتى إن فيه من قواعد الإعراب وقواعد علم المعاني والبيان ما لم تشتمل عليه ضوابط النحاة وأهل علم المعاني إلى الآن» (والشوكاني يقول مؤكدًا: «والحق أن جميعها منقول بطريق التواتر».

**٢- العربية آلة الدين**

لأنها أقدر وسائل البيان تعبيرًا، ومن ثم فهي ملكة مكتسبة، لاستعمال الطاقة التي خلقت في الإنسان، فقام علماء العربية بتوفير أمهات الكتب التعليمية الزاخرة، التي تمثل تجارب تعليمية حقيقية في ببيئات عجمية نجحت لتكون مثالًا يحتذى، وأسوة تقتدى، حتى كأن كل بيئة في الشرق الإسلامي أو الغرب تحملت أن تثبت قدرتها في تعليم العربية، مع الاتصال بأخواتها، بل ومنافستها، واعتبروا قواعد العلوم الثلاثة في مجملها هي النحو بمفهومه الشامل عند الكلام معنى ومبنى، فالنحو هو النهج العلمي الذي يقابله اللحن.

قال الرافعي: «واللغة لا تخلق على لسان أحد، بل لابد من التقليد والمحاكاة» .

ويحل ابن خلدون عقدة كبرى في الميدان فيقول: «إذا سبقت العجمة إلى اللسان قعدت بصاحبها عن تحصيل العلوم باللسان العربي، والسر أن مباحث العلوم إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية، فالعلوم الشرعية أكثر مباحثها في الألفاظ، وموادها الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة ولغاتها المؤدية لها، وكلها في الخيال، والعلوم العقلية كلها في الذهن».

ثم يتوجه بالنصح إلى المعلم: «وينبغي ألا يطول التعليم في الفن الواحد بتفريق المجالس، لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن، فيعسر حصول الملكة، لأن الملكات تحصل بتتابع العمل وتكرار» .

فابن خلدون يصطفي الكتاب التعليمي الأنسب ليخفف عبء كثرة المؤلفات، ويضع خطة دقيقة لمراحل تعليم اللغة: «وقبل تعلم المنطق لابد من تعلم دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة، ثم دلالة الألفاظ على المعاني المطلوبة، ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال بقوالبها المعروفة في صناعة المنطق، ثم تلك المعاني مجردة في الفكر وهي أشراك يقتنص بها المطلوب، وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة، بل ربما وقف الذهن في حجب الألفاظ أو عثر في أشراك الأدلة، وقعد عن تحصل المطلوب، فإذا حصل المطلوب فليراجَع إلى قوالب الأدلة لإفراغه فيها، وتوفيته حقه من القانون الصناعي، ثم كسوته بالألفاظ وإبرازه إلى عالم الخطاب» .

**٣- شبهة ترجمة لسان الدين مسلك غير شرعي**

للأسف، قد ساد مسلك الترجمة، على أنها قضية قضي فيها الأمر، وليست محل خلاف، فكتب المفسرين تصرح بأن ترجمة القرآن إلى الألسنة المختلفة هي الحل الذي يفهم من كلام الله، وهي الحل الذي يستطيعه العجم، ويستطيعه العرب، ويحقق التعارف بين الناس على اختلاف ألسنتهم، ومن ثم فليس لأحد من الباحثين أن يفتح ملف ترجمة الدين، لأنه ليس بحثًا علميًّا يخضع لإعادة النظر، فقد قال الدين فيه قولته، وسار عليها جمهور العلماء، وكأنه إنما صار مسلمة دينية وأمرًا مستقرًّا نفض منه الباحثون أيديهم! لكن لا بد من إعادة النظر فيها إنصافًا للحق.

**٤- تعلمها فريضة واجبة.. بلا إكراه**

قال ياقوت الحموي: «روى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: «لعلم العربية هو الدين بعينه»، فبلغ ذلك عبدالله بن المبارك، فقال: صدق لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك، قال الله تعالى: «أنا ولَّدتُّك من مريم، وأنت نَبِيي»، فحسبوه يقول: «أنا ولَدْتُك وأنت بُنَيِي»، فبتخفيف اللام وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة كفروا» .

ومما يدل على الحرية في تعلمها ما أورده «دوزي» في كتابه عن الإسلام الأندلسي رسالة للكاتب الأسباني «الفارو» الذي حزن أشد الحزن لما أصاب لغة اللاتين والإغريق من إهمال وازدراء بسبب الإقبال على لغة المسلمين، وهو دليل يشهد أيضًا بنجاح المنهج الإسلامي في تعليمها الناطقين بغيرها.

**٥-ربط كيان الأمة الواحدة بلسان واحد**

لم يكن الإسلام بدعًا من غيره عندما، قرر أن يكون له لسان واحد مصطفى على غيره ليجمع عليه أمته الواحدة لتوحيد لسانها في تاريخها كله في الدنيا والآخرة، وقد رأينا أممًا كبرى لا تنفك عن محاولة ربط كيان الأمة الواحدة بلسان واحد كالاتحاد السوفيتي، والاتحاد الأوروبي، ولقد

اصطفى الله للناس دينًا واحدًا، ليكونوا أمة واحدة في عبادته، ولزم لتوحيدهم لسان مصطفى يمكن جمعهم عليه، فلزم كونه علمًا ذا منهج مصطفى، لتيسير تعلمه وتعليمه للتواصل والترابط مع ربهم وكتابهم وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، ولاصطفائه الدين اصطفى له رسوله، واصطفى لرسوله اللسان العربي المبين، وأراد الله، تعالى أن يجعل عباده الصالحين أمة واحدة، على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم، وتعدد أماكنهم.

**٦- دراسة المعنى**

على اعتبار أنه الأصل، والمبنى وسيلته والفرع الدال عليه، فحيثما استهدف بيان المعنى فثم وجه المنهج الإسلامي.

**٧- دراسة اللغة أفقيًا ورأسيًا**

بجمع الأشباه والنظائر، ولايصلح البدء بكتب الرأسي قبل الأفقي، حتى لا يحدث خلل في العملية التعليمية.

**٨- المحكم والمتشابه في مقابل المعرب والمبني**

رغبة في صبغ هذا اللسان بصبغة دينه الذي يقوم به، وجعل مساحة عقلية ومباراة فقهية للتنافس الشريف.

**٩- علم منضبط**

في أسسه، وقواعده، وأصوله، ووقف موقفًا علميًا من الشواذ.

**١٠- يسر تعليمها بتخفيف الثقيل بوسائل شرعية**

كالإعلال والإبدال والنقل والقلب والحذف، مع أمن اللبس، ووضوح المعنى، حتى صار في ذلك مضمار تنافس في الإدراك العقلي للأصل والفرع، وإعلامًا بفضل التيسير بعد العلم بصعوبة وثقل العسير، أي إن دراسة المفردات يصحبها تيسير ما يبدو من ثقل أولًا بأول، بما يحدث للمتعلم، وإن حرصه على التيسير لا يقف عند حد، ومن ثم فبغيته «أيسر التيسير إلى يوم الدين» .

**١١- تعليم المفردات**

ببيان تقارب الجذور معنى ومبنى نحو «علم» و«عمل»، والترادف والتضاد ليكون استعمال اللغة دقيق الدلالة .

**التخبط والاضطرابات.. التعجل والعشوائية.. القصور والإفراط .. السطحية والترقيع .. هذه هي الأدواء وهكذا يكون العلاج!**

**١٢-أغنى الميدان بحوائجه**

باجتهاد الرأي، واستخارات الله، وبيان الدليل، وكشف التعليل، وتأويل التشابه، وفض النزاع، وترجيح الصحيح، والإنصاف والانتصاف، والإعلان عن الفصيح والأفصح، والمستعمل والمهمل، وضمان حرية الرأي، وهذا يؤلف القلوب ولا ينفرها من تعليم اللغة، دون أن يخل بشيء من ثوابتها، أو يعطل شيئًا من قدرات العقل. ثم الوصول إلى خبايا اللغة والوقوف على أسرارها، فكانت الحركة قصيرة وطويلة، وكان للعلامة الإعرابية خصائص اليسر والبساطة، قصدًا لبيان المعنى، فكان للرفع دلالة القوة واليقين، وللنصب الشرط والتعليق، وللجر التبعية والترابط، وللسكون النفي والجزم.

**١٣- تعليم العربية ثلاثة مستويات**

لا يتقدم ولا يتأخر ولا يحذف منها شيء، هي الحروف والتصريف والتأليف، وربطها في نسيج تعليمي واحد.. تعليم الحروف وأصواتها: كتابة وقراءة، وصلًا ووقفًا، أصلًا وفرعًا، إفرادًا وتركيبًا، حقًا ومستحقًا، المفردات الدالة على معنى مستقل يصلح بناؤه في شيء مفيد، ببيان المعنى والمبنى لمقتضى الحال، تعليم قواعد الكلمة والكلم والكلام المفيد إنشاء ونقدًا، بمقاييس علمية تربط الكلام بمقتضاه لتظهر بلاغة المعنى، وفصاحة المبنى، وتجمع بين الإقناع والامتاع.

**١٤- مكانة معلم ومتعلم العربية**

لأنهما عابدان، مجاهدان، مأجوران، مقدمان، حافظان لحقائق الدين.

**١٥- حرس الميدان من الفشل الإداري وإفساده.**

**١٦- الحث على التخصص والتواصل الحضاري والإفادة من المناهج التعليمية.**

**١٧-اتخاذ النصوص اللغوية الشرعية المعتبرة دليلًا**

لتكون قياسًا لغيرها، وحكمًا على ما سواها، ومثالًا يحتذى، وحصنًا من عاديات تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وبهذا قد توافرت حراسته لتمييز العربية الحقة من الزيف الدخيل.

**١٨- قواعد العربية استنباطية اجتهادية**

قال أبوالقاسم الزجاجي: «وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد- رحمه الله- سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعلت هذا هكذا لعلة كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها» .

قلت: وقرأت في رواية أخرى مخاطبًا غيره: «فأنت خليل نفسك»، فنفهم أن علم العربية قائم على صحة استنباط العقل، وأن التعليل علم لا تهاون فيه لأن العقل مضطر إليه.

# الطب النبوي بين الوحي والاجتهاد

د. محمود مهدي محمود

**الأنبياء معصومون من الكذب قبل النبوة وبعدها، ورسول الله ﷺ كان يلقَّب قبل مبعثه بالصادق الأمين، فقد عُصم من كل ما يحطّ من قَدْره، فنشأ متحليًا بمكارم الأخلاق، وحين أمره ربه أن يَصْدَع بالدعوة ويُنْذِرَ عشيرتَه الأقربين خرج حتى صعدَ الصفا فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: من هذا؟. فاجتمعوا إليه، فقال لهم: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من صفح هذا الجبل (١) أكنتم مصدقي؟». قالوا: ما جربنا عليك كذبًا قطّ(٢). وإذا كان هذا حاله r قبل البعثة، فقد كان بعدها الأسوةَ الحسنةَ، والهادي الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ما نقص منها ولا زاد فيها شيئا عما جاءه عن ربه.**

وحديث رسول الله ﷺ الذي تحدث به في حياته يمكن تقسيمه قسمين:

١ - قسم موحىً به يتعلق بالعقيدة والشريعة وضبط العبادات، وتبليغ ما أُنْزِلَ إليه من ربه وغيرها من أمور الدين. وهذا لم ينطق النبي ﷺ فيه عن هَوَىً، فلا يجوز أن يَتَطَرَّق إليه شكٌّ أو طعنٌ.

٢ - قسم اجتهادي ليس من باب تبليغ الرسالة، وهذا القسم يتعلق بالكثير من أحوال الناس والحياة ومستجداتهما اليومية(٣). وأغلب هذا القسم يعتمد على الرأي والظنّ الذي يمكن أن يطابق الواقع كما يمكن أن يخالفه، والمخالفة هنا لا تقدح(٤) في عصمة النبي ﷺ، ولا تقلل من مكانته، ولا تُنقص من منزلته ﷺ؛ لأنها وقعت عن اجتهاد في أمر غير موحىً به، ولا تعمُّد في المخالفة فيه. ومن أمثلة هذا القسم حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قدم نبي الله ﷺ المدينةَ وهم يؤبِّرون النخل، يقولون: يلقِّحون النخل، فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه. قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا». فتركوه، فنقصت. قال: فذكروا ذلك له، فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رَأْيٍ فإنما أنا بشر»(٥). وفي رواية أَنَسٍ:

**لا يمكن الاستغناء عن الطب الحديث في طلب الشفاء لأنه لا يتنافى مع الشرع**

«أنتم أعلم بأمر دنياكم»، وفي رواية طلحة: «إنْ كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكني إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لا أكذب على الله «عز وجل (٦). وعَنْ جُدَامَةَ الأَسَدِيَّة أنها سمعتْ رسول اللَّه ﷺ يقول: «لقد هَمَمْتُ أن أنهى عن الغَيْلَة (٧) حتى ذُكِّرْتُ أن الروم وفارس يفعلون ذلك فلا يضرُّ أولادهم»(٨). إن النبي ﷺ يقول في حديث التأبير: «إنما أنا بشر»(٩) وكررها مرتين للتوكيد، ولم يقل: إنما أنا نبي أو رسول؛ ليلفت نظرنا إلى الجانب البشري في شخصيته الخالي من عصمة الوحي، والذي يحتمل الصواب وغيره. والإمام مسلم حين بوَّب للحديث قال: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي، وهذا معناه أن النبي ﷺ كان يتحدث عن كثير من أمور معايش الحياة برأيه، والتي لا يجب فيها الامتثال والطاعة؛ لأن الامتثال التام والإذعان الكُلِّي إنما يكون للأمور الشرعية، وكاد ينهى النبي ﷺ عن الغيلة لظنه أنها تضر بلبن الأم فيؤثر ذلك سلبًا على الأطفال الرضّع، وحين بُيِّن له عدم ضررها بالتجربة من خلال قوم يفعلون ذلك فلا يضر أولادهم أمسك عن النهي الذي لو كان تكليفا إلهيًّا ما تراجع عنه رسول الله ﷺ، فدلَّ ذلك على أن رسول الله ﷺ كان يقول في بعض الأمور برأيه.

ومنه ما حكاه ابن إسحق: أنه ﷺ لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحُباب بن المنذر: أهذا منزل أنْزَلَكَه الله ليس لنا أن نتقدمه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «لا، بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: فإنه ليس بمنزل، انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغوّر ما وراءه من القُلُب، فنشرب ولا يشربون، فقال: «أشرت بالرأي»(١٠)، وفعل ما قاله.

إن النبي ﷺ في هذه الأحاديث قد فصل الوحيَ عن الاجتهاد الشخصيِّ، والعلم الظنيِّ، فقوله: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» وقوله: «فإني إنما ظننت ظنًّا

أستاذ جامعي

فلا تؤاخذوني بالظن» وجوابه على سؤال الحِباب بالنفي «لا»، وقوله «حتى ذُكِّرت» يشير إلى أن هناك مساحةَ اجتهاد شخصية لا علاقة للوحي بها، يمكن فيها وقوع الصواب وعدمه.

ومن حديث رسول الله ﷺ أحاديث ذكر فيها العديد من الأدوية المفردة، والأمراض التي تُدَاوَى بها كَبَوْل الإبل(١١) الذي يُعَالج الاستسقاء، وإلية الشاة الأعرابية التي تعالج عِرق النَّسا(١٢)، والقُسْط(١٣) الذي يُداوي ذاتَ الجَنْب(١٤)، والحِنَّاء التي تشفي الشقيقة(١٥) وغيرها، وقد جمع العديد من «علماء الحديث» هذه الأحاديث الشريفة في مصنفات أُطلق عليها الطب النبوي(١٦). وقد اتخذ كثير من المتربحين بتجارة النباتات الطبية، والمشتغلين بتحرير الوصفات الشعبية، هذه الأحاديث وسيلة تيسر لهم تحقيق مآربهم، فتمحَّلوا(١٧) تفسيرات وتعليلات ونتائجَ لم تقصد منه ﷺ، ووضعت أحاديثُ كثيرة في هذا المجال، حتى جعلوا لكل داء مفرد أو مركَّب دواءً نبويًّا مؤكَّدَ الشفاء، وضَلَّل الناسَ بعبارات رنانة، وإعلانات جذابة، تستنزف أموالهم، وتقضي في النهاية على آمالهم في الشفاء. فهل هذه الأحاديث تنتمي إلى الوحي الذي لا يأتيه الباطل، ولا يتطرق إليه الشك، فنبني عليها استشفاءنا، أم هي من باب اجتهاد النبي ﷺ الشخصي الذي يحتمل الصواب وغيره، فيؤخذ منه ويرد؟.

إن هذا السؤال شغل بال العلماء من زمن بعيد، فانقسموا إزاءه فِرَقًا وأدلى كل فريق منهم بدلوه، وباستقصاء آرائهم يمكن القول إن هناك ثلاثة آراء رئيسة تشمل تفريعات وتفصيلات لا داعي للتطرق إليها هنا، وهذه الآراء هي:

**الرأي الأول:** على رأس القائلين به ابن القيِّم القائل بأن طب النبي ﷺ متيقنٌ



قطعي إلهي صادرٌ عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل. ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة: لأن الانتفاع به إنما يقع لمن تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان. فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة، والقلوب الحية(١٨). فابن القيم جعل القرآن وأحاديث الرسول ﷺ الطبية علاجين شافيين للأبدان الطيبة التي تتلقاهما بالإيمان والإذعان فقط.

**الرأي الثاني:** وهو على النقيض من الأول، وبه جهر ابن خلدون حيث قال: وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارَثًا عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض، إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج، والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة(١٩) لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فإنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، اللهم إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني فيكون له أثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية(٢٠).

**الرأي الثالث:** وهو رأي جمهرة من العلماء الذين وقفوا موقفا وسطا، فقالوا: إن بعض هذه الأحاديث مصدره الوحي لاشتمالها على أحكام بالحل والحرمة، أو لإخبارها بخبر معجز كالأحاديث التي عُنِيَتْ ببيان حكم التداوي والرُّقَى، وكحديثه ﷺ عن جناحَي الذبابة. وبعضها اجتهاد محض من النبي ﷺ بُنِيَ على معرفة شخصية وثقافة طبية خلفتها الملاحظة والمشاهدة، كحديثه عن العلاج ببول الإبل والقُسط والحنَّاء وغيرها. وفيها يقول القاضي عياض: فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها بعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه وقوع الخطأ، وليس في هذا نقيصة ولا محطة؛ لأنها أمور اعتيادية يتقنها من جربها وجعلها همه، وشغل نفسه بها، والنبي ﷺ كان مشغول البال بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة(٢١).

وبعد استعراض هذه الآراء تبقى هناك عدة تساؤلات تحتاج لإجابة، فلعل في الإجابة عنها ما يشفي الغليل، ويبل الصدى، هل كان ﷺ طبيبا؟، وإذا لم يكن طبيبا فمن أين استمد معلوماته الطبية؟، وهل عرف العرب قبل الإسلام هذه الأدوية واستعملوها في علاجاتهم؟، وهل ما ورد ذكره من أدوية في حديث رسول الله ﷺ يصلح التداوي بها في كل زمان ومكان؟، وما موقف الأطباء والصيادلة القدامى من الطب النبوي؟.

إن رسول الله ﷺ لم يكن طبيبا، ولم يكن ملمًّا بكل ما يعرفه أطباء عصره(٢٢)، بدليل أنه كان يحض الناس على الذهاب إلى الأطباء المتخصصين ذوي المعرفة الشاملة والخبرة الكافية. رُوِيَ عن سعد،

قال: مَرضتُ مرضا، فأتاني رسولُ الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثَديَيَّ حَتَّى وَجَدتُ بَرْدَها على فؤادي، وقال لي: «إنَّكَ رجُلٌ مَفْؤُود(٢٣) فأْتِ الحارثَ بنَ كَلدَةَ من ثَقيف، فإنَّه رجلٌ يَتطبَّبُ، فليأخُذ سبعَ تَمَراتٍ من عجوة المدينة، فليَجأْهُنَّ بنَواهنَّ، ثم ليَلُدَّك بهن(٢٤)» لو كانت وصية الرسول ﷺ لسعد كافية ما حمَّله في مرضه مشقة لقاء الحارث طلبا للعلاج. والعلاج بالعجوة في الحديث علاج تكميلي لا أساسي، وإلا لاكتُفي به. كما كان رسول الله ﷺ نفسه يؤتى له بالأطباء إذا مرض، ولو كان طبيبا أو كانت معرفته الطبية عامة وشاملة لوصف الدواء لنفسه، وما جيء له بهم. فعن عروة بن الزبير قَالَ: قلتُ لعائشة: يا أُمَّ المؤمنين، لستُ أَتَعَجَّبُ من بصرك بالشِّعْر، أقول: زَوْجَةُ رسول اللَّه ﷺ، وابنة عَلَّامَةَ الناس، ولكن أَتَعَجَّبُ منْ بَصَرِك بالطب، فقالت: يابنَ أُختي، إنَّ رسول اللَّه ﷺ لما طعن في السنِّ سقم، فَوَرَدَت الوفود فنُعِتَ له، فَمِن ثَمَّ (٢٥).

وكما طُلبت الأطباء لرسول الله ﷺ طَلَبها لصحابته، فعن زيد بن أسلم أَنَّ رَجُلا أصابه جرح، فاحتقن الدم، وإن رسول الله ﷺ دعا له رجلين من بني أَنْمَار فقال: «أيكما أطبّ؟» فَقَال رجل: يا رسولَ الله، أَوَفي الطب خير؟ فقال: «إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء(٢٦)».

أما بالنسبة لمصادر معلومات رسول الله ﷺ الطبية فمعلوم أن رسول الله ﷺ لم يكن بمعزل عن الحياة الاجتماعية العامة منذ نشأته، فقد كان يخالط الناس في العمل والسفر للتجارة وفي أفراحهم وأتراحهم، كما كان يعود المرضى، ويسمع ويشاهد المتطببين وهم يصفون أو يعدُّون لهم الأدوية، وكم من صديق وجار وقريب مر بوعكة صحية اقتضت طلب العلاج فعولج أمامه، ورأى وسمع بما أفاد منها وما لم يفد، ولعله جرب بعضها فكانت ذات فائدة. هذه المعلومات الطبية التي سمعها وشاهدها ﷺ اختزنتها ذاكرته، وصقلتها تجاربه الشخصية ثم صاغها نصحًا وإرشادا لصحابته بأسلوبه النبوي البليغ الجامع للكَلِم.

أما بخَصوص معرفة العرب بهذه الأدوية فقد عرف العرب الأدوية النباتية والحيوانية التي توفرت ببيئتهم واستخدموها في علاجاتهم، وهذا شاعرهم لبيد يقول في التداوي ببول الإبل:

**يَهْوِي إِلَى قَصَبٍ كَأَنَّ جِمَامَهُ**
**سَمَلَاتُ بَوْلٍ أُغْلِيَتْ لِسَقِيْمِ(٢٧)**

وما لم يكن موجودا عندهم جلبوه من خارج الجزيرة أثناء سفرهم للتجارة، كما أن هذه الأدوية التي ذكرها النبي ﷺ لم يقتصر استعمالها على البيئة العربية وحدها، بل عرفها اليونان والهنود وتكلموا عنها كلاما علميا كبيان مزاجها وفوائدها ومضارها، وصحيح أن الرسول ﷺ لم يطلع على ما كتبه ديسقوريدوس وجالينوس وغيرهما، وأن الطب عند العرب لم يبلغ رتبة العلم المتقن، بل اقتصر على بعض المعلومات المكتسبة بالاختبار. إلا إن الأمم المجاورة للعرب كانت على درجة من التمدن والتقدم لاسيما في علوم الطب، وهناك من أطباء العرب من سافر ووقف على علوم هذه الأمم وأفاد منها في طبه ومعالجاته، كالحارث بن كلدة، وشاهده الناس يداوي بها، كما أن قليلين من العرب أفادوا من هذه المعلومات الطبية وأتوا بها إلى بلادهم، رغبهم في هذا أحاديث الرسول في تعاطي بعض العلاجات.

وإذا كان النبي ﷺ قد حض صحابته على التداوي بالقُسط وبول الإبل والحجامة وغيرها من الأدوية التي كانت معروفة مستعملة في بيئته، فلا يلزم من نفعها في بيئته أن يعم نفعها كل البيئات، وفي كل الأزمنة، وبهذا قال القرطبي: إن النبي إنما خَصَّ المذكورات لأنها أغلب أدويتهم وأنفع لهم من غيرها بحكم العادة، ولا يلزم كونها كذلك في حق غيرهم ممن يخالفهم في البلد والعادة والهوى، والمشاهدة قاضية باختلاف العلاج والأدوية باختلاف البلاد والعادة. وحديث رسول الله «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه طيب مبارك» الأمر فيه إرشادي للإباحة والندب لمن قدر على استعماله ووافق مزاجه؛ فالدهن في البلاد الحارة كالحجاز من أسباب حفظ الصحة وإصلاح البدن، وهو كالضروري لهم، وأما في البلاد الباردة فضارّ وكثرة دهن الرأس به فيها خطر بالبصر(٢٨). وحديث الرسول ﷺ في الحجامة: «إن في الحجم شفاء» قال شارحه: أي من غالب الأمراض لغالب الناس في قطر مخصوص في زمن مخصوص، هكذا فافهم كلام الرسول، ولا عليك من ضعفاء العقول، فإن هذا وأشباهه يخرج جوابًا لسؤال معين يكون الحجم له من أنفع الأدوية ولا يلزم من ذلك الاطراد(٢٩). وقوله ﷺ: «عليكم بأبوال الإبل البرية وألبانها» قال ابن العربي: لا يمتنع أن تكون ألبان الإبل وأبوالها دواء في بعض الأحوال لبعض الأمراض لبعض الأشخاص في بعض البلدان(٣٠). والعلماء القدامى قصروا العلاج على بول الجمل الأعرابي النجيب الذي يرعى نباتات صحراوية تكون ذات تأثير في بوله كالشيح والقيصوم، وعليه فبول الجمل الذي يرعى في المزارع، أو الذي يعيش في بيئة غير صحراوية، أو الذي لا يرعى مثل هذه النباتات لا يدخل في الحكم(٣١). إننا لو افترضنا أن النبي ﷺ ذكر حديثا في فضل السيف أو القوس أو الرمح فهل معنى ذلك أن نتخلى عن البندقية أو الصاروخ أو المدفع أو المخترعات الحربية الحديثة؟، كلا، لا يجوز التخلي عنها، مع الإقرار بوجود فائدة محدودة لتلك الآلات القديمة، إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها في مواجهة الآلة الحديثة، ولكن يبقى لها أثرها الفاعل في البيئة المشابهة لبيئتها الأولى، وهكذا الأدوية.

أما بخصوص موقف الأطباء والصيادلة القدامى من الطب النبوي،

فالعجيب أن كل كتب الطب والصيدلة التي طالعتها كالحاوي للرازي، والقانون لابن سينا، والمنهاج لابن جزلة، والجامع لابن البيطار، والشامل لابن النفيس، والمعتمد لابن رسول لم يرد بها ذكر مصطلح «الطب النبوي» الذي هو صناعة علماء الحديث قديما، ولم يتضمن أيٌّ من هذه الكتب فصلا أو موضوعا عن الطب النبوي، كما أنهم لم يعتمدوا على كتب الطب النبوي كمصدر من مصادرهم. ودلالة هذا أن هؤلاء الأطباء وهم مسلمون ويحبون الرسول ﷺ وقرأوا أحاديثه، لم يروا فيها ما رآه علماء الحديث كابن القيم وبعض شراح الحديث من إعجاز طبي، وأنهم رأوا أنها وصايا طبية عامة في أغلبها، وأنها اجتهاد شخصي من رسول ﷺ لا يقلل من مكانته، بل يضيف إليها ﷺ بخبراته الشخصية وببلاغته إجلالا وتقديرا.

وختاما فلابد من الجزم بأنه لا يمكن الاستغناء مطلقا عن الطب الحديث في طلب الشفاء، بل له الأولوية في التوجه والقصد، وهذا لا يتنافى مع الشرع ولا يتعارض مع السُّنة التي تحض على التماس العلاج عند الأطباء ذوي الخبرة العامة والكفاءة التامة، كما يجب أن نعلم أن وصايا الرسول ﷺ الطبية لا تخلو من فوائد، لكن الأخذ بها ليس واجبا.

## الهوامش

١- صفح الحبل: وجهه أو جانبه.
٢- الأنوار في شمائل النبي المختار: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: إبراهيم اليعقوبي، دار الضياء للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٠٩/١٩٨٩: ١٢/١.
٣ - حجة الله البالغة: شاه ولي الله دهلوي، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦/٢٠٠٥: ٢٢٤/١ (بتصرف).
٤ - أي لا تعيب في عصمته ولا تقلل من شأنها.
٥ - أخرجه مسلم: باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي.
٦ - أخرجه الشاشي في مسنده: باب من روى عنه ابنه موسى بن طلحة.
٧ - الغيلة: أن يمس الرجل امرأته وهي تُرضع.
٨ - سنن أبي داود: كتاب الطب، باب في الغيل.
٩ - تلقيح النخل.
١٠ - الروض الأنف: السهيلي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، ١٤١٠/١٩٩٠: ٩٨/٥.
١١ - يقول ابن جزلة: أجوده بول الجمل الأعرابي، وهو النجيب، وينفع الاستسقاء والطحال مع لبن النوق. منهاج البيان: ابن جزلة، تحقيق: د. محمود مهدي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٤١٣/٢٠١٠: ٢٢٤.
١٢- الاستسقاء: تجمع السائل بداخل جوف الصفاق من البطن. وعرق النسا: عرق يصل من الورك إلى الكعب، أو هو ألم عصبي ذي صلة بالعصب الوركي.
١٣ - القسط ويسمى قسطس وكشط، وهو قطع خشبية تؤخذ من أشجار شبيهة بأشجار العود، منه ما ينبت ببلاد العرب وهو الأبيض البحري، ومنه ما يجلب من الهند وهو الأسود الخفيف. وذكر ابن جزلة أنه ينفع من عرق النسا ضمادا.: منهاج البيان: ٦٦٢.
١٤ - ذات الجنب: مرض له حالتان: الأولى منهما تسمى بُرسام، وهو ذات الجنب الجاف الناتج عن التعرض للبرد أو الإصابة بالأنفلونزا، وأعراضه: وجع ناخس بالصدر، سعال مختلف الشدة، صداع، ارتفاع في درجة الحرارة، وغالبا ما تزول هذه الحالة بعد أيام. الثانية: وتسمى ذات الجنب الانصبابي، ويحدث غالبا عقب البُرسام إن لم يشف ويزول في حينه، حيث يتكون سائل مصلي بين ورقتي غشاء الجنب، وتتفاوت كمية السائل حسب شدة الالتهاب، ويبدو على المريض ضيق النفس والسعال الجاف والحمى العالية. وربما يرتشح بعض الدم إلى السائل المصلي فيسمى المرض حينئذ ذات الجنب النزفي. المنصوري في الطب: الرازي، تحقيق: د.حازم البكري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت: ١٤٠٨/١٩٨٧. تعليقات المحقق: ٦٥٦.
١٥ - الشقيقة: هي الصداع النصفي.
١٦ - عرف الطب النبوي بأنه هو علم باحث عن الأحاديث النبوية الواردة في طب المرضى، وممن ألف فيه: عبدالملك بن حبيب الأندلسي المالكي (ت: ٢٣٨هـ)، وأبوبكر أحمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن أسباط الدينوري المعروف بابن السني (: ٣٦٣ه)، وأبونعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٢هـ)، وأبوالعباس جعفر بن محمد المستغفري (ت: ٤٣٢هـ)، أبوالحسن علي بن عبدالكريم الحموي علاء الدين الكحال (ت:٧٢٠هـ)، الحافظ شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١ هـ)، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)
١٧ - أي تكلفوا في طلبها.
١٨ - الطب النبوي: ابن القيم، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ٢٨.
١٩ - ما طبع عليه الإنسان.
٢٠ - مقدمة ابن خلدون: عبدالرحمن بن خلدون، دار العودة، بيروت، ١٩٨١: ٣٩١.
٢١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: أبوالفضل عياض اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤/١٩٨٤: ١٨٥/٢.
٢٢ - من الأطباء المشهورين الذين عاصروا النبي ﷺ الحارث بن كلدة وأبورمثة التميمي، ضِماد الأزدي، وشمردل بن قباب الكعبي، وابن خزيم وغيرهم.
٢٣ - المفؤود: الذي أصيب فؤاده فهو يشتكيه.
٢٤ - أي فليدقهن. واللد: أن يؤخذ بلسانه فيمد إلى أحد شقيه، ويصب في الأخر الدواء. الحديث أخرجه أبوداود: باب في تمرة العجوة.
٢٥ - المعجم الكبير للطبراني:١٧ / ٢١.
٢٦ - مصنف ابن أبي شيبة:٧ / ٣٦١.
٢٧ - ومعنى سملات بول أغليت لسقيم: أي بقايا بول من أبوال الإبل التي يشربها المرضى. انظر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: د.إحسان عباس، وزارة الإرشاد الكويتية، ١٩٦٢: ١١٦.
٢٨- فيض القدير: المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥/١٩٩٤: ٩٠/١
٢٩ - السابق: ٥٩٧/٢.
٣٠ - السابق: ٤٥٧/٤.
٣١ - السابق:٤٤٧/٤.

# ما أحوجنا إلى تصحيح المسار في تدريس علوم الحديث!



أ. د. حمزة عبدالله المليباري

**نظرًا لأهمية المؤتمر الدولي لخدمة السنة النبوية الذي عقده أخيرًا جمعية المكنز بالقاهرة برعاية شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، فإني أود أن أجعل موضوعي يثير اهتمامَ أهل التخصص في الحديث الشريف وعلومه، ويَشُدَّ انتباهَهم نحوَ القضايا المنهجيّة التي تمخَّضت عنها جهودُ المحدثين النقاد في العصور الماضية، وبَرْهَنوا جيلاً بعد جيل على دقتها وواقعيَّتها وفاعليَّتها في حفظ السنة النبوية.. بعيدا عن التصحيف والتحريف والانتحالَ والكذب والافتراء، وحتى عن الأوهام النادرة والغامضة التي وقعت من كبار الأئمة.**

وذلك لتطوير طريقة التدريس لمقررات الحديث الشريف، وتحصين أجيالنا من الغزو الفكري المُمَنْهج ضدَّ السنَّة النبويّة، وعدم ضَياع طاقات الأُمَّة الإسلامية الهائلة فيما لا يُلَبِّي حاجةَ العصر، ولا يَسُدُّ الفراغَ الذي يُعاني منه مجالُ السنَّة النبويَّة عمومًا، ولا يُقَاوِم التحدِّيات مُقاوَمةً حَضاريَّةً وهادفة، تنطلق من قوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ الذي يأمر المسلمين أن يَتميَّزوا ويَتفوَّقوا على الآخرين بكونهم أحسنَ منهجًا، وأعمقَ تأثيرًا، وأكثرَ إقناعًا، وأعظم صبرًا، إن أرادوا الإصلاح والتجديد.

هذا، وقد أصبحت خدمةُ السنَّة النبويَّة وعلومها بشتَّى وَسَائلها- التقليديَّة والتقنيّة- محلَّ اهتمام بالغ لدى كثير من الباحثين المعاصرين.. تعليمًا أو تأليفًا أو تحقيقًا، على اختلاف المستويات، وشهدت الأقطارُ الإسلاميَّة تنافُسًا شديدًا في تأسيس المراكز الثقافية، والمؤسسات التعليمية، والجمعيات الخيرية التي تُعنى بتكريس إمكاناتها الماديَّة والمعنويَّة في تعليم الحديث وعلومه.

ومما لاشك فيه أن هذه الجهود العظيمة تتوسَّعُ دائرتُها يومًا بعد يوم، وتُطَمْئِنُ الأُمَّة الإسلاميَّةَ بأنَّ أفرادَها يملكون طاقات هائلة تُمَكِّنُهم من مُواكبة التطورات، واقتحام العقبات، ومواجهة التحدِّيات، من أجل أن تبقى السنَّة النبويَّةُ محفوظةً ومحصَّنَةً وقويَّةً.. تتحطَّم عليها محاولاتُ التشكيك، وإثارةُ الشبهات، لكنها مازالت تفتقر إلى ترشيد أكاديمي، وتوجيه منهجي مُحْكَم؛ لتحقيق ذلك بصورة أكمل.

وهذا ما نفهمه من تقييم الواقع الذي نعيشه، ونوعيّة المُخْرَجات في المؤسَّسات التعليميَّة، إذ نرى كثيرا من الباحثين يدافعون عن السنَّة النبويَّة بأسلوب تغلبُ عليه- في بعض الأحيان- حالةُ انفعال أو غضب أو تعصُّب، بعيدًا عن الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونرى الأعمال العلمية السائدة اليوم- سواء في مجال التدريس أو في تحقيق التراث أو في الدراسات والبحوث- لا يَعْكس أكثرُها الدِّقَّةَ العلميَّةَ المعْهودةَ عن المُحَدِّثين، سواء أكانوا في العصور الأولى (عصور الرواية) أم في العصور المتأخرة (عصور ما بعد الرواية)، الأمرُ الذي استغلَّتْهُ بعضُ المجموعات والطوائف داخلَ الأُمَّة وخارجَها، لا سيَّما المستشرقين غير المنصِفين، لتوجيه تُهَمٍ



نَحْوَ المحدِّثين، وإثارةِ شُبهات حول مصادر الحديث ومصداقيَّتها، كما استغلوا ذلك للإملاء علينا منهجًا يزعمون أنه متكاملٌ بجميع عناصر النقد، بحجة أن النظرة السطحية المتمثلة في الجرح والتعديل هي التي تُشَكِّلُ أهمَّ معاييرِ النقدِ لدى المُحَدِّثين.

فهل الجرحُ والتعديلُ وأحوالُ الرواة- فعلاً- تُشَكِّلُ أهمَّ معايير النقد لدى المحدِّثين النقَّاد؟

هل كان المحدِّثون شكليِّين وسطحيِّين إلى هذه الدرجة؟

هل كانت أعمالُهم وأقوالُهم في مجالِ النقدِ تدُلُّ على ذلك؟

هل هذا هو الذي تضمنته كتبُ المصطلح؟ أم أنَّ الجرح والتعديل من النتائج التي تمخَّضت عنها جهودُ المُحَدِّثين في النقد، ثم استثمروه حتى صار علمًا ليفيد عند الحاجة إليه؟

أليس منهجُهم في النقد قائمًا على الجمع والمقارنة والترجيح في ضوء القرائن العلمية الواسعة؟

ألا يدلُّ على ذلك عملهم في نقد المرويات وتحقيق النصوص؟

ذلك ما أود إثارته تمهيدًا لمداخلتي.

هل علوم الحديث مجرد مصطلحات وتعريفات؟

مما لاشك فيه أن علوم الحديث ليست مجرد مصطلحات تطلق وتردد، وتعريفات تحفظ عن ظهر قلب، بل إنها أوعية تحمل في داخلها قضايا منهجية مهمة، تمخضت عنها جهود المحدثين في حفظ السنة النبوية، سواء أكانت في عصر الرواية أم في عصر ما بعد الرواية. فمن هذه القضايا المنهجية ما يتعلق بنقد المعلومات ونقدِ أصحابها، ومنها ما يتصل بتحليل النصوص وفقهها، ومنها ما يعنى بتوثيق الأخبار وتحقيق مصادرها المخطوطة وتقييم محتواها.

وبما أن هذه القضايا المنهجية هي التي كانت تشكل خلفية علمية لنقاد الحديث لاستخدام مصطلحاتهم النقدية، مثل صحيح وحسن وضعيف ومنكر وغير ذلك من مصطلحات علوم الحديث، فإن شرحها لا ينبغي أن يكون شكليًّا يقتصر على إملاء ما ورد في تعريفاتها من أقوال، ويشجع الطلبة على حفظها عن ظهر قلب بدافع النجاح في الامتحان، بل يجب أن يكون شرحها تحليلاً علميًّا وتطبيقيًّا يعينهم على فهم ما تنطوي عليه هذه المصطلحات من قضايا منهجية، وينمي فيهم مهارات ذهنية في التفكير والمناقشة، والجمع والمقارنة والترجيح في ضوء الأدلة، بعيدًا عن التعصب والتقديس والاستفزاز والتعالي.

والمتتبع لما يصدر اليوم من الأبحاث والدراسات والتحقيقات يتبين أن أكثرها بعيد عن تلك القضايا المنهجية؛ إذ درج أكثر الباحثين على الحكم على الأحاديث حسب مراتب الرواة في الجرح والتعديل، بحيث يوهم أن الحكم على الأحاديث تابع لأحوال الرواة، وأن تحقيق المخطوطات لم يكن سوى مقارنة بين النسخ وتسجيل الفروقات بينها، مع تخريج الأحاديث وتوثيق النصوص وترجمة الرواة والأعلام.

ومن العجب العجاب أن نرى بعض الباحثين يزاحم صفوف النقاد، ويعترض عليهم بقضايا سطحية لا تخفى على المبتدئين، كأن حالهم ينطق: نحن رجال وهم رجال، وكم ترك الأوائل للأواخر، حتى قال أحد الباحثين المتخصصين - وهو في غمرة غضبه وانفعاله -: لو درس أبوحاتم وغيره من الأئمة- حتى البخاري- دراسة وافية لما تجاوزوا النتائج التي توصلت إليها، لأني بحمد الله طبقت قواعد المحدثين. ثم وجدت الرجل يدافع عما قال، متهمًا من خالفه بأنه يقدس الأشخاص ويجعلهم آلهة!!

فما هذه القواعد التي طبقها هو وغفل عنها جهابذة المحدثين؟ هي أن يحكم على الحديث وفق أحوال الرواة، ومراتبهم في الجرح والتعديل.. فينظر في الإسناد ثم يترجم راويًا راويًا، مع تلخيص مراتبهم في الجرح والتعديل حسب تقريب التهذيب، فإذا وجدالرواة كلهم ثقات صحح الرواية، وإذا كان فيهم صدوق حكم على الإسناد بأنه حسن لذاته، وإذا توبع هذا الصدوق حكم عليه بأنه صحيح لغيره، وإذا كان في الإسناد ضعيف غير متهم أصبح الإسناد ضعيفًا، وإذا توبع قال إنه حسن لغيره، وإن كان متهمًا أصبح الحديث متروكًا ولا يتقوى، وإذا اعترضت طريق هذا الباحث «مطبات» وحفر جاوزها بقفزة جريئة.. فيقول: قد وجدت له متابعًا أو شاهدًا، ولا يهمه أن هذا المتابع أو الشاهد قد ذكر في كتب الضعفاء لبيان خطئه ونكارته!!

## هل هذه هي قواعد المحدثين؟

كلا، ليست هي القضايا المنهجية التي تكمن وراء المصطلحات، ولو كان



منهج المحدثين النقاد وعملهم في حفظ السنة قائما على هذه النظرية السطحية ما ظهرت مصطلحات: مثل المنكر والمعلول والمقلوب والمصحف والمدرج والشاذ والمضطرب، وما ظهرت أصلا أنواع الانقطاع الخفي، التدليس وتدليس التسوية وتدليس القطع وتدليس الشيوخ وتدليس العطف!! وإن دلت هذه المصطلحات على شيء فإنما تدل على أن المحدثين كانوا يعتمدون على الجمع والمقارنة، ودقة الترجيح في ضوء خلفياتهم العلمية الواسعة، حتى اكتشفوا ما وقع فيه كبار الأئمة من أخطاء وأوهام نادرة، كما اكتشفوا ما بين راويين من انقطاع خفي مع كونهما متعاصرين يكون أحدهما شيخا والآخر تلميذا.

ولذلك قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: لهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه(١)، يعني قاعدة مطردة تطبق في جميع الأحاديث.

وأكد ذلك الحافظ ابن حجر بقوله: صحة الحديث وحسنه ليس تابعًا لحال الراوي فقط، بل لأمور تنضم إلى ذلك من المتابعات والشواهد وعدم الشذوذ والنكارة(٢).

ومن المعلوم أن الحافظ ابن حجر من أبرز العلماء الذين خدموا علم الجرح والتعديل، ولخصوا مراتب الرواة فيهما بدقة متناهية، ومع ذلك قال: صحة الحديث وحسنه ليس تابعا لحال الراوي.

هذه هي القضايا المنهجية التي تتسم بدقة وشمولية وإنصاف، وهي التي يجب أن نفهمها من خلال مصطلحات الحديث ونبرزها وننتصر لها- نشرا وتعليما وتطبيقا- إن أردنا أن نخدم السنة النبوية في هذا العصر.

أما موضوع تحقيق المخطوطات فكأنه باب مفتوح أمام الجميع! والمتأمل في

**علوم الحديث ليست مجرد مصطلحات تحفظ .. بل أوعية تحوي قضايا منهجية أثمرتها جهود المحدثين**

الكتب المحققة يرى أن كثيرا من الباحثين يظنون أن التحقيق هو مجرد مقارنة بين النسخ التي جمعها، وتسجيل الفروقات بينها، مع تخريج النصوص وتوثيقها، وترجمة كل من ورد فيها من الرواة والأعلام! ولذا نجد بينهم تنافسا ساخنا في تحقيق التراث، وحرصا شديدا على إخراجه قبل الآخر، وظهرت مئات الكتب المحققة على هذا الشكل الذي لم يحترم قواعد التحقيق بل أبجدياته، وتبوأت مقاعدها في رفوف المكتبات!!

كما يؤسفنا أن نقول: إن كثيرا من التحقيقات التي ينجزها الطلبة في إطار الدراسات العليا في المؤسسات التعليمية لا يختلف حالها كثيرا عما ذكرت.

## كيف يتم تصحيح المسار في تدريس علوم الحديث؟

المتتبع لكتب المصطلح مع المقارنة بينها، يتبين له أنها لم تكن على أسلوب واحد في العرض والترتيب والمعالجة، بل تعرضت لتطور مستمر وفق مقتضيات العصور، فقبل ابن الصلاح لم تكن أنواع علوم الحديث مجموعة ومنسقة في كتاب واحد، ومع ذلك فكتب المصطلح غلب عليها أسلوب الرواية، ولم تكن المصطلحات فيها مصحوبة بتعاريفها المنطقية.. فجاء ابن الصلاح فألف مقدمته بأسلوب جديد يختلف عن أساليب الكتب السابقة، ويعد ذلك نقطة تحول كبير في تأليف علوم الحديث، إذ قام بجمع معظم أنواع علوم الحديث من مصادر متنوعة، ووضع لكل نوع منها تعريفا خاصا وفق شروط علم المنطق.

ثم جاءت خطوة أخرى تجديدية لترتيب الأنواع حسب الإسناد والمتن، والمقبول والمردود، ومازالت الكتب محل تجديد وتلخيص وشرح واختصار.

ومهما كان الأمر في التأليف، فإن مستجدات عصرنا تفرض علينا أن نركز على إبراز القضايا المنهجية التي تكمن وراء المصطلحات، وننمي في الطلبة مهارات ذهنية في التفكير والتحليل والاستنتاج، بدل أن ننمي فيهم مهارات الحفظ من أجل الامتحان، وذلك من أجل إعداد جيل قادر على الدفاع عن السنة النبوية دفاعا منهجيا وحضاريا، بعيدا كل البعد عن الانفعال والغضب والتعصب، وحتى نبرهن على أننا خير خلف لخير سلف، وأننا أصحاب منهج دقيق، وأصحاب إبداع.

ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا قمنا بتغيير طريقة التدريس التقليدية التي تشجع الطلبة على حفظ ما يمليه الأستاذ عليهم، وبتغيير المنهج الدراسي الموروث، وفق ما يقتضيه منا عصرنا.

ومن أجل لفت الانتباه إلى ذلك يُقترح في هذا الصدد ما يلي:

علينا أن نقوم بترتيب أنواع علوم الحديث ومصطلحاتها ترتيبا يعين الطالب على استيعابه أكثر للقضايا المنهجية التي تضمنتها المصطلحات، ويكون التركيز في التدريس على إبراز تلك الجوانب المنهجية، ليس فقط في علوم الحديث، بل في جميع المقررات الحديثية؛ لكونها مصادر ثرة لتنمية المهارات الذهنية لدى الأجيال، ليكونوا أصحاب منهج وعقل وإنصاف وحيطة وسلوك.

ولذلك يكون من الأفضل ترتيب أنواع علوم الحديث على الوحدات الموضوعية، وبالتالي فإن كل مصطلح يشترك في

موضوع ما يكون مذكورا في موضع واحد، دون أن يتفرق في أماكن مختلفة، وعلى الأستاذ أن ينطلق دائما من الموضوع إلى المصطلحات التي تطلق فيه.. وهذا الأسلوب يكون أقرب إلى فهم المصطلح وما يتضمنه من قضايا منهجية، كما نلمس ما يشبه ذلك في نخبة الفكر.

وعلى هذا يمكن تقسيم علوم الحديث على أربع وحدات موضوعية، وهي:

ما يتعلق بطرق التحمل والأداء.

ما يتعلق بالنقد (نقد المرويات).

ما يتعلق بالجرح والتعديل (نقد الرواة).

ما يتعلق بفقه الحديث.

أما ما يتعلق بالنقد فينقسم إلى ثلاثة أقسام حسب الموضوع وهي:

ما تبين للناقد صوابه.

ما تبين للناقد خطؤه.

ما لم يتبين له صوابه ولا خطؤه.

إن هذا التقسيم- فيما أرى- واقعي وفاعلي أيضا؛ إذ يدعو الدارس إلى الانطلاق من الموضوع إلى ما يستعمل فيه من مصطلحات، وبالتالي تصبح المصطلحات جلية واضحة، وما تنطوي عليه المصطلحات من قضايا منهجية يكون واضحا أيضا.

وعلى سبيل المثال: مصطلح الصحيح، يمكن أن نبدأ في هذا المصطلح ببيان الموضوع الذي يتعلق به من خلال الأمثلة الواقعية المألوفة لدى الطالب، وهو أن الخبر لما تبين صوابه للمخاطب عبر عنه بلغة واضحة.. وكذلك حين تبين للناقد صواب نقل الحديث عن مصدره، وأن الراوي لم يكن مخطئا حين رواه عن شيخه فإنه يعبر عنه بما يدل على ذلك، وأشهره هو لفظ «صحيح».

وهنا تأتي مناسبة لطرح تساؤل: كيف يتبين للناقد أنه صواب، وأن الراوي قد نقل ما سمعه من شيخه دون خطأ ولا وهم؟ وهل ذلك مجرد تخمين؟ أم إلهام؟ أم أن ذلك كان في ضوء منهج متكامل لا ينقصه أي عنصر من عناصر النقد؟

وهذا بلاشك يمهد لنا إلى الدخول في تعريف الصحيح، لنحلل ما ورد فيه من التعريف، وبذلك نكون قد حققنا نتائج عدة، منها التعرف على منهج النقاد في التصحيح، ودقة هذا المنهج وشموليته، مع وضوح معنى مصطلح الصحيح، وإن لم يحفظ الطالب تعريفه المصاغ حسب المنطق فإن المهم هو فهم ما يتضمنه هذا المصطلح الذي استعمله النقاد من قضية منهجية.

وبهذا الشكل أعددنا محاضرات في مقررات الحديث على «باوربوينت»، والغاية من ذلك هو شد الانتباه إلى ضرورة التطوير وتصحيح المسار، حتى وإن كنت مخطئا في ذلك فإنه يكفيني أن أثير الموضوع للمناقشة، عسى أن نهتدي إلى منهج أدق، فإن عقولا مجتمعة أقوى وأنفع من عقل مفرد.

أما مقرر الحديث التحليلي فلابد أن نسعى لتطوير طريقة تدريسه؛ ليتم لنا تكوين الطلبة تكوينا منهجيا وأخلاقيا في التعامل مع النصوص الحديثية، بل مع جميع النصوص.

ومن الجدير بالذكر أن شروح الكتب لأئمتنا قائمة على قواعد التحليل، ومع ذلك فإننا حين نؤلف كتابا في الحديث أو الحديث التحليلي نسعى دائما للاستفادة منها فيما يتعلق بمعاني الكلمات الغريبة، والمعنى العام، والمسائل المستنبطة، ولا نستفيد ما يتعلق بمنهجهم في الشرح والمناقشة والترجيح.

**الهوامش**

١- شرح العلل ص: ٢٠٨، تحقيق صبحي السامرائي، ط: ٢.

٢- النكت ١/٤٠٤.


• أ.د.حمزة عبدالله المليباري الهندي

ولد عام ١٩٥٢م بولاية كيرلا بالهند

حصل على الماجستير في الحديث النبوي الشريف وعلومه من جامعة الأزهر عام ١٩٨١م بعنوان «تخريج أحاديث عبدالله بن عمر من مسند الإمام أحمد»، والدكتوراه في الحديث النبوي الشريف وعلومه من جامعة أم القرى عام ١٩٨٧م، بعنوان «غاية المقصد في زوائد المسند- القسم الثاني.. تحقيق ودراسة».

رئيس الندوة العالمية الدولية للسنة النبوية وأستاذ الحديث بكلية الدراسات الإسلامية بدبي.

شارك في عديد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية.

وله عديد من المؤلفات والدراسات، منها:

الحديث المعلول.. قواعد وضوابط.

نظرات جديدة في علوم الحديث.

الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها.

تصحيح الحديث عند ابن الصلاح.

عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح.

كيف ندرس علم تخريج الحديث.

علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين.

ما هكذا تورد يا سعد الإبل- حوار علمي.

سؤالات حديثية.

# استخدام المسك كمضاد حيوي

آمنة علي ناصر صديق

**في هذه الدراسة تم استخدام المسك مصدرا للعلاج كمضاد حيوي طبيعي من الطب النبوي، حيث ظهرت فعاليته في علاج بعض الأمراض الجلدية والتناسلية للإنسان والحيوان المتسببة عن الأحياء الدقيقة الممرضة مثل: الفطر الممرض Trichophyton rubrum، الذي يصيب الجلد والشعر والأظافر، والفطر الممرض Aspergillus niger. حيث أظهر المسك فعالية عالية في مقاومته، وأيضا ظهر له تأثير تضادي كبير تجاه الخمائر مثل خميرة Candida albicans.**

كما يمكن استخدام المسك في القضاء على بعض الكائنات الدقيقة الممرضة للعديد من النباتات مثل فطر الفيوزاريوم Fusarium oxysporum .

كما تم تحضير مرهم من المسك يستخدم في علاج الأمراض الجلدية التي تصيب الإنسان، وقد ظهرت له نتائج إيجابية كبيرة.

## المسك في السنة النبوية

المسك منه ما يتكون داخل بعض الأنعام: كالغزال، السلحفاة، قط الزباد، الثور، والفأر، بالإضافة إلى وجوده في بعض النباتات مثل المسك الاميركي، ويعتبر المسك ملك أنواع الطيب وأشرفها وهو كثبان الجنة، وقد ذكر الله تعالى عن صفة الرحيق الذي يشربه الأبرار في الجنة ﴿يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين ٢٥ - ٢٦).

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أطيب الطيب المسك» (١) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها «كنت اطيب النبي ﷺ قبل أن يحرم، ويوم النحر، وقبل ان يطوف بالبيت بطيب فيه مسك»(٢).

ويرتبط المسك بالطب النبوي ويظهر

**يحتوي على مواد فعالة لها قدرة تثبيطية لمدى واسع من الفطريات**

ذلك من سياق الحديث النبوي الشريف الموجه باستخدام المسك للتطهر بعد الحيض كما ذكر مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: ان اسماء سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض؟ فقال تأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر، فتحسن التطهر، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكًا شديدًا حتى تبلغ شؤون رأسها بها ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها، فقالت اسماء: كيف أتطهر بها؟ فقال: «سبحان الله، تطهرين بها فقالت عائشة (كأنها تخفي ذلك) تتبعين اثر الدم» (٣) ومعنى قوله ﷺ «فرصة ممسكة» الفرصة هي القطعة، والمسك، نوع من الطيب، والمراد قطعة من قطن أو قماش أو نحوهما مطيبة بالمسك، وقيل فرصة ممسكة: أي أمسكت كثيرًا كأنه أراد ألا يستعمل الجديد والراجح الأول لأن المراد التطيب.

## مصادر المسك

وقد وضحت مصادر المسك، استعمالاته وتركيبه الكيميائي كما وضحه موقع الحواج على شبكة المعلومات حيث قسمت مصادر المسك إلى:

أ- المسك الحيواني

١- غزال المسك Moschus moschi ferus

وهو غزال طوله حوالي متر وارتفاعه من عند الأكتاف نصف المتر وشعره رمادي طويل وخشن وسهل الكسر ويسعى لطلب طعامه ليلاً وهو سريع الهرب، ويسكن غابات الهيمالايا ويفضل أعاليها وتمتد مساكنه الى التبت وإلى سيبيريا، والشمال الغربي من الصين وأواسط آسيا عامة.

● كيف يحصلون على المسك من غزال المسك؟

هناك طريقتان للحصول عليه

الطريقة الأولى: يقوم الصياد بقتل غزال المسك الذكر حيث يتكون المسك في غدة كيسية يبلغ حجمها حجم البرتقالة في بطنه وتوجد هذه الغدة بقرب الفتحة القلفية للذكر، وفي هذه الأكياس يفرز الغزال مسكه وبعد قتل الغزال يتم فصل هذا الكيس أو الغدة فصلا كاملا ثم تجفيفها في الشمس، أو على الصخور، أو تغطس في زيت ساخن جدًا.

الطريقة الثانية: يمكن الحصول عليه

البحث قدم في مؤتمر الإعجاز العلمي بالكويت عام ٢٠٠٦

دون صيد غزال المسك وقتله حيث يقوم الغزال عند نضج الكيس الذي يحتوي على المسك بحكه على صخور خشنة، لأن الغزال يشعر بحكة شديدة في الكيس عند امتلائه فيقوم بحك الكيس على الصخور فينقشع الكيس بما فيه من مسك ويلصق بالصخور، ويقوم خبراء المسك بجمعه من على الصخور ويسمى الكيس الجلدي بما فيه من مسك «فأرة المسك» ولون المسك داخل هذا الكيس أسود، ويقوم تجار العطور بإدخال بعض المواد عليه وخلطه بها.

٢ - ثور المسك Muskox

يعرف علميا باسم Ovibos moschatus

يعيش في شمال كندا وقد نقل إلى منطقة ألاسكا وهو عبارة عن ثور قصير القامة ولكنه قوي عضليا يصل ارتفاعه إلى متر ونصف المتر، ووزنه ٤٠٠ كجم. له رأس كبير مدلى إلى أسفل وله قرنان منحنيان إلى الداخل ويحمي ثور المسك شعر كثيف يغطي جميع اجزاء جسمه إلى الأرض، وذلك لحمايته من البرودة الشديدة ولون شعره بني إلى البني المسود له رائحة المسك، ولا يوجد في ثيران المسك غدد او أكياس كما هو في غزلان المسك وإنما يوجد المسك في دم الثيران ذكورا وإناثا.

٣- مسك السلحفاة Musk turtle :

يوجد حوالي ثلاثة الى اربعة انواع من السلاحف الحاملة للمسك والتي تعيش في جنوب اونتاريو بكندا ويمتد وجودها الى السواحل الأميركية. توجد غدة أو غدد في الجزء الأسفل من جسم السلحفاة قرب الذيل.

٤- قط الزباد Civet cat :

قط الزباد يتراوح طوله ما بين ٤١ - ٨١ سم وله ذيل طويل يصل طوله إلى ٧٦ سم، وله وجه يشبه وجه القط وهو صنفان إفريقي وآسيوي، ويتميز عن القط العادي بأن له جسما أطول وكذلك وجها أطول وأرجلا أقصر، وبكل رجل خمسة أصابع بها خمسة مخالب يمكن طيها، والفرو طويل وخشن رمادي اللون به نقط أو خطوط سوداء، يتميز قط الزباد بنمو غدد عطرية في البطن وهي تنمو في الذكر والأنثى على السواء، ويحصلون على الزباد من هذه الغدد بكشطه بملعقة من الغدد من الحيوانات الحية من حين لآخر وهي عملية غاية في القسوة، والقط يحجز في اقفاص بعد صيده ويغذى باللحم النيئ ولكنه لا يستأنس ابدا، ويقال انهم يهيجون القط ليزيد من إنتاج الزباد، وأكثر مصادر الزباد بلاد الحبشة وتشبه رائحة الزباد رائحة المسك تماما.

٥-فأر المسك Muskrat

يعيش هذا الفأر في المستنقعات وفي المياه الراكدة وينتشر في أميركا الشمالية وهو يتغذى على أي نبات ينبت في الماء، ويأكل الحيوانات اللينة من حيوانات الماء، له فروة بنية اللون تميل الى الحمرة وهو دافئ ولا يتبلل بالماء، طول جسم الفأر قدم واحد وطول ذيله عشر بوصات وهو ذيل عجيب فهو ليس ذا شعر وانما ذو قشور وهو مفلطح وهو بسبب ذلك يعمل في الماء كمجداف.

والمسك يظهر في التجارة على هيئة:

١- الغدد الكاملة (فأرة المسك) ويسمى عالميًا Musk in pods.

٢- مستخلصًا على هيئة حبيبات تسمى Musk in grain.

ب- المسك النباتي Mimulus cardinlis

يوجد نبات له رائحة المسك يعرف علميًا باسم Mimulus cardinlis ويسمى بالمسك الأميركي.

ج-المسك الكيميائي المصنع:

لقد صنع العالم (Baur) المسك في عام ١٨٨٠م وله رائحة المسك الا انه يختلف عن المسك الطبيعي في الصيغة الكيميائية، ويستخدم هذا المسك الكيميائي على نطاق واسع في تحضير العطور، كما توجد عدة انواع من المسك المصنع والتي لها خاصية رائحة المسك وتشمل هذه الأنواع Musk xylol، Ketone musk، Musk ambrette.

## ما أجود أنواع المسك؟

أحسن أنواع المسك هو الوارد من الصين أو التبت ويليه من آسام أو نيبال وأقلها الوارد من سيبيريا، وأجود أنواع المسك عن ابن سينا:

١- من ناحية معدنه، الثبتي وقيل بل الصيني ثم الجرجيري ثم الهندي البحري.

٢- من جهة الرعي: ما يرعى البهمنين والسنبل ثم المر.

٣- من جهة لونه ورائحته: الفقاحي الأصفر.

## استعمالات المسك

يستعمل المسك من جهتين

١- استعماله في الأطياب

وهو أشرفها وأطيبها يسر النفس ويقويها ولطيب رائحة المسك فقد شبهت رائحة كفه ﷺ برائحة المسك، روى البخاري ومسلم عن انس رضي الله عنه «ولا شممت مسكا ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي ﷺ».

و يستخدم المسك في تثبيت أغلى العطور ليبقي رائحتها فواحة سنين طويلة ولذلك يستفاد منه كمثبت للروائح.

٢-استعمالاته الدوائية:

يعتبر المسك مقويا للقلب نافعا للخفقان والأرياح الغليظة في الأمعاء وسمومها، ويستعمل كذلك في الأدوية المقوية للعين ويجلو بياضها الرقيق وينشف رطوبتها ويزيل من الرياح، وهو منشط للباءة وينفع من العلل الباردة في الرأس، وكذلك يكون نفعه في حالات الزكام، ومن أفضل الترياقات لنهش الأفاعي، ويقطع رائحة العرق، وتؤكد الأبحاث الحديثة فائدة المسك لتنشيط القوى الحيوية والجنسية، كما يفيد لمعالجة تشنجات الأطفال العصبية المنشأ وعسر الهضم ويقوي المعدة (الطب النبوي، والاعجاز الطبي في القرآن).

لذا تهدف هذه الدراسة للتعرف على تأثير المسك كمصدر طبيعي من الطب

النبوي يستعمل كمضاد حيوي للفطريات والخمائر المسببة لبعض الأمراض في الإنسان، الحيوان ، والنبات، واشتملت على مجموعة الفطريات Tridchophytonnand microspovvium المسببة للسعفة (التينيا) التي تصيب الإبط axillaries الذقن أو اللحية (burbae)، الرأس (capitis)، الجسد (corporis)، الفم (pedi)، حلقية (circinat)، هدبية (ciliorum) والظفر (unguium) بالاضافة إلى السعفة الفرعية (favosa)، الوجه (faciei)، الأربية (inguinalis)، واليد (manus).

كما تم دراسة كل من فطر الاسبرجلليس aaiger Aspergillus المسبب للعديد من الأمراض في أنسجة الإنسان والحيوان تعرف بـ Aspergillosis وتتميز بوجود التهاب تحببي في الجلد والأذن الخارجية والجيوب الأنفية ومحجر العين، العين، الرئتين، المهبل والرحم، الحلق، الجلد، فروة الرأس، الأصابع، الأظافر، شعبتي القصبة الهوائية والرئة أو تظهر بصورة جهازية كعفونة الدم، التهاب السحايا، والتهاب الشناف لبطانة القلب. (١٩٩٩. Suhonen er al).

كما تهدف هذه الدراسة الى بيان شمولية الإعجاز العلمي في السنة النبوية باستخدام المسك كمضاد حيوي لبعض الفطريات المسببة للأمراض النباتية، والمسببة لأمراض الذبول، أعفان الجذور ومسقوط البادرات مما يؤدي إلى موت النباتات وحدوث خسائر اقتصادية كبيرة، ويعتبر ذلك من بعض المشاكل الزراعية الرئيسية والتي تتعرض لها زراعة الخضراوات خاصة في البيوت المحمية كإصابة البادرات الصغيرة ببعض الفطريات من ساكنات التربة.

## النتائج والمناقشة

يتضمن هذا البحث دراسة لفاعلية المسك كمضاد حيوي للفطريات والخمائر المسببة لبعض الأمراض للإنسان والحيوان والنبات والمسجل كبراءة اختراع بمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، (١٤٢٥ هـ)، فعلى الرغم من الفعالية العالية للمضادات الحيوية التي تستخدم في علاج العديد من الأمراض المتسببة عن الكائنات الحية الدقيقة فهي بالاضافة إلى ذلك قد تسبب مضادات الفطريات آثارا جانبية مختلفة عند استخدامها في العلاج أو قد تنتج سلالات مقاومة للمضادات الحيوية، لذا فقد ظهرت دعوة نشطة لاستخدام المصادر الطبيعية في علاج العديد من الأمراض ومن بينها ما ذكر في الطب النبوي ومنه المسك الذي تم استخدامه كمضاد حيوي للتعرف على تأثيره الضد فطري على كل من الفطريات المرضة للإنسان، والفطريات المرضة للنبات، بالاضافة الى معرفة تأثيره على الخمائر الضارة أو المرضة حيث ظهرت فعاليته في علاج بعض الأمراض الجلدية والتناسلية للإنسان والحيوان المتسببة عن الأحياء الدقيقة المرضة مثل: الفطر المرض الذي يصيب الجلد والشعر والأظافر، كما تم تحضير مرهم من المسك يستخدم في علاج الأمراض الجلدية التي تصيب الإنسان وقد ظهرت له نتائج إيجابية كبيرة.

من النتائج التي تم الحصول عليها في هذه الدراسة يمكن القول بأن المسك يحتوي على بعض المواد الفعالة التي لها قدرة تثبيطية لمدى واسع من الأحياء الدقيقة المرضة كالفطريات المرضة لكل من الإنسان والنبات بالإضافة للخمائر بدليل حدوث التثبيط الواضح في النمو الفطري، خاصة وأنه قد أثبت الفحص المجهري للمسك خلوه تماما من الكائنات الدقيقة، فمن الممكن أن تكون هذه المواد الفعالة الموجودة به شبيهة بمضادات الحيوية أو بعض المواد الأخرى التي بها قدرة تضادية على الميكروبات مثل القلويدات حيث أثبتت الأبحاث مقدرة القلويدات على تثبيط نمو كثير من الأحياء الدقيقة المرضة، وأيضًا بعض المواد السامة.

وقد اتفقت هذه النتائج مع ما توصل إليه آخرون من وجود تأثير مثبط لبعض المركبات الفينولية المعزولة من النباتات الراقية على أنواع مختلفة من الفطريات والخمائر.

كما تم ايضا تثبيط للنمو عن طريق تداخل بعض مكونات المسك مع الإنزيمات البنائية في داخل الفطر فتؤثر على نشاطها.

ومن الممكن أيضا أن يكون التأثير المثبط للمسك راجعا إلى الزيوت الطيارة المتواجدة فيه حيث إن لها القدرة على إيقاف نمو العديد من الكائنات الدقيقة، وقد تتكون مركبات معقدة مع مكونات المسك والبيئة الغذائية بحيث تجعل من الصعوبة امتصاص المواد الغذائية من البيئة مما يؤثر على نمو الكائنات الدقيقة المرضة، من هنا تظهر أهمية استمرار الباحثين في اكتشاف مضادات فطرية جلدية تقل فيها الآثار الجانبية بالإضافة إلى فعاليتها العالية في العلاج وذات تأثير على السلالات الفطرية الجديدة المقاومة لمضادات الفطريات المستخدمة في الوقت الحالي.

وقد وضح عبداللطيف (١٩٩٦م) في دراسة حديثة أن الطهر (انقطاع الدم) في فترة الحيض والتطهر بالمسك لاقتفاء أثر الدم يزيل الجراثيم الضارة بالإضافة إلى أنه يهيئ الظروف الطبيعية لتواجد عصوبات دودرلين التي تكبل نمو الجراثيم الضارة ويقف نشاطها ويحول دون تكاثرها علاوة على أنها تحول السكر إلى حمض اللبنيك وهو القاتل للجراثيم الضارة خاصة إذا ما اتبعت السنة النبوية الشريفة في التطهر بالمسك فهو فضلا عن طيب رائحته قاتل للجراثيم، وعليه فإنه يمكن استخدامه كمضاد حيوي من مصادر طبيعية لقلة الآثار الجانبية على الإنسان والبيئة وسهولة استعماله وتأثيره الفعال

للأمراض الجلدية والتناسلية للإنسان والحيوان وعلاج الأمراض المتسببة عن الخمائر، وقد سبق استخدامه من قبل الإنسان في التطهر كما ذكر مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها في قوله ﷺ بعد الغسل من الحيض (تأخذ ممسكة فتطهر بها) (سبق تخريجه).

ومن جهة أخرى يمكن استخدام المسك في معاملة البذور قبل زراعتها حتى نتجنب المشاكل الزراعية الرئيسية التي تتعرض لها زراعة الخضراوات خاصة في البيوت المحمية، ومنها إصابة البادرات الصغيرة ببعض الفطريات من ساكنات التربة التي تسبب لها أمراض الذبول، أعفان الجذور، وسقوط البادرات مما يؤدي إلى موت وحدوث خسائر اقتصادية كبيرة.

وبالمقارنة بالسلبيات الناتجة عن استخدام المبيدات الكيميائية والتي على الرغم من فائدتها في زيادة انتاجية المحاصيل الزراعية فإن لها أخطارًا قد تؤثر على صحة الإنسان، وذلك بتراكم هذه المواد في أنسجة النباتات، وبالتالي انتقالها للكائنات الحية التي تتغذى على تلك النباتات بطريق مباشر أو غير مباشر عن طريق السلسلة الغذائية، وأيضًا ما ينتج عن المواد الكيميائية من خطر على البيئة علاوة على ذلك تكلفتها المادية، لذا بدأ الاهتمام يتزايد بإدخال طرق أخرى جديدة للمكافحة مثل طرق المكافحة الحيوية كوسائل آمنة ومضمونة وغير مكلفة وذلك للقضاء والحد من انتشار بعض الأمراض، وعليه تم استخدام المسك لمعرفة تأثيره على هذه الفطريات المرضة كمادة طبيعية وخالية من أي مواد كيميائية مصنعة وقلة تكلفتها الاقتصادية.

وحول طبيعة وإجراءات الدراسة تقول الدكتورة آمنة: لتبسيط الموضوع للقارئ الكريم فقد تم وضع طبقين لكل تجربة ووضع في أحد الأطباق مسك وبقي الطبق الآخر بدون مسك ووضع في كل منهما الفطر المرض للإنسان، فظهرت هالة رائقة خالية من النمو الفطري حول المسك مقارنة بالعينة الخالية من المسك والتي ظهر فيها النمو كاملاً حول الثقب الخالي من المسك السائل وهذا يعتبر مؤشرًا على قوته في إيقاف ومنع نمو الفطر وكذلك إمكانية استخدامه لعلاج الإصابات الفطرية الجلدية والناشئة عن تلك الفطريات، ومثل ذلك يقال في اختبار الخمائر والفطريات النباتية وبالإضافة إلى فعالية المسك ضد الكائنات الحية الدقيقة المرضة للإنسان ظهر تأثيره كذلك في القضاء على بعض الفطريات المرضة للنبات حيث يتضح تأثير المسك كمضاد حيوي ضد الفطريات المسببة للأمراض النباتية، كما يتضح التأثير الفعال للمسك ومنعه لنمو الخميرة الضارة لمسافة كبيرة حول المسك فيما يظهر فيها النمو للخميرة منتشرًا في الطبق الخالي من المسك بشكل تام. النتائج تؤكد فعالية المسك وتضيف الدكتور آمنة قائلة: ومن خلال نتائج الدراسة يمكن القول بأن المسك يحتوي على بعض المواد الفعالة التي لها قدرة تثبيطية لمدى واسع من الأحياء الدقيقة المرضة كالفطريات المرضة لكل من الإنسان والنبات بالإضافة للخمائر بدليل حدوث التثبيط الواضح وإيقاف النمو الفطري لكثير من الأحياء الدقيقة المرضة وعليه تم استخدام المسك لمعرفة تأثيره على هذه الفطريات المرضة كمادة طبيعية وخالية من أي مواد كيميائية مصنعة وقلة تكلفته من الناحية الاقتصادية.

ويعتبر استخدام المسك كمضاد حيوي من الإضافات العلمية الجديدة التي تنطلق منها أبحاث تزيد في ميزان تلك الكنوز العلمية من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وتوضح مدى كفاءة المسك كمضاد للحيوية وهي المرة الأولى التي يتم تطبيقها في المجال الزراعي خاصة أن المسك سبق استخدامه في التطهر بعد الحيض من قبل النساء من رسول الله ﷺ وبالتالي تتم المحافظة على البيئة من التلوث.

ومن هنا يظهر لنا بعض أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة اللذين يتضح فيهما أن خلق الله وإبداعه يفوق كل صنع، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (لقمان:١١).

## أوجه الإعجاز العلمي في السنة النبوية للمسك

١- يرتبط استخدام المسك بالتوجيه النبوي لاستخدام المسك في التطهر بعد الحيض كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غسل الحيض؟ فقال: «تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهر، فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكًا شديدًا، حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء ثم تأخذ فرصة ممسّكة فتطهر بها، فقالت أسماء: كيف تطهر بها؟ فقال «سبحان الله تطهرين بها» فقالت عائشة: (كأنها تخفي ذلك): تتبعين أثر الدم»، (سبق تخريجه)، يتضح من هذا الحديث مدى الإعجاز العلمي في قول الرسول ﷺ باستخدام المسك بعد الحيض، حيث اتضح أن الأحياء المجهرية المرضة تكثر أعدادها في فترة الحيض وقد أظهرت هذه الدراسة تأثير المسك في القضاء على هذه الميكروبات المرضة وكانت النتيجة ايجابية بدرجة كبيرة.

### الهوامش

١- (أخرجه مسلم في الألفاظ) (جـ٤/١٨،١٩/ح ٢٥٢٢/ص ١٧٦٥) من حديث ابي سعيد الخدري والترمذي (جـ٢/ح١٩٩)،

٢- أخرجه مسلم (جـ٢/ح٨٤٩/ حديث رقم ٤٦- ١١٩١(جـ ١/٣٢:٣١/ح ١١٨٩/ص ٨٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٣- صحيح مسلم ج١ ص ١٧٩، ١٨٠

# استخدام آيات القرآن في العمران

أ.د. يحيى حسن وزيري

**تدل كل الشواهد التاريخية والعملية على أنه لم توجد أمة على وجه الأرض قد احتفت بكتابها المقدس مثلما فعل المسلمون، فالأمة الاسلامية احتفت بالقرآن الكريم، قراءة وحفظا، تدبرا وتفسيرا وتطبيقا، كما لم تفعل أي أمة مع كتابها المقدس.**

**ويتجلى ذلك في حرص المسلمين على تحفيظ أبنائهم كتاب الله منذ نعومة أظفارهم، وفي حرص العلماء على تدبره وفهم معانيه، فتعددت التفاسير القرآنية على مر تاريخ الأمة الاسلامية.**

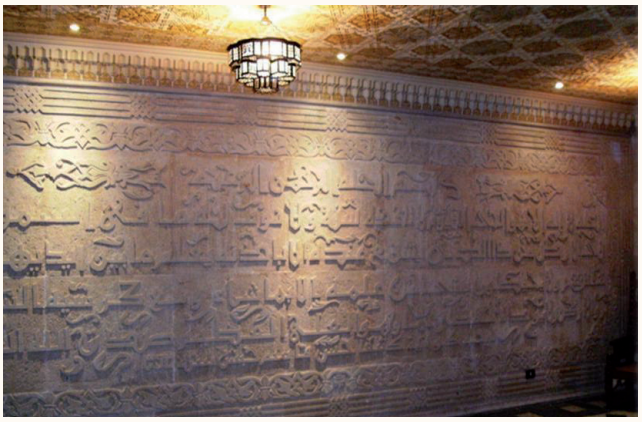
أما من الناحية الفنية، فلقد انعكس ذلك أيضا في الاهتمام بالمصحف نفسه، كتابة وزخرفة وتلوينا، ويقرر عالم الآثار الفرنسي «أوليج جرابار» والذي تخصص في دراسة الآثار الاسلامية، أنه وجد اتجاهين لتزيين وتجميل المصحف نفسه، وهما(١):

١- تنوع أساليب الكتابة.

٢-اضافة زخارف صغيرة عادة تجريدية أو نباتية، داخل النص الأساسي أو الهوامش.

ففي بعض النماذج عناوين كبيرة توضع بين السور، وبعضا منها اكتسب تصميمات زخرفية، كما أنه في نموذج آخر مجموعة من الصفحات استعملت عقودا وأخرى لمحات معمارية، ربما تشير لأماكن صلاة الى جانب التصميمات الهندسية والنباتية.

وفي عصر المماليك والإلخانيين أو النصوص المتأخرة، فإن الخراطيش cartouches وعنوان كل سورة فصلت بطريقة درامية عن النص، بينما في النصوص الأولى كانت أكثر تراكبا وقربًا من بعضها، كما أن التزيين كان عن طريق



الاختلافات في الحجم أيضا.

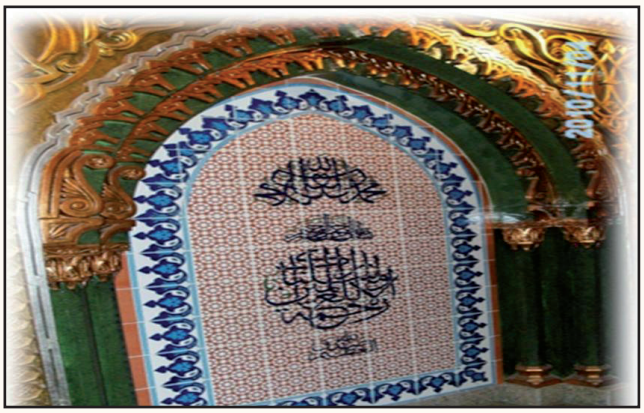
كما وجدت نسخ قليلة ولكنها ضخمة من المصاحف كما في العصر التيموري، والتي كانت تحتاج لكراسي مصاحف خاصة لكي يمكن استعمالها، وكانت صفحاتها لا يمكن أن تقرأ وتقلب في آن واحد.

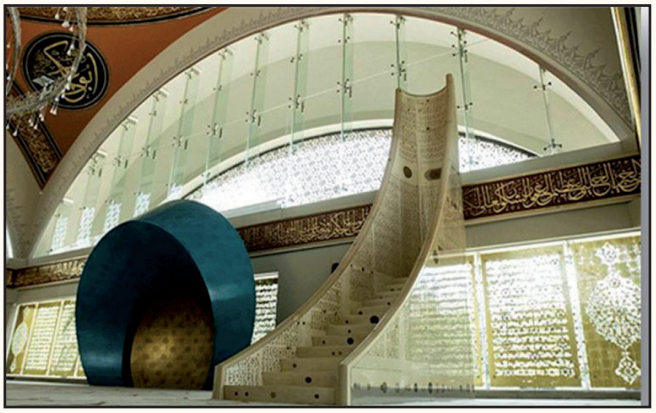
أما عن استخدام الآيات القرآنية في العمران والبنيان، فقد لاحظ المتخصصون في مجال الآثار والعمارة الاسلامية أن معظم الكتابات الزخرفية في تلك العمائر، عبارة عن اقتباسات من القرآن والتي غالبا ما تحمل دلالة على وظيفة المباني التي استخدمت في تزيينها وزخرفتها.

وفي دراسة هامة للباحثتين «اريكا دود» بالاشتراك مع شيرين خيرالله، نشرت عام ١٩٦٩م تحت عنوان: «صورة الكلمة»، تم توضيح المقدمات التاريخية والنفسية خلف وجود الكتابات القرآنية في العمائر الاسلامية، والتي تركزت أساسا لمنع أو الحد من الصور الدينية المسيحية أو الوثنية، فالتيار الأساسي للحضارة الاسلامية استبدل الصور بالكلمات بغرض التزيين والتذكير بكلمات الله سبحانه وتعالى في آن واحد.

ان الكتابات المزخرفة للقرآن استعملت مبكرا في العهد الأموي، مرتبطة بعهد الخليفة عبدالملك بن مروان والذي جعل اللغة العربية هي لغة الادارة، واستعملت كنقش في سك العملة، وكانت الآية الأساسية التي استعملت كصيغة قياسية لآلاف وآلاف العملات هي قوله تعالى: ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (التوبة: ٣٣) ويطلق عليها آية الرسالة، وفي الحقيقة يلاحظ أن استخدام آيات أخرى غير هذه الآية كان نادرا في هذا الصدد.

أكاديمي مغربي





إن تأكيد الحقيقة السياسية والدينية للآية التي اختيرت كنقش على العملات، يمكن توضيحه بسهولة على أساس أن سك العملة استخدم على مستوى العالم وقتها، ومنافسا للنقوشات الفضية أو الذهبية للبيزنطيين.

كما أنه بالنسبة للموازين والأختام التي استعملت داخل الدولة الاسلامية، استخدمت الآية القرآنية التالية كزخرفة: ﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ (الشعراء: ١٨١) وذلك تبعا لدراسة «ميلز».

ان من أوائل نماذج استخدام الاقتباسات القرآنية في المباني يظهر في قبة الصخرة بالقدس (٧٢ هجرية)، حيث يمتد ٢٤٠ مترا من النقوش الكتابية الأموية في جانبي الجزء المثمن تحت القبة من الداخل والخارج، ويعطي أمثلة من تلك الكتابات القرآنية ومن أهمها تلك الآيات التي تتحدث عن المسيحية، والتي تتناسب مع مدينة كانت في ذلك الوقت مركزا تعبديا رئيسيا للمسيحية، ومن أمثلة تلك الكتابات قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته...﴾ (النساء: من الآية ١٧١).

اقتباسات أخرى بقبة الصخرة استخدمت تجميعات مختلفة من بعض الآيات القرآنية والتي تتناسب مع الغرض الأخروي (الديني) والتبشيري للمبنى، مثل آية الكرسي (الآية ٢٥٥ من سورة البقرة)، وسورة الاسراء وغيرها(٢).

لقد تم استخدام الآيات القرآنية بعد ذلك على نطاق واسع في المساجد الاسلامية، بحيث لا يكاد يخلو أي مسجد منها، وبخاصة في محاريب وقباب المساجد أو على أماكن مختارة من حوائطها، كما احتوت العديد من مداخل وقاعات المنازل الاسلامية على بعض الآيات القرآنية أيضا، حيث أصبحت تلك الاقتباسات القرآنية جزءا لا يتجزأ من تلك العمائر وأسلوبا أساسيا لتزيينها وزخرفتها.

وفي العصر الحديث ومع تطور الفكر المعماري، رصدت محاولات معمارية لاستخدام شكل المصحف نفسه أو بعض صفحاته في مقترحات لتصميم بعض مباني المساجد نفسها، وكنموذج شهير لذلك المقترح التصميمي المقدم من المعماري المسلم «باسل البياتي» لتصميم واجهة مسجد على هيئة عقود ضخمة على شكل كتب مفتوحة تمثل القرآن، على الطريق السريع لمدينة الرياض(٣).

ونموذج تصميمي آخر يتمثل في محراب مسجد الملك فيصل، في «اسلام أباد» العاصمة الباكستانية، حيث قام النحات الباكستاني «جلجي» بتصميم محراب المسجد بفكرة جديدة ومبتكرة على هيئة قرآن مفتوح.

وسواء كانت تلك الأفكار السابقة ناجحة أم لا من الناحية الفنية، فهذه التطويرات تحدد بوضوح أن المستقبل سوف يشهد تجارب أكثر، لاستعمال القرآن ككتاب أو مصدر للاقتباس، لتعزيز العمارة وخاصة عمارة المساجد لإرسال رسائل دينية وايديولوجية.

ومن المحاولات الهامة في مجال استخدام الآيات القرآنية في الأبراج السكنية المعاصرة، ما قام به كاتب المقال من استخدام العديد من الآيات القرآنية في مداخل برج أرابيسك بمنطقة مصر الجديدة بالقاهرة، وكذلك كتابة الآيات القرآنية وأسماء الله الحسنى على حوائط سلم هذا البرج بكامل طوابقه الاثني عشر، وكل ذلك تذكير بكلمات الوحي الإلهي المقدس، وتجميل وزخرفة لهذا البرج السكني من الداخل.

**الهوامش:**

1-Oleg Grabar (1995). Art Architecture and The Qur'an (Chapter V). in: Construction the study of Islamic Art. pp. 650- 1100.

2-For more details see: Marguerite Van Berchem (1982). Muslim Jerusalem. Foundation Max Van Berchem. Geneve.

www.Basil albaiaty.com



# النصح والنصيحة في كتب الأدب

د. محمد المشطاوي

**لا يعيش المسلم فردا وحيدا في مجتمعه، بل يعيش وسط هذا المجتمع الذي مار ويمور بأصناف من العقائد والأخلاق والمعتقدات، منها ما يتوافق مع صحيح معتقد المسلم، ومنها ما ينحرف يمينا أو يسارا، ومنها ما لا يمت إلى صحيح المعتقد بسبيل. وأقول «المعتقد» لأن المعتقد من أهم الدوافع للفعل والسلوك، وما بعده تابع له، أو هكذا ينبغي أن يكون، فمعتقدنا هو ما وقر في قلوبنا وصدقه عملنا أو كذبه، ووسط هذا المجتمع المائر الفائر يحتاج المرء إلى الناصح الرفيق الداعي إلى الخير وإلى سواء الصراط، سواء كان هذا الداعي نفسَه التي بين جنبيه، أم أحد أفراد المجتمع ممن حوله، أم ممن ندبهم الشرع والشارع أو أولو الأمر إلى ذلك، وفي تحقيق هذا النصح والانتصاح أمان للفرد وللمجتمع.**

## الدين النصيحة

ولهذه الأهمية الكبرى للنصيحة والانتصاح، عني القرآن الكريم بهذه القضية أشد العناية، وذكر النبي ﷺ أن الدين النصيحة (١)، بدءا من النصح لله وانتهاء لخلقه جميعا، بحيث تتحقق مرادات الشارع من الاستقامة والصلاح والسعادة للفرد والمجتمع.

وقد اهتم الفقهاء كثيرا بالحديث عن النصيحة وأهميتها وكونها فرضا على سبيل العين أو الكفاية باختلاف بينهم، مما لا مزيد عليه، ويمكن الرجوع في هذا الصدد إلى ما كتبوه، سواء في باب النصيحة، أم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الاحتساب في كتب الفقه والآداب.

ومما ينبغي أن يشار إليه هنا قبل أن نتحدث في عجالة عن العلاقة بين الأدب والنصيحة:

أولا: من الملاحظ أن مادة «نصح» بلفظها المباشر- ودلالتها المباشرة أيضا- كانت أكثر ورودا وحضورا في سورة الأعراف (٦ مرات من عدد ١٢ مرة بالقرآن كله) (٢)، وهذه السورة ذكرت قصة غواية الشيطان لآدم وزوجه، وقصة عدد من الأنبياء كنوح وهود وصالح وشعيب ونصحهم لقومهم، كما عنيت بقصص بني إسرائيل من عبادتهم العجل وتعاملهم مع يوم سبتهم وغيرها من القصص، وكان دور النصح في هذه القصص حاضرا بما لا يخفى: فنصح الشيطان الكاذب أردى آدم وزوجه، ونصح بني إسرائيل ذهب أدراج الرياح في عبادة العجل ويوم السبت، إلا أن الله نجى من نصحوا أو انتصحوا، كما أن اسم السورة نفسه يوحي بالمفاصلة والمفارقة بين من نصح وانتصح فكان جزاؤه الجنة وغيره ممن لم ينصحوا أو ينتصحوا... إلخ، المهم أنها توحي أيضا بحضور ما لمعنى النصح والانتصاح لدى الفرد والمجتمع، كما أشارت إلى أن العلاقة بين الناصح والمنصوح علاقة حرص وحب من الناصح، وأحيانا إعراض واتهام من المنصوح له.. وهذه إشارات ربما تحتاج إلى مزيد إيضاح ودراسة وعناية، ليس هذا البحث موضعها.

ثانيا: توزع الحديث في شأن النصح والنصيحة بين كتب الفقه وكتب التزكية وكتب الأدب، وفي هذا إشارة إلى مدى حضور هذه القضية في التراث الإسلامي، وإلى أن للنصح شقين مهمين: شق قانوني تشريعي يضبط في هذا سلوك الناصح وعملية النصح، وشق نفسي إيماني دافع إلى الاقتناع الشخصي بضرورة قبول النصح والانتصاح... إلخ.

ثالثا: تنوعت مصطلحات النصح في هذا التراث، فمرة هو أمر بمعروف ونهي عن منكر، ومرة نصح، ومرة توجيه وإرشاد، فضلا عن حضوره في مصطلحات أخرى كالاحتساب والدعوة والرفق والإحسان إلى المخالف والستر... إلخ.

رابعا: بلاغة النبي ﷺ في حصر الدين في النصيحة، وهو ما يشير إلى أن النصيحة هي عماد الدين وقوامه وأساسه، وأنها تشتمل على «خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل، سمى ذلك كله دينا، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها، وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة» (٣).

خامسا: توجيه الشارع إلى أن النصيحة واجبة «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم» (٤)، كما أوضح النبي ﷺ حينما سئل عن قوله «الدين النصيحة» لمن هذه النصيحة؟ فأجاب بالسابق. ومن أفضل ما جُمع في شرح هذا الحديث ما نقله النووي في شرحه لمسلم عن الخطابي، فليُرجع إليه (٥).

سادسا: كثر في كتب التزكية والفقه،

دكتوراه في اللغة من دار العلوم - جامعة القاهرة



الحديث عن آداب النصح والتوجيه والإرشاد، واحتوت هذه الكتب العديد من القصص التي تبين كيف تعامل السلف مع قضية النصح وعاشوها واقعا وممارسة، وما ينبغي على الناصح والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر... إلخ. (كإحياء علوم الدين للغزالي، وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي).

وكما اهتمت كتب الفقه والتزكية وغيرها بالنصح، فقد اهتم بهذا أيضا كتب الأدب، وهو موضع حديثنا فيما يأتي:

الأدب نصح وتوجيه وإمتاع

إذا تصفحنا بعض المعاجم اللغوية باحثين عن معنى كلمة «أدب» ودلالتها فسنجد أن مفهوم كلمة الأدب في المعجم يدل على الاهتمام بالتربية، والتربية تعني التوجيه والإرشاد، وهما يعنيان بالضرورة النصح والمتابعة والمراقبة.

فالأدب (محرّكة) الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي به لأنه يأدب (يدعو) الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، بل قيل إن الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه، ونقل أيضا أن الأدب هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق. وقال أبوزيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل. وقيل: الأدب في اللغة: حسن الأخلاق وفعل المكارم.

وأدّبه أي (علمه، فتأدب) تعلم. وأدبته أدبا، من باب ضرب: علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، وأدبته تأديبا مبالغة وتكثير، ومنه قيل: أدبته تأديبا، إذا عاقبته على إساءته، لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب. وجمل أديب، إذا ريض وذلل، وكذا مؤدب (٦).

فكل هذه المعاني دائرة حول التوجيه والتهذيب والتعليم الخلقي وما يتطلبه ذلك من أدوات ومنها الإلزام و العقاب. أما إطلاق لفظ الأدب وكونه اصطلاحا على بعض علوم العربية، فهذا مما كان بعد ظهور الإسلام واستقرار حضارته. والتأديب هنا ربما أخذ ملمح الوظيفة الرسمية، والإلزام، ولذلك وجدنا قديما وظيفة المحتسب الذي يؤدب ويهذب ويوجه ويعاقب بما يأمره به الوالي.

وقد اهتمت كتب الأدب برسم ملامح عمل المحتسب، وهو في أصله ناصح ومتابع لأحوال الناس ومعاشهم، فهذا ابن الأثير يذكر في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» (٧) «تقليدا» لمحتسب- وهو ما يمكن أن يماثل خطاب التكليف في عصرنا، إذ كانت وظيفة المحتسب ذات دور كبير ومهام ضخمة ومكانة عظمى في التاريخ الإسلامي، وكان يمارس أدواره بعد تكليف من ولي الأمر وبخطاب موجه يسمى «التقليد». وقد كان يتولى كتابة- أو صياغة بلغة أخرى- كتاب التقليد (التكليف) صاحب الإنشاء الذي يتمتع بالضرورة بثقافة إسلامية بشقيها اللغوي والشرعي، وهو منها بمكان رصين. ويحسن هنا أن نذكر أن هذه الوظيفة تولاها كثير من غير المسلمين- المثقفين بالثقافة الإسلامية، كأبي إسحاق الصابئ مثلا- لولاة أمر مسلمين.

وقد ارتبطت كلمة الأدب والآداب أيضا لدى الفقهاء بما ينبغي أن يكون، سواء كان على سبيل الوجوب أم غيره، فتحدثوا عن آداب الطعام والشراب واللباس والنكاح، والفتيا، والحرب، وآداب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل هذه آداب، بما تحمله الكلمة من معنى توجيهي تهذيبي تأديبي، ولهم العديد من الكتب التي تحمل كلمة «آداب» أو «أدب»، ولا يخفى حضور مصطلح «الآداب الشرعية» وبروزه في الفقه الإسلامي.

أما ميزة كتب الأدب في حديثها عن النصح والتوجيه، فهي أنه يأتي مقرونا بالمتعة الناتجة عن القص والحكي والتمثيل والأشعار والرقائق التي تحفل بها كتب الأدب، ومن ثم يكون نصحا غير جاف أو مباشر، فتأنس له النفس، ويتغلغل داخل الروح، فيتأثر السلوك.

بقي أن نشير إلى بعض ملامح كلمة النصح في معاجمنا أيضا، فقد نقل الزبيدي في تاج العروس أن: الأكثر من أئمة الاشتقاق على أن النصح تصفية العسل وخياطة الثوب، ثم استعمل في ضد الغش، وفي الإخلاص والصدق كالتوبة النصوح. وقيل: النصح والنصيحة والمناصحة: إرادة الخير للغير وإرشاده له، وهي كلمة جامعة لإرادة الخير.

وفي النهاية: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها. وقال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له. قال: ويقال هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وأنه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، كما قالوا في الفلاح. ثم يعقب الزبيدي أن النصح يعني: الخلوص مطلقا، ولا يتقيد بالعسل ولا بغيره (٨).

## الهوامش

(١) صحيح مسلم: ٥٣/١ (باب بيان أن الدين النصيحة).
(٢) الأعراف: ٦ مرات (آية: ٢١، ٦٢، ٦٨، ٧٩، ٧٩، ٩٣)، التوبة: مرة واحدة (آية: ٩١)، يوسف: مرة واحدة (آية: ١١)، هود: مرتان (آية: ٣٤، ٣٤)، القصص: مرتان (آية: ١٢، ٢٠).
(٣) جامع العلوم والحكم: ٧٨.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج): ٣٨/٢-٣٩.
(٦) ينظر: مادة (أدب) في تاج العروس.
(٧) قدمه وعلق عليه: الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار نهضة مصر، دون تاريخ، والتقليد في الجزء الثاني ص ٣٧٠-٣٨٢.
(٨) ينظر: مادة (نصح) في تاج العروس.

قصة العدد

# قمة المروءة

محمد السعيد الشيخ

«والله لو كنت أخي لقتلتك..»!

جملة نارية يطلقها بلال في وجه «الأستاذ أنور» .. يندهش الحاضرون ظانين به ظن السوء، وفي مزيد من استنكار، يسترسل بلال منفعلا:

- كيف تهدر مالك للراعي «محروس» وأنت غريب ؟! هذا الرجل «نصّاب»، ويقطن قرية نائية ويسيح في البادية بغنماته.

أنور هذا مدرس معار من مصر إلى سورية أيام الوحدة عام ١٩٥٨م، في أواخر العام الدراسي يستقرضه محروس- والذي يراه للمرة الأولى- مبلغًا من المال بدعوى اجراء عملية جراحية لزوجته، فتمنعه أريحيته أن يرده خائبًا، ويقرضه أكثر ما ادخره طيلة العام.

في معرض حديث بلال- بغية المقارنة، ولمزا لخيبة أنور يذكر خبرا، مفاده.. أن زميله «صلاح» المدرس المصري كسب من اليانصيب عشرة آلاف ليرة سورية.

بإشفاق ينظر أنور إلى بلال، تندّ منه آهة ارتياح بالرغم مما أحسه من استهانة واستنكار بين، ويستطرد في أنس رفيق: لقد أفضت في اللوم يا أخي بلال، استرسلت بلا أدنى ترو وبثقة مطلقة في احتكار الصواب، والثقة المطلقة غرور.

يفيض حديث الاستاذ أنور على الحضور بكلمات فيها سكينة من مسالمة وسلام، لقد وصفتني يا أخي بلال بأني غريب، والغريب.. من لا أدب له.



ثم ما يدريك أن في إقراضي لهذا الراعي غاما لا غنما؟! لقد أقرضته بنية تفريج كربة عبد من عباد الله، محتسبًا هذا العمل لوجه الله، ومن لم ينقذ نفسًا استغاثت به فقد قتلها.

لقد استعاد كلامك هذا شريط الذكريات، حيث مرضت أمي دون أن تذهب إلى طبيب لضيق ذات اليد، وتوفاها الله، وكان قد سبقها والدي إلى مثواه، فخشع قلبي للذكرى.

أما عن كسب زميلي صلاح لليانصيب، هذا يا أخي بلال مقامرة محرمة شرعًا ولا يبارك الله فيه، حيث يحمل في باطنه مفاسد شتى، كالبطالة والكسل، فما ينال بلا جهد مبذول يكون مآله الخسار والندم الموصول.

ويأبى الله أن تغدو الرغبة في الأخذ دون مقابل من جهد، شرعة ومنهاجًا.

وبتوارد الخواطر تطوف حكاية فلاح من إحدى قرى مصر، الذي كسب ابنه سيارة في إحدى المسابقات، فانتابه دهش مباغت وعرته غاشية انبهار، حتى باع بقرته وحماره، على أمل أن يؤجر أرضه ويتعلم القيادة ويسترزق من العمل على السيارة بديلا عن مشقة ونصب الفلاحة، ويذهب لاستلام سيارته مصطحبًا معه أحد السائقين، وبعد ضياع جهد ووقت ونفقات بحثًا عن العنوان، إذا به يفاجأ- ويا للأسى- صحيح أنها سيارة وبها محرك وتسير، ولكنها (لعبة أطفال)، أذهلته المفاجأة، وأصابته لوثة من خبال أطاحت باتزانه، وأضحى أضحوكة بين أهل القرية.

بعد أن أنهى أنور حديثه، ينفعل مختار القرية (العمدة) مقسماً أنه على استعداد للتنازل عن كل ثروته على أن يملك مثل هذه الملكة البلاغية وتلك الاشراقات الروحانية، وحقًا ما قال..! فقد كنت كلمات أنور نواقيس هادرة تدق مفرداتها الآسية في قلوب الحضور، وتعبيرًا صادقًا عن عبقرية الحياة التي لا تتوقف عند الحرص المادي، ولكنها تؤثر الجوهر على المظهر.

لقد كان أنور كالغيث، أينما وقع نفع، كانت سلوكاته تنم عن تدين موغل في العمق، تكشف عن نفس سمحة خيرة، ظاهرها كباطنها، يميل إلى الأعمال الصالحة كما يميل الطفل إلى ثدي أمه، قارئًا عاشقًا ومحدثا بليغا، كان يأنس جليسه بحديثه، كلماته قناديل زاهرة، يوقن أن الإحساس بلذة العطاء منة من الله، حتى إن الأطباء قد أعدوها من عوامل

شاعر وكاتب



تقوية الجهاز المناعي في جسم الإنسان.

وما أشاع خبر هذا القرض الذي كان حريصًا على كتمانه حتى لا يتعرض لشبهة الرياء أن «الراعي محروس» أخذ يشيد بمروءته، ويحكي أنور لجلسائه تعليقًا على سلوكه السامي الذي يشي بأفكار في قمة التوهج الإيماني، أنه قرأ قصة عن فارسين يتبارزان، لدى أحدهما سيف ولدى الآخر سيفان، ينكسر سيف الفارس الأول أثناء المبارزة، فيطلب بتلقائية من غريمه وهو في ذروة حميته أن يهبه سيفه الثاني، فيناوله إياه بلا أدنى تردد.

يستفسر زميله في دهشة...

– أتعطني سيفك الذي قد أقتلك به؟!

فيجيبه في شموخ الفرسان وإباء الفروسية:

– لو كنت فارسًا حقًا ما أدهشك هذا السلوك.. إن القتل أهون على ذوي المروءة من ردّ كلمة هات!

قذف الله حب الأستاذ أنور في قلوب أهل القرية– وخاصة العم محروس وأسرته– وردًا للجميل راحوا يتنافسون في إكرامه، زيارات وخدمات وهدايا مما لذ وطاب.

يقبل أنور هذا التكريم بإصرارهم الذي لا يقاوم، جبرًا لخواطرهم، وبنية ألا يسترد القرض، ويضحي دافعه لقبول تلك الهدايا استجابة للحديث الشريف: «تهادوا تحابوا»، لأنه لو كان ينوي استرداده، ما قبل تلك العطايا على سبيل أن «كل قرض جر نفعًا فهو حرام».

يتنامى هذا الود الحميم، ويسافر أنور إلى مصر لقضاء أجازته السنوية، ويعود أول العام الدراسي من مصر، فيستقبله أهل القرية بحفاوة بالغة، تعرض سيرة زميله صلاح الذي كسب اليانصيب، ويصدق حدس أنور، فقد ذهب هذا الرابح الى السينما نفس المساء الذي قبض فيه المبلغ، وإذا بنظره يقع على فتاة يجذبه جمالها، فيسير خلفها متتبعًا دربها منتويا الدخول إلى أهلها طالبًا يدها، وبعد أخذ وردٍّ يوافقون بشرط، مفاده.. أنه إذا لم تعجبها الإقامة في مصر، وتعذر تكيفها مع الحياة هناك يعودان للإقامة في سورية، ويوافق على الشرط، وبلا أدنى تردد، فقد كان في حالة خدر عقلي بما اكتسب من مال، واشتعال عاطفي بما شاهد من جمال، سلباه أدنى قدرة على التروي.

يعقد القران ويصطحبها معه لقضاء الاجازة السنوية في مصر، فتستاء من أسلوب حياته، ويتعذر تكيفها مع سلوكاته، يعودان في العام التالي بنية استيطان الإقليم الشمالي (سورية) تنفيذا للميثاق الذي واثقهم به، ويحدث الانفصال بين مصر وسورية، فيضطر للعودة وحيدًا في ابتئاس، حيث حملت زوجته، وقد نسي أو تناسى أنه كان سيعود إلى مصر بعد انقضاء الإعارة.

لقد شتت حياته في تشرذم وجداني اجتماعي، خسر معه المال والاستقرار، وطفله الذي سيولد كاليتيم.

تستأنف أسرة الراعي صلتها الحميمة بالاستاذ أنور، من بدء العام الدراسي التالي كأقوى ما تكون الصلة، وإذا برسالة تلغرافية من القاهرة قبيل إجازة نصف العام تطلب منه العودة إلى مصر فورًا لأداء الخدمة العسكرية، ويستعد للسفر، ويصل النبأ إلى الراعي محروس، فيهرول إليه قبيل سفره، بعد أن حمل خزين قمح أسرته السنوي في إحدى الشاحنات إلى سوق الحبوب بعاصمة الإقليم حرصًا على تسديد القرض.

يفاجأ الأستاذ أنور بحضوره وتصميمه على رد القرض مشفوعاً بأسمى آيات العرفان!

## أخبار ثقافية

- يفتح معرض أبوظبي الدولي للكتاب أبوابه اعتبارًا من ٢٦ مارس هذا العام ويشهد المعرض مبادرة جديدة بعنوان «تواقيع» يتيح للقراء فرصة التقاء المؤلفين المفضلين لديهم بهدف الجمع بين أطراف النشر الثلاثة (الناشر والكتاب والقارئ).
- بعد انتظار وترقب لـ ٨ سنوات صدر أخيرًا كتاب د.مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا الأسبق الذي حمل عنوان «طبيبٌ في البيت» وضم بين دفتيه ٦٢ فصلاً، غطت تفاصيل سيرته الذاتية وأحداث عقود من السياسة والفعل والإنجاز، هي بعمر ماليزيا الحديثة.
- فاز العالمان المصريان د.علي حلمي أحمد موسى ود.نبيل علي محمد بجائزة الملك فيصل في مجال اللغة العربية والأدب لعام ٢٠١٢م عن بحوثهما في مجال المعالجة الحاسوبية للغة العربية وتحويل النظريات إلى برامج عملية تفيد مستخدمي الكمبيوتر واللغة العربية، كما فاز من السعودية الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي بجائزة خدمة الإسلام، كما فاز من السعودية أيضا د.عدنان بن محمد الرزاق بجائزة خدمة الإسلام عن كتابه «موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام».
- تدافع د.ماجدة حمود في كتاب صدر حديثًا عن الدار العربية للعلوم بعنوان «صورة الآخر في التراث العربي» عن عروبة كتاب «ألف ليلة وليلة» الذي يرى آخرون أنه مجرد ترجمة لكتاب «هزار اللسان» الفارسي الأصل الذي فقد فيما بعد وبقيت ترجمته العربية.



# «الأسواق الشعرية».. طقوس ومعارك ساخنة!

صلاح حسن رشيد

**تبوّأت الأسواق الشعرية مكانة عظيمة في نفوس العرب في العصر الجاهلي، فقد نظروا للشاعر نظرتهم للمَلك والأمير، وكانت القبيلة تُفاخر كل القبائل بميلاد شاعرها، وتزهو به على الملأ.. بل إنه احتلّ منزلة أرفع من منزلة المُقاتل، وذلك للدفاع عنها ضد أعدائها بشعره. وكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر احتفلت به احتفالاً عظيمًا، فأخذ الرجال والنساء يُهنئ بعضهم بعضًا، فأقاموا الحفلات الغنائية، وقدّموا فيها الطعام والشراب؛ لأن في نبوغ هذا الشاعر حماية لأعراضهم، وذبًا عن أحسابهم، وتخليدًا لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، كما يقول ابن رشيق في كتابه العمدة.**

وكانت تُعقد المجالس لسماع الشعر وإنشاده، وتُقام الأسواق من أجل المفاخرة والمباراة بين القبائل عن طريق سلاح الشعر.. بل إن القبائل التي لا ينبغ فيها الشعراء كانت تشعر بالنقص والضّعة، وخمول الذكر والهوان!

يقول د.حسين نصار في كتابه «في الشعر العربي»: إن الأسواق الشعرية كانت كثيرة، فمنها سوق عكاظ، التي كانت تعقد في وادٍ بين مكة والطائف، في شهر ذي القعدة.. ثم توارت أهمية عكاظ في الإسلام، وبرز سوق المربد في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة، يُضاف إليهما المساجد التي كانت فيها المجالس الشعرية أيضًا، فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع حسّان بن ثابت، واقتدى به المسلمون بعد ذلك، كما تذكر أخبار جرير والفرزدق.

وكان للاحتفالات الشعرية، التي أقيمت في الأسواق العربية، آثارها الخطيرة في الشعر العربي، بل في اللغة العربية كلها؛ فقد كان سوق عكاظ البقعة التي تتلاقى فيها القبائل العربية من شتى الأرجاء، ومع اختلاف اللهجات،

**النابغة والخنساء والأعشى.. رفعوا رايات الفخر في عكاظ**

وكانت القبائل تحاول أن توجد لها لغة أدبية رسمية، فاختارت لغة الحجاز (قريش)، فكانت عكاظ الموطن الذي وحّد اللهجات العربية، ومهّد لتوحيد العرب أنفسهم في أمة واحدة.

## طقوس الاحتفالات الشعرية

ويبدو أن هذه الاحتفالات الشعرية كانت لها رسومها وطقوسها وآدابها، فقد روي أن عمرو بن كلثوم عندما نظم معلقته الشهيرة، وأراد إشاعتها ونشرها بين العرب، ذهب إلى سوق عكاظ، وأنشدها هناك، فنالت إعجاب السامعين واعترافهم بجودتها، فطار صيتها بين الناس!

ورووا كذلك أن الأعشى عندما مدح المُحلِّق الكلابي، وأثنى على بناته؛ ليجد لهنّ الأزواج الأكفاء، فعل ذلك في عكاظ، وكان يُنشد الناس تحت سَرحة (شجرة عظيمة ذات ظل)، وقد حقّقت قصيدته غرضها سريعًا، فتهافت الأشراف على بنات الرجل طلبًا للزواج!

كما ذكر أصحاب الأخبار أن بعض الشعراء الذين اعترف لهم أهل عكاظ بميزة أو فضل كانوا يهتمون بهذا الاعتراف، ويُبرزونه إبرازًا واضحًا، فيُعلِّمون أنفسهم بعلامات خاصة، لا يحل لغيرهم استخدامها، فكان النابغة الذبياني- الذي اتخذ منه أهل عكاظ حَكَمًا يفصل بين الشعراء ويبين منزلتهم- يضرب لنفسه قُبّةً حمراء من الجِلد!

## بين الخنساء وهند!

ولمّا أُصيبت الخنساء بأبيها عمرو بن الشريد، وأخوَيها: صخر ومعاوية، ورثتهم بالقصائد التي شاعت في الأرجاء العربية، واعترف لها الناس بعِظَم مصيبتها، كانت تشهد عكاظ، وقد أعلمت هودجها براية. قال أبو الفرج في الأغاني عنها: «لما كانت وقعة بدر، قُتِل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم، وبلغها تسويم (اتخاذ علامة) الخنساء هودجها في الموسم، ومعاظمتها العرب بمصيبتها، وأن العرب قد عرفت لها ذلك. فلمّا أُصيبت هند بما أُصيبت به، قالت: إني أعظم من الخنساء مصيبةً، وأمرت بهودجها فسُوِّم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، فقالت: اقرنوا جَمَلي بجمل الخنساء، ففعلوا، فلما أن دنت منها، قالت لها الخنساء:

ناقد أدبي



## للأسواق آثارها الخالدة في تاريخ اللغة العربية

من أنت يا أُخَيَّة؟ قالت: أنا هند بنت عتبة، أعظم العرب مصيبةً، وقد بلغني أنك تُعاظمين العرب بمصيبتك، فبمَ تعاظمينهم؟ قالت الخنساء: بعمرو بن الشريد، وصخر، ومعاوية ابنَي عمرو. وبم تعاظمينهم أنتِ؟ قالت هند: بأبي عتبة بن ربيعة، وعمي شيبة بن ربيعة، وأخي الوليد. قالت الخنساء: أو سواءٌ عندك؟ ثم أنشدت تقول:

أُبَكِّي أبي عمرًا بعينٍ غزيرةٍ قليلٍ إذا نام الخليُّ هُجودُها

وصِنوَيس لا أنسى معاويةَ الذي له من سراة الحَرَّتَين وُفودُها

وصخرًا، ومن ذا مثل صخرٍ إذا غدا بساهمة الآطال قُبا يقودها

فذلك يا هندُ الرزيةُ فاعلمي ونيرانُ حربٍ حين شبَّ وَقودها

فقالت هند تجيبها:

أُبَكِّي عميد الأبطَحَين كليهما وحاميها من كل باغٍ يريدها

أبي عتبةُ الخيراتِ ويحكِ فاعلمي وشيبة والحامي الذمارَ وليدها

أولئك آل المجد من آل غالبٍ وفي العزِّ منها حين ينمى عديدها

تزيُّن الشعراء!

ويؤكد د.نصار: أن أول ما كان يلجأ إليه الشاعر ليعد نفسه للشِّعر، هو التَّزَيُّن.. وكان التزين أمرًا جوهريًّا وضروريًّا، يفعله كل شاعر، ولا سيما الفحول؛ فيقال إن الفرزدق حين أراد أن ينشد في المدينة قصيدته:

عزفتَ بأعشاشٍ وما كنتَ تعزفُ

وأنكرتَ من حوراءَ ما كنتَ تعرفُ

طلع الفرزدق على القوم في حُلَّة يمانية موشّاة، وقد أرخى غديرته، كما كان خصمه الذي تحداه يلبس ثوبين مصبوغين بصُفرة!

وحينما أراد جرير أن ينشد قصيدته التي هجا فيها الراعي النميري وقومه، وقال فيها:



فغُضَّ الطرف إنك من نُمير

فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

يُقال: إنه ادَّهن بدهن، وجمع شَعره- وكان حَسَن الشَّعر- وضمّ أطرافه!

وكان من تمام الاحتفال، أن يُزَيِّن الشاعر جَمَله الذي يركبه، فيضع عليه أجمل الأردية. وقد وصف واصف ما لجأ إليه جميل بثينة من تجمُّلٍ، حين هاجى جوّاس بن قطبة، فقال: «قدمتُ من عند عبدالملك بن مروان، وقد أجازني، وكساني بُردًا، وكان ذلك البُرد أفضل جائزتي، فنزلت وادي القرى، فلقيني جميل، وكان صديقًا لي، فسلَّم بعضنا على بعض..فلما أمسيتُ إذا هو قد أتاني في رحلي، فقال: البُرد الذي رأيته عليك تُعيرنيه حتى أتجمَّل به، فإن بيني وبين جوّاس مراجزة، قلتُ: لا، بل هو لك كسوة، فكسوته إياه، فلما أصبحنا جعل الأعاريب يأتون أرسالاً، حتى اجتمع منهم بشرٌ كثير. وحضرتُ وأصحابي، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان، ما رأيت مثلهما قط، وإذا بُردي الذي كسوته إياه قد جعله جُلا لجمله، فتراجزا..». وكانت النتيجة أن كسب جميل المُراجَزة، وارتفعت مكانته بين الناس!

وأغرب من ذلك وأعجب، ما كان يفعله حسان بن ثابت وهو يستعد لإنشاد إحدى قصائده الحماسية، فقد كان حسان يُخَضِّب شاربه والشعرات التي بين الشفة السفلى والذقن بالحِنّاء، ولا يُخضب سائر اللحية، ليكون كالأسد الوالغ في الدماء، كما فسّر هو نفسه هيئته، وينشد حماسيته، ويتغنّى بشجاعته وغنائه في الحروب!



## قراءة موضوعية في ديوان الشاعر محمود محمد كلزي

# إسراء لوادٍ غير ذي زرعٍ

أحمد حسن الخميسي

**يحَلق الشعراء المؤمنون- الذين ينتصرون لدينهم- في إبداع قصائد ذات موضوعات إسلامية، فيصدرون دواوين شعرية عن الجهاد والحماسة، أو الأخلاق الحميدة، أو محاسن الإسلام المجيدة، أو عن السيرة النبوية، أو عن أركان الإسلام.**

من الشعراء الذين كتبوا شعرًا إسلاميًا الشاعر «محمود محمد كلزي» الذي صدر له عام ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ديوان شعر بعنوان: «إسراء لوادٍ غير ذي زرع» عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، نشر وتوزيع (العبيكان) في الرياض، وقد ضم بين دفتيه ثلاثًا وأربعين قصيدة، نصفها تقريبًا عن الإسلام والمسلم، وعن الجهاد والشهادة، وعن النبي ﷺ الرحمة المهداة، وعن نور القرآن.. وتسع قصائد عن الحج وعواطف الشاعر فيه، وثماني قصائد عن شهر رمضان المبارك وفضائل الصوم فيه، وختم ديوانه بسبع قصائد عن بناته وابنه الوحيد محمد.

ومن شعر محمود كلزي الذي قاله في موسم الحج، وقد اختار عنوان القصيدة الرابعة «إسراء.. لوادٍ غير ذي زرع» ليكون عنوانًا لديوانه الذي نتحدث عنه.

إن «الوادي غير ذي زرع» هو المكان الذي أودع سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل وأمه هاجر عند بيت الله الحرام، ودعا لهم بأن يرزقهم الله من الثمرات، ويجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وتسكن عندهم.

كما في قول الله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم: ٣٧).

بهذه المعاني والدلالات استهل الشاعر محمود محمد كلزي قصيدة (إسراء.. لواد غير ذي زرع):

**بـواد غـيـر ذي زرع فـؤادي**
**هوى حبًا.. وقد لبى المنادي**
**كأن من «الخليل» أتى صداه**
**يـنـادي: يـا رؤوفًـا بالعباد**
**لـعـل الـلـه يـرزقـهـم غـلالا**
**من الثمرات تعمر كلَّ وادِ(١)**

### مناسك الحج في قصائد الشاعر

وبما أن فؤاده هوى حبًا بواد غير زرع، فقد لبى النداء، فجاء يؤدي فريضة الحج عام ١٩٩٠م.

وأثناء حجه وصف لنا رحلته إلى بيت الله الحرام في أم القرى، وعبّر عن مشاعره وشوقه ووجده نحوها.

لقد أقبل إلى مكة وقد هجر الأهل والوطن مقبلًا على الله بقلب أبيض وثياب بيضاء:

**شوقًا إليها هجرت الأهل والوطن**
**وعفتُ خلفي الندامى ترشف الحزَنا**
**شوقًا إليها سكبت الدمع فاندلعت**
**حرائق الوجد تكوي الروح والبدنا**
**وجئت فوق براق بالحنين سرى**
**أسرى به الله يطوي البيد والمدنا**
**في حضن أم القرى ألقيت راحلتي**
**وقد نضوت ثيابًا مجَّت الدرنا**

وعندما حط رحاله في مكة ورأى الكعبة تملأ القلب والعين، طاف بها وراح يلثم الحجر الأسود بوجد وتلهف:

**هنا تركت فؤادي حول كعبتها**
**مسربلًا ببياض خلته الكفنا**
**ورحت ألثم من وجد لها حجرًا**
**سواده في عيون الطائفين سنا**
**ورحت أقطف من بستانها ثمرًا**
**طابت قطافًا لمعمود وطاب جنى**

وبعد أن طاف بالبيت العتيق وقبّل الحجر بشفتيه، اتجه إلى ماء زمزم الطاهرة، وعبَّ منه وروى ظمأه، يقول في قصيدة «في ظل الكعبة»:

**فمضيت أستبق الفؤاد إلى ثرى**
**عطر.. يتيه به المحل الأرفع**
**وأتيت أنهل جرعة من زمزم**
**وتركت روحي من جناها ترضع**
**وقبست من فيض الأماني جذوة**
**ثمل الفؤاد بها فتاهت أضلع**



ومضى بعد ذلك يسعى بين الصفا والمروة، كما سعت أم إسماعيل، وهي تبحث عن ماء يبل الصدى، وعن فرج قريب ينهي وحدتها في هذا الوادي القفر، وسعى الشاعر كذلك اقتداء برسول الله ﷺ الذي سعى أكرم سعي في تاريخ البشرية.

سعى الشاعر الحاج وقد هجر الفتن والمحن والشهوات، وأقبل على الله بقلبه تغمره نفحات إيمانية ورحمات ربانية:

**خلفت ما عشق الورى من فتنة.. من شهوة**
**وسبحت في دنيا من النغمات.. فوق اللذة**
**وتركت قلبي ساعيًا بين الصفا والمروة**

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة انطلق مع قوافل الحجيج ليقف في عرفات، وعندما وقفوا على صعيد واحد يدعون ويلبون، حلَّق الشاعر بخياله وتصور أن هذه الزحوف تتجمع هنا لتؤدي مناسك الحج، ولتشكل معسكر الإيمان الذي سينطلق جيشه لينصر الحق وأهله، ويدحر الباطل وأعوانه من أصحاب الشهوات والنزوات والافتراءات:

**من هنا.. من معسكر الإيمان**
**سنقود الجيوش للمعمعات**
**من هنا.. من كتائب الحق والـ**
**ـقوة من كل مؤمن متفانٍ**
**من هنا .. من بوارق العزة القعْـ**
**ـساء من كل باتر هندواني**
**من هنا.. من خيامنا من نفوس**
**عافت السحر والهوى والمغاني**
**تركت لذة الحياة لقوم**
**ذوّبوا العمر في ظلال الدنان**
**وتلاقت من كل فج عميق**
**وعلى كل ضامر في جنانِ**

لقد توحد المسلمون في صعيد عرفات بلباسهم، وعبادتهم وقلوبهم وهتافهم الذي ملأ الآفاق مما يعلن عبودية الحجاج لله

## رحلته إلى الحج ألهبت مشاعره وأثارت عواطفه.. فكان هذا الديوان

تعالى، وحمدهم له على نعمه:

**وتنادت «لبيك» في عرفات**
**ولك الحمد فوق كل لسان**

وكانت الرحمات تنزل كالغمام على هؤلاء الملبين التائبين المخبتين الداعين:

**وما «لبيك» في الأفواه تندى**
**سوى ودق الغمام لكل صاد**
**همى شلال ضوء من سناها**
**وأيقظ جمرة بين الرماد**

### عواطف الشاعر وأحاسيسه

لقد أحس الشاعر- وهو يقف في عرفات- أن روحه تحلق في عالم سماوي طاهر، في جنة غناء قد توفرت فيها عناصر الجمال والسعادة والسمو، وكأنه في جنة عدن،يقول في قصيدة «الوقوف في عرفات»:

**وتعطَّرْتُ.. لم أحس بنفسي**
**أيّ روح مرفرف نشوان**
**أي دنيا أعيش بين مجالي**
**لها وفي أي عالم فينان؟!**
**أي سحر.. يحف بي أي إلها**
**م .. ووحي يجوس عبر كياني؟**
**أنا في جنة الخلود أغني**
**أم على أيكة القطوف الدواني؟**
**أم من الكوثر المعنبر قد عبّ**
**تْ شفاهي.. أم سلسبيل الجنان؟**
**أنا في أي عالم باسم مز**
**دحم بالكواعب الولدان؟!**

بالإضافة إلى هذه المشاعر السامية التي أحسَّ بها الشاعر، أفصح عن حبه لربه وعبادته وشغفه بهذه الأماكن التي يعبد الله فيها، فهو يعلن عن شوقه وصبابته لتلك الديار فيقول:

**ما بال قلبي بالشجون ملفع**
**شوقا.. وجسمي بالصبابة موجع**

كما أنه شبه محبته بالخيول الجامحة التي انطلقت تعدو وهي تحمل قلبًا مضمخا بعطر المحبة والهوى:

**بين الصفا والمروة**
**جمحت خيول محبتي**
**هرولت أستبق الفؤاد مضخمًا باللهفة**

ولئن قصَّر قلمه عن وصف ما به من عواطف تجاه البيت الحرام وما حوله، فإن قلبه وجسمه قد فاضا حبًّا وتيُّمًا بمكة وأجوائها الإيمانية النورانية المشرقة، يقول في ختام قصيدة الوقوف في عرفات:

**أنا إن قصَّر اليراع بيانًا**
**ففؤادي مسربل بالبيان**
**أي ذكرى عزيزة خطها الـ**
**ـقلب بحبر مضمخ أرجواني**
**هي ذكرى أحسها في دمي تسـ**
**ـري وفي أضلعي وفي أجفاني**

لقد أجاد الشاعر محمود محمد كلزي في وصف الكعبة، والسعي والوقوف في عرفات، وعبَّر عن خلجات فؤاده في ديوانه «إسراء .. لواد غير ذي زرع» وقدم لنا أنموذجًا للشعر الإسلامي الرائع الذي يمتح من لغة القرآن ومعانيه، وبيان الأحاديث النبوية وكنوزها.

وسبح الشاعر مع خياله المجنح الذي نقلنا إلى عالم الحج الفسيح، وكأننا نشاركه في عبادته ومشاعره، فجزاه الله خيرًا.

### الهوامش

١- إسراء.. لواد غير ذي زرع، محمود محمد كلزي- رابطة الأدب الإسلامي- العبيكان - الرياض- ص ٣٦، صدر عام ١٤٣١- ٢٠١٠م.

# حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات

التحرير

**الفن: فقه حنبلي.**

**تحقيق: سامي بن محمد بن عبدالله الصقير**

**محمد بن عبدالله بن صالح اللحيدان**

**الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- دولة قطر.**

**سنة النشر: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م رقم الطبعة: الأولى**

إن العلم الشرعي من أفضل ما شُغلت به الأوقات، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن حفظ هذا الدين برجاله المخلصين، وهم العلماء العاملون، الذين كانوا أعلامًا يُهتدَى بهم، وأئمة يُقتدَى بهم، ومن هؤلاء الأئمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فإنه ملأ الأرض علمًا وحديثًا، وانتفعت به الأمة، وصار إمامًا وقدوة لأهل السنة.

ثم جاء من بعده أتباعه، فجمعوا مسائله ورواياته، وقعَّدوا لها القواعد، وفَرَّعوا عليها المسائل، وأكثروا من التصنيف والتأليف، ولاسيما المتأخرون منهم، فإنهم سلكوا مسلك التصحيح والترجيح بين الروايات والأقوال، فحرروا المذهب ونقَّحوه، وبيَّنوا ما أُجمِل ووضحوه.

ومن هؤلاء علاء الدين علي بن سليمان المرداوي في كتابه: «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف»، فهو تصحيح لما نقل عن الإمام أحمد في المسألة من روايات، وما نقل عن الأصحاب فيها من أقوال، ثم اختصره في كتابه: «التنقيح المشبع» حيث صحّح فيه ما أطلقه الموفق في: «المقنع» من الروايات والأوجه، وقيَّد ما أخَلّ فيه من الشروط، أو ما فيه إطلاق، واستثنى من عمومه ما هو مستثنى على المذهب حتى خصائص النبي ﷺ، فصار تصحيحًا لغالب كتب المذهب، فبين في: «إنصافه» و«تنقيحه» رحمه الله الصحيح من الضعيف.

ثم نحا نحوه مقلدًا له: موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي في كتابه: «الإقناع لطالب الانتفاع»، فقد جرد فيه الصحيح من مذهب الإمام أحمد.

ونحا نحوه أيضًا: العلاَّمة محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي الشهير بابن النجار في كتابه: «منتهى الإرادات في الجمع بين المقنع والتنقيح، وزيادات»، ويعتبر هذان الكتابان (الإقناع والمنتهى) العمدة عند المتأخرين، ومدار الفتوى عليهما، إذ فيهما البغية المنشودة والضالة المفقودة؛ فإن اختلفا فالمرجع والمعتمد على ما في: «المنتهى»، لأنه أكثر تحريرًا وتصحيحًا من «الإقناع» وإن كان الإقناع أكثر وضوحًا ومسائل، ولما كان لكتاب: «المنتهى» هذه المنزلة عند المتأخرين من الأصحاب أوْلوه عناية فائقة من جميع جوانبه؛ فتارة: بالحفظ والتدريس واعتماده في القضاء والفُتيا، وتارة: بالشرح والاستدلال، وتارة: بالتحشية والتحرير والتدقيق، وتارة: بالاختصار، وتارة: بالجمع بينه وبين «الإقناع».

وممن خدم هذا الكتاب واهتم به . بالتحشية والتحرير . الشيخ محمد الخَلوتي -رحمه الله- في: «حاشيته على المنتهى»، فحَلَّل وحرر كثيرًا من ألفاظ «المنتهى» ومسائله، واعتنى بالفروق الفقهية، وتصوير المسائل، وتلخيص الشروط.

أسباب أهمية حاشية الخلوتي

١- شهرة المنتهى ومنزلته الرفيعة بين أهل المذهب، وتقديمه على غيره عند المتأخرين في الفتوى والقضاء، ولاشك أن هذه الحاشية ستستمد هذه القوة من ذلك إضافة إلى ما أطبق عليه الحنابلة من مكانتها المميزة بين شروح المنتهى وحواشيه.

٢ -مكانة مصنف الحاشية بين علماء المذهب وشهرته وتميزه بالتحرير والتحقيق والتدقيق.

٣ - ما لهذه الحاشية من ميزات كالعناية بنقل الأقوال ونسبتها، وكثرة مصادرها، واشتمالها على فوائد وزيادات كثيرة في فنون متنوعة، وظهور شخصية مؤلفها، ووضوح رأيه.

٤ - توفر النسخ الخطية الكافية لهذه الحاشية؛ مما يعني خروجها نصًّا على أحسن صورة.

٥ - استشهاد المصنف في الحاشية بأحاديث وآثار كثيرة مما يقوي الكتاب ويثري مادته.

التعريف بحاشية منتهى الإرادات

اسم «الحاشية»: لم يرد ما يدل على أن الخَلوتي- رحمه الله- ذكر لـ«حاشيته» اسمًا معيَّنًا، إذ إن هذه «الحاشية» عبارة عن تحريرات وتقريرات، كتبها على نسخته على «المنتهى»، وبأوراق بداخل هذه النسخة، ولم يؤلفها ككتاب مستقل، وإنما جردها بعض تلاميذه بعد وفاته- رحمه الله.

وقد جاء كلام مجَرِّدها في أولها نصًّا حيث قال: «أما بعد: فهذه حواشٍ لشيخنا، الشيخ الإمام، العالم العلاَّمةَ، والحبر الفهامة، ذي الدين المتين، والورع واليقين، محمد بن أحمد بن علي البهوتي الحنبلي الشهير بالخَلوتي- أسكنه الله بحبوحة جنته، وتغمده برضوانه ورحمته-، على كتاب «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح، وزيادات»، للإمام العلاَّمة شيخ الإسلام محمد تقي الدين، ابن قاضي القضاة أحمد شهاب الدين ابن النجار المصري الفتوحي الحنبلي- تغمدهما الله تعالى برحمته، وأدام النفع بعلومهما-، أحببت تجريدها عنه في كتاب مستقل ليكثر النفع بها، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا لكل فعل جميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

وقد اتفقت عبارات من ترجم للخَلوتي- رحمه الله- على ذكر اسم لهذه «الحاشية» سوى كونها «حاشية على المنتهى».

القيمة العلمية لحاشية الخلوتي

تعتبر «حاشية الخَلوتي على المنتهى» مكمِّلة لما سبقها من الشروح؛ فإن الشرح؛ وإن فاق «الحاشية» بتناوله جميع ألفاظ المتن بالشرح والتحليل، لكن «الحاشية» تفوق الشرح بأن المحشي يتناول من ألفاظ المتن ما يرى أن بحثه مهم، ولهذا تجد في «حاشية الخَلوتي على المنتهى» من العمق، والتحرير، والتدقيق، ما لا يكاد يوجد في الشروح.

وتظهر قيمة «حاشية الخَلوتي على المنتهى» بنقله كثيرًا من عبارات شروح «المنتهى»، والاستدراك عليها، أو تقييد وتبيين ما أُطلق وأُجمل من تلك العبارات، وتحريرها، وتصويرها بأسهل عبارة، وأيضًا فإن في هذه «الحاشية» من النقولات ما لا يوجد في الشروح، ولا سيما ما ينقله عن الشيخ منصور البَهوتي أثناء قراءته عليه في الدرس.

وقد أثنى علماء الحنابلة على هذه الحاشية، واعتمدوها مرجعًا في المذهب لما لها من قيمة علمية.

منهج المؤلف في «حاشيته»

لم يذكر الخَلوتي- رحمه الله – في «حاشيته» المنهج الذي سار عليه، وذلك أنه- رحمه الله- لم يؤلفها ككتاب مستقل، وإنما جردها بعض تلاميذه من نسخته بعد وفاته، ولكن من خلال قراءة «الحاشية» يتضح منهجه فيها، وهو كما يلي:

١-المقارنة بين كتابَي: «الإقناع» و«المنتهى».

٢-حَل وشرح جملة من ألفاظ المتن.

٣- يصدر المسألة بذكر الكلمة أو العبارة التي يريد شرحها او التعليق عليها من «المنتهى» قائلا: «قوله:...» ثم يعلق عليها.

٤- كثيرًا ما يربط بين الأبواب والمسائل، فيذكر المناسبة بين الكتاب وما قبله، والباب وما قبله، والعلاقة بين المسألة ومسألة سابقة أو لاحقة.

٥-تحليل المسائل وتصويرها، وذكر الفروق الفقهية، وأقوال الأصحاب أحيانًا، مع ذكر ما يظهر له في المسألة، وما يختاره من تلك الأقوال.

٦- العناية بشرح الكلمات الغريبة التي يخفى معناها من مصادرها المعتمدة.

٧- إذا لم يجد مسألة،



أو لم يترجح له فيها شيء، أو لم يجد فيها نقلا وما أشبه ذلك، فإنه يختمها بقوله: «فليحرَّر» ، أو «فلينظَر»، او «فتدبر» ونحو ذلك.

٨- كثيرًا ما ترد عبارة: «وبخطه»، أو «وكتب على قوله» «وهذا من تلميذه الذي جرَّد الحاشية، قاصدًا بذلك شيخه الخَلوتي»، وذلك حينما يجد ورقة او تعليقًا بخطه على هذه العبارة او المسألة.

٩- الغالب أنه إذا أطلق كلمة: «الشرح» أو «شرح»، فالمراد به شرح المصنف- رحمه الله- وقد يريد به أحيانًا شرح شيخه الشيخ منصور البَهوتي- رحمه الله-، ويعرَف ذلك بالرجوع إلى عبارة الشرحين ومقارنتها مع عبارة «الحاشية».

كما أنه إذا أطلق كلمة «حاشية» فالمراد: «حاشية المنتهى» للشيخ منصور، وقد يريد بها أحيانًا: «حاشية الإقناع» للشيخ منصور، ولكن هذا قليل.

١٠-استعمل في «الحاشية» بعض الرموز كقوله: «المص» والمراد به المصنف، أو «م ص» والمراد به الشيخ منصور، أو «ح ف» والمراد «حواشي الفارضي على المنتهى»، ونحو ذلك مما بينت المراد به في محله.

محاسن «الحاشية» وميزاتها

أثنى علماء الحنابلة على «حاشية الخَلوتي»، وتسابقوا إلى اقتنائها، والاستفادة منها، واعتمادها مرجعًا في المذهب، لما لها من المحاسن، والمزايا، والتي منها:

١-المقارنة بين كتابي: «الإقناع» و «المنتهى»، وذلك من خلال:

أ- بيان مواضع الاتفاق والاختلاف في المسائل بين الكتابين.

ب- إيضاح الفروق بين عبارة الكتابين.

## علماء الحنابلة أثنوا عليها واعتمدوها مرجعًا في مذهبهم

ج- تقييد ما أطلق، وتبيين ما أجمل من عبارة «المنتهى» بما ورد مقيدًا في عبارة «الإقناع»، وهذه ميزة بيِّنة وفائدة علمية، لأن «الإقناع» و«المنتهى» هما العمدة عند المتأخرين ، وعليهما مدار الفتوى.

٢- أن الخلوتي نقل في حاشيته كثيرًا من تقريرات وتحريرات الشيخ منصور البهوتي مما ليس موجودًا في كتبه، كما نقل ايضًا في «حاشيته» تحريرات وتعليقات ممن سبقوه في الكتابة على «المنتهى»، وتتبعها إما بإقرارها والسكوت عنها، أو الاعتراض عليها ونقدها وإيضاح الصواب من غيره.

٣- قسم كثيرًا من المسائل، وصورها، وفصَّل فيها، وأجمل كثيرًا من الشروط ولخصها، وهذا يفيد حصر العلوم، وتقريبها إلى الذهن، وسهولة حفظها لطالب العلم.

٤- نقل كثيرًا من المسائل، والتحريرات، والغرائب، والفوائد من علماء الحنابلة وغيرهم، وأودعها «حاشيته»، فجاءت نفيسة، فيها من العلوم، والفوائد، ما لا يكاد يوجد في كتاب.

٥- حل كثيرًا من غوامض متن «المنتهى»، وشرح عباراته، وحلل ألفاظه، وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة في هذا الباب.

٦- كثرة مصادر «الحاشية»، وتنوعها، وتميزها، مما كان له أثر ظاهر في تميزها.

٧- عناية المؤلف- رحمه الله - بذكر الفروق بين المسائل.

٨- الربط بين المسائل المتشابهة، وبيان أوجه بناء بعضها على بعض، ومواضع الاتفاق والاختلاف بينها.

٩- قوة المؤلف- رحمه الله- العلمية، وسعة علومه، وتنوعها، مما جعل هذه «الحاشية» مميزة عن غيرها.

المآخذ على الحاشية

كل عمل بشري لابد أن يكون فيه نقص، وعليه مآخذ، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، ومن المآخذ على الحاشية:

١- إيراد الأحاديث والآثار الضعيفة من غير حكم عليها أو تعقيب.

٢- إيراد بعض القصص الضعيفة التي ينكرها الشرع والعقل من غير تعقيب عليها.

٣- تابع صاحب المتن في إيراد بعض البدع، والتساهل في مشروعيتها، وعدم نقدها.

٤- إيراد الاحتمالات الكثيرة على العبارة من غير ترجيح لأحد هذه الاحتمالات، مما يضع القارئ في حيرة.

٥- أغفل من ألفاظ المتن ومسائله بعضا منها، فلم يتعرض لها بالشرح والتعليق، مع حاجتها لذلك، وتناول ما هو أوضح منها.

الهوامش:

١-أكثر ما في هذا التقرير مستفاد من مقدمة المحققين الفاضلين للكتاب، وهو في أول الجزء الأول للحاشية.



# أسـرتـي

## المرأة.. حينما تكون دعاية!

لا أصدق أن تكون المرأة سلعة تباع وتشترى ، ولا أصدق أن تكون مهانة من قريب أو بعيد ، ولا أرضى أن تستغل لتحقيق مصالح الآخرين .

والعالم في الشرق والغرب يتنادى للثأر للمرأة ، وتتعالى صيحات الانتصار لها ، وقد تحقق للمرأة في عصرنا مطالب عديدة ، وحققت إنجازات كبيرة ، واستفاد العالم من تجاربه في مجال المرأة . . وقرأنا وسمعنا ما نادت به نساء أميركا وأوروبا من دعوات جادة للعودة للبيت والعمل فيه وفصل النساء عن الرجال في المصانع والمدارس وغيرها بعد تجارب طويلة ودراسات واسعة للآثار العميقة للمشكلات التي تورطت فيها النساء من أعمالهن ودراستهن بجانب الرجال .

أقول هذا افتخاراً بنساء بلادي ، وحبا لهن وحرصًا على مستقبلهن ، وقد أكد ذلك ولاة الأمر في بلادنا مراراً وفي كل مناسبة . . حيث قالوا :

إن النساء في بلادنا يتمتعن بكامل حقوقهن ، ويعاملن أفضل معاملة ، ومجتمعنا مجتمع مسلم محافظ لا يرضى بما يخالف تعاليم الإسلام .

أما بعد : فماذا يعني أن تكون المرأة دعاية لسلعة من السلع بغض النظر عن السلعة؟ ! ولا يختلف الأمر عندي أن تكون السلعة من مستلزمات تجميل النساء أو إعلانا لسلعة غذائية أو عصيرا أو أكياس نفاية ! !

والسؤال هنا :

لماذا تكون المرأة دعاية؟ أليست المرأة مسلمة أو غير مسلمة أسمى من أن تكون دعاية؟

عبدالعزيز العسكر

# مسابقات فى فهم القرآن الكريم

دعاء حاتم

**من اللافت للنظر أن يرى المرء في جميع أنحاء العالم الاسلامي مسابقات تقام في حفظ القرآن الكريم والتفنن في استظهار ملكات الحفظ والاسترجاع وترصد لذلك الجوائز والعطايا، ولا تجد من بين كل هذه المسابقات مسابقة واحدة في فهم وتدبر هذا الكتاب الكريم، لذلك نحن ننبه الى ضرورة ان تقام بالمثل مسابقات في فهم القرآن العظيم تعميقا لهذه القيمة ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ (محمد: ٢٤).**

ولأن فهم القرآن وتدبره هو المقصود الأهم والمطلب الأعظم لأن الفهم وحسن الفهم هو الموصل لحسن العمل بهذا الكتاب العظيم الذي لو أصبح واقعا عمليا معاشا لأسعد البشرية لأن به مفاتيح الهداية لسعادة الدارين.

نزل القرآن ليكون كتاب هداية ودستور حياة ومنهاج عمل، والسؤال المطروح هنا كيف يعمل الناس بما لا يفهمون؟ كيف يعملون به ان كانوا لا يفهمون مراميه و مقاصده؟

لابد من فهم عميق للقرآن يربط الكلي بالجزئي ومقاصده العامة بقضاياه الكبرى .

لذلك كان الحديث عن اقامة مسابقات في فهم القرآن ضرورة ملحة. وقراءة القرآن وحفظه واستظهاره لا تغني عن فهمه اذ الفهم هو الغاية والمقصد وليس مجرد الحفظ والاستظهار.

وعلم القرآن لا ينتزع الا بترك الفهم و التدبر فعن أبى الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره الى السماء ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء. فقال زياد بن لبيد الانصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: ثكلتك أمك يا زياد ان كنت اعدك من فقهاء المدينة.. هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟ (جزء من حديث رواه الترمذي وابن ماجة والامام أحمد في مسنده).

ولذلك كان النبي ﷺ يحض صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين على تعلم



كاتبة صحافية



القرآن فعن عقبة بن عامر الجهني قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو الى بطحان او العقيق (اسماء مواضع) فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين بغير اثم بالله عزوجل ولا قطع رحم. قالوا: كلنا يا رسول الله. قال: فلأن يغدو أحدكم كل يوم الى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله عزوجل خير له من ناقتين وان ثلاث فثلاث مثل اعدادهن من الابل) (رواه مسلم).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على ما اسلفنا من ضرورة الحض على تعلم القرآن وفهمه وتوجيه الطاقات والقدرات لهذا الأمر العظيم.

بعد كل ما سبق. ماذا نريد؟ نريد من السادة القائمين على مسابقات حفظ القرآن الكريم والمهتمين بها ان ينظموا ايضا مسابقات في فهم القرآن وتدبره وعلمه بما يرونه مناسبا لاختبار ذلك وفي هذا حض للناس على تعلم القرآن وفهمه.

ولا يظن ظان اننا حين نطالب بذلك نقلل من قيمة الحفظ والاستظهار وندعو الناس الى عدم الاهتمام به، وإنما ما نقصده ونريده وندعو اليه هو ان يكون كل شيء في نصابه وفي مكانه ومعرفة أن القراءة وتحسينها بالتجويد وضبطها بأحكام التلاوة والحفظ ما هي الا خطوات على طريق الفهم، والفهم لا يتحصل الا بالتعلم والتدبر وإدامة النظر في هذا الكتاب العظيم ومن ثم يكون العمل والانفعال بالقرآن والتأثر به والسعي به بين الناس ننشر خيره ونسعد ونسعد ونكون بذلك قد حققنا مقصد التنزيل الاسمى ﴿وان تطيعوه تهتدوا﴾ (النور: ٥٤).

● تمت الاستفادة من محاضرة للشيخ عبدالسلام الحصين عن موقع صيد الفوائد.

# اعترافات خجولة

مليكة محمد الحامدي

عذرًا منك أيتها الدنيا.. ففي سردٍ طفيف يغوص ببحر أناته عتبي المجبولُ بعشقك دوما.. أقدم لك اعترافًا تستحقينه.

عذرًا... فلستُ أبغيك قبسًا من وحي نبوة.. ولستُ أبغي اليوم من مصارحتك اللّوم، لكني أدعوك إلى مناظرة ودية، استرعي فيها ذمتك لعلك ترفديني بتراتيل حب أصيلة.. أهشم بها قساوة الأفئدة وكنت طفلة فتحت عينيها على غبار الحرمان وهو يكتسي كأس ترفي، يُداعب كنهي بوحشية طفولية في لحظة ضعف ولحظة قوة، ثم سرعان ما ينجلي حين تتساوى كفتا ميزان الحياة فوق ضميري لتشكلا معادلة ربانية عادلة، تنحني لها نفسي راضية مرضية مطمئنة.

فانبثق منك نور ألهمني معناك.

كبرت قليلا... تكاثف غبار الحرمان حتى غطى كأس حياتي، لكن ترفي مازال محتفظًا بمقامه الجليل داخله، طالت أناملي فرحتُ أجلو عن كأسي طواغيت الشقاء كيما تشعري بأني مقصرة في حقك، فأعطيتني قليلا من كرامة اتزود بها مدى الحياة.. وكثيرا من حب لا يعرف المراوغة، وأطنانًا من سماحة تجهل أضدادها، ورواسي من تواضع لا يرضى بالذل، وحياء يعاتبني كل ساعة على تواطئي مع ذنب غير معد له، وفضولا مغوارًا ينازع الجهل بسياج المعرفة.

فعشقتك، حتى انبثق من فكري نور ألهمني معناك.

كبرت أكثر، ولربما كان لابد من تلك الكائنات التساؤلية أن تخلق الآن لتعبر عن ذاتها باختيال غير محبب، مجسدة لوحة التحولات وهي تراقص ألوانها بانصهارٍ مثير للاشمئزاز.

كيف تحول الورد شوكًا عند أول لمسة غادر؟

كيف صار الحب ذئباً ما أن قويت أنيابه حتى بدأ الفتك بأهله؟

كيف قفلت أبواب الاستقبال البريئة بأقفال مغذاة بتنافس أحمق؟

كيف حبس الاعتراف بالذنب في زنزانة التعجرف العتوب؟

كيف تهمش التواضع سخرية وإذلالا.. إلى أن انفض من مجالس الألباب والقلوب؟

كيف ربط لسان الحق بين الخلق.. برباط النفاق المستور بضرورة المجاملة؟

كيف توغل السكوت عن الفحش صرخات الضمير.. حتى بات الحياء رذيلة منعت من قائمة الاستهلاك؟

كيف استقت البشرية من غدائر السماح.. حتى تصبغت نفوسها بخليط لا لون له ولا معنى؟

كيف ولدت أمهات المسلمين أبناءها.. حتى اكترت من عدوها مهاترة أفكاره؟

كيف أفشى العلمُ سره.. حتى انتصبت رايات المعرفة عند غير أهلها؟

كيف غيّب الإنسانُ الإنسانَ على طاولة حوار الأنا المُطلق؟

كيف.. وكيف.. وكيف؟

عذرًا سيدةً أعجبتني..

عذرًا فقد أغرتنا المقامات الشريفة فيك حتى ظننا بأن تيجان الملوك صنعت لنا، عذراً فقد أغرتنا ثناءاتك القديرة.. فرحنا نؤطر أفعالنا بخوارق مفتعلة.. عذرًا إن اغرتنا محاكمتك السمحة.. حتى سار فضول الشر فينا بأفعال أضلت طريقها فما عادت تتوقف عند حد.

عذرًا .. أطفولتي أعطتك معنى آخر.

أم إن العبث فيك.. أضلني الطريق إليك فما عُدتُ ألهم معناك.

باحثة أسرية



# كيف ينمو طفلك معرفيًّا؟

د. آندي حجازي

**كثيرا ما تتساءل الأم عن كيفية نمو المعارف لدى طفلها الصغير؟ وكيف تنمو قدرات طفلها العقلية؟ وكيف ينمو تفكير الأطفال؟ وكيف تستطيع الأم مساعدة طفلها على تسريع وتحسين ذلك التطور الفكري لديه؟**

**إن من أوائل العلماء الباحثين الذين حاولوا الإجابة عن هذه الأسئلة كان عالم النفس والأحياء السويسري جان بياجيه والذي استخدم منهجية الملاحظة والمقابلة مع الأطفال من أجل التوصل إلى كيفية حدوث تطور التفكير لدى الأطفال، فقد كان يلاحظ الأطفال بشكل تتابعي منذ ولادتهم وحتى بلوغهم سن الرشد ويدوّن ملاحظاته ويجري مقابلاته معهم لفهم كيف يفكرون، ومن خلال ذلك توصل لنظريته الشهيرة في النمو المعرفي للطفل والتي تعد أهم نظرية على الإطلاق في مجال النمو المعرفي والتفكير لدى الأطفال والتي أجابت عن الكثير من تلك التساؤلات وفتحت الباب للكثير من الأبحاث والدراسات، وقد قيل إن من يعرف نظرية بياجيه لا يعود ينظر إلى الأطفال كما كان ينظر إليهم سابقا.**

إن النمو المعرفي للطفل وفق بياجيه يمر عبر سلسلة من المراحل المنتظمة والمتسلسلة منذ الميلاد حتى الرشد، وعلى الأم معرفة أن هذه المراحل الأربع أساسية لكل طفل، وكل مرحلة منها تعتبر مهمة للمرحلة التي تليها، ولا يمكن تخطي أي مرحلة منها ولكن يمكن تسريعها أو إبطاؤها، وهي عالمية يمر بها جميع الأطفال في العالم، وتاليا توضيح لهذه المراحل الأربع مع تقديم بعض النصائح للأم لكل مرحلة منها:

أولا: المرحلة الحسية الحركية: تبدأ هذه المرحلة من الميلاد حتى سن الثانية من العمر تقريبا كما وجد بياجيه، وفي هذه المرحلة يستخدم الطفل حواسه وحركاته وأفعاله والتجريب من أجل تعرف العالم واكتشاف الأشياء من حوله فيستخدم حاسة البصر وحاسة السمع واللمس والشم والتذوق من أجل فهم العالم من حوله واكتشافه، كأن يحدق في أمه واشتمام رائحتها لتعرفها وهو يلتفت إلى مصدر صوتها.. ويحاول الطفل في بدايات هذه المرحلة أن يتابع الأشياء بصريا وأن يمسك الأشياء بيديه ويتحسسها ويقلّبها ليتعرف ماهي، كما يفعل عندما تقدم له لعبة فيتأملها ويضعها في فمه ليتذوقها ويضعها قرب أنفه ليشتم رائحتها، أو عندما تقدم له قطعة حلوى مغلفة فيحاول الإمساك بها وتحسسها وفتحها، أو عند إخفاء لعبة أمامه فإنه يحاول البحث عنها وخاصة عند الشهر الثامن، وعندما يصل الشهر العاشر أو العام فإنه يذهب إلى المطبخ ويفتح أدراجه لاكتشاف ما بها، وهذا أمر طبيعي في هذه المرحلة لرغبة الاكتشاف لديه وعلى الأم السماح له بذلك مع مراقبته، وعلى أسرة الطفل خلال هذين العامين تقديم الكثير من المثيرات الحسية المناسبة للطفل كألعاب متنوعة وبألوان وأحجام وأشكال مختلفة ووضع بعضها على سريره وفي غرفته.

وفي هذه المرحلة أيضا وبعد الشهر السادس يبدأ الطفل في التفاعل في اللعب مع الآخرين والابتسام لهم دون الاهتمام لجنسهم ذكرا كان أم أنثى، وعلى الوالدين إيلاء الطفل اهتماما خاصا من خلال اللعب معه لأنه يتعلم التفاعل الاجتماعي من خلال اللعب.. ومن الضروري في هذه المرحلة تحدث الوالدين مع الطفل وتكرار الكلمة أمامه من أجل تعلمها وخاصة بعد الشهر الثامن مثل كلمة «خذ، هات، تعال، ماء، بابا، ماما، سيارة...» حيث يبدأ الطفل ما بين الشهر الثامن وحتى السنة الأولى من عمره بتعلم بعض الكلمات ونطقها وخاصة من والديه، ويتوقع في نهاية العامين أن يصبح الطفل قادرا على لفظ كلمتين معا قاصدا بهما جملة كاملة مثل «بابا سيارة» أي بابا ذهب بالسيارة أو أريد الذهاب بالسيارة، فهذان العامان مهمان للطفل لتعزيز الثقة بنفسه وبقدرته على التجريب والاكتشاف والكلام ولابد من تشجيعه من خلال الابتسامة له أو التصفيق أو تقبيله عند نجاحه في كل مهمة جديدة.

ثانيا: مرحلة ما قبل العمليات المنطقية أو المحسوسة: هذه المرحلة تبدأ من سن عامين حتى سن السابعة وفي هذه المرحلة تزداد القدرات العقلية للطفل على تكوين صور ذهنية عن الواقع الخارجي وتخزين أسماء الأشياء المحسوسة أمامه، فهو يبقى مرتبطا بالأشياء والموضوعات المحسوسة في عالمه كالصور والمجسمات أكثر من المجردة ولذلك يكون تفكيره غير منطقي في هذه المرحلة وخاصة في سنواتها الأولى لأنه غير قادر على التخيل لأشياء لم يرها. ويبدأ الطفل في هذه المرحلة

باحثة أردنية



معرفة الأشياء وتصنيفها وفقا للأحجام أو الألوان أو المستويات، ولذلك يمكن للأم أن تسمح لطفها أو طفلتها بطي الملابس معها وتصنيفها وفق أحجامها أو أنواعها لترتيبها داخل الخزانة، وكذلك تقديم ألعاب تركيب مختلفة الألوان والأحجام والأشكال للطفل مع اللعب معه من أجل تنمية قدرات التصنيف لديه.

ويواجه بعض الأطفال في هذه المرحلة صعوبة في إدراك بعض المفاهيم الكمية مثل أن صب نفس كمية الماء في أكواب مختلفة الأشكال لا يغير من كمية الماء، ولذلك على الأسرة محاولة تعليم طفلها تلك المفاهيم المنطقية والعلمية من خلال المحسوسات والتجريب أمامه، وقد أصبح دخول الطفل الروضة مهما في تعليم الطفل تلك المهام والمفاهيم كتصنيف الأشياء وإدراكها والمفاهيم الكمية.. وإن أهم ما يميز هذه المرحلة كما وجد بياجيه هو تمركز الطفل حول الذات حيث يعتقد الطفل أن كل ما في العالم خُلِق لأجله، فمثلا أمه هي خلقت لأجله فقط.. فهي سمة تشبه الأنانية، ولكنها مفيدة لتطور عقله، ولذلك على الأسرة التحدث مع الطفل والإجابة عن تساؤلاته وتعريضه للمواقف الاجتماعية المثيرة حتى لا يبقى منعزلا وتتسع مداركه وتفكيره، مع أهمية اصطحابه في رحلات جماعية. ويزداد في هذه المرحلة اللعب الإيهامي فهو يلعب بالوسادة على أنها حصان مثلا.. وهذا شيء إيجابي لأنه ينمي لديه قدرات التخيل العقلي، ومن إيجابيات تلك المرحلة أنه يتعلم أن يستخدم اللغة بطريقة كبيرة وصحيحة وخاصة عند بلوغ سن الرابعة والخامسة ويصبح بمرور الوقت يتحدث بلغة تشبه لغة الكبار تقريبا ولكن دون فهم التشبيهات والمجاز من القول.

ثالثاً: مرحلة العمليات المحسوسة: تمتد هذه المرحلة من سن السابعة وحتى بداية الثانية عشرة وهي تشمل الأطفال في مرحلتي الطفولة الوسطى والمتأخرة، هذا، ويشير اصطلاح العمليات المحسوسة إلى العمليات

**معرفية الطفل تمر بمراحل أربع.. الحسية الحركية.. ما قبل العمليات المنطقية ..العمليات المحسوسة .. العمليات المجردة**

العقلية التي يستطيع الطفل أن يقوم بها والتي تبقى ضمن أشياء محسوسة أو شبه محسوسة كالصور، حيث يستطيع الطفل في هذه المرحلة أن يفكر تفكيرا منطقيا ولكنه لا يرقى إلى التفكير المنطقي المجرد لدى الكبار، فقدرته على التفكير المنطقي المقنع تظل محدودة إلى حدٍ مّا حتى يصل الطفل إلى مرحلة العمليات المجردة كما وجد بياجيه، ويمكن في هذه المرحلة تقديم مهام عقلية أكثر تعقيدا للطفل لتنمية قدراته العقلية كالتصنيف للأشياء بناء على عدد من المتغيرات معا كاللون والحجم والشكل معا، وطلب تقديم تفسيراته للأشياء والوقائع المحسوسة، وعمل المقارنات والمتشابهات، وطلب تقديم أمثلة لما يطرح وافتراضات، وإدماج الطفل في مهام تتضمن حب الاستطلاع والمغامرة والتجريب كما في المختبرات والرحلات والزيارات الميدانية.

مع ضرورة استمرار الوالدين والمعلمين في هذه المرحلة في تقديم الرسوم التوضيحية والوسائل العينية لتوضيح الأفكار والنماذج المعقدة والجديدة على الطفل كأجهزة الجسم مثلا، وضرورة السماح للطفل ذكرًا كان أو أنثى باللعب الحركي لحاجته إليه لنموه العقلي، ومع ملاحظة زيادة اهتمام الطفل هنا بالصداقات وبالتخلص من سمة التمركز حول الذات التي كان يعاني منها في المرحلة السابقة. ولابد من الاستمرار في تنمية لغة الطفل في هذه المرحلة أيضا كتشجيعه على التعبير عن نفسه شفويا وكتابيا وبوسائل متعددة كالكتابة والتأليف والرسم لتنمية مهاراته المتعددة.

رابعاً: مرحلة العمليات المجردة: تمتد هذه المرحلة من سن ١٢ فما فوق حتى نهاية العمر وهي تشمل مرحلة المراهقة ومراحل الرشد وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل الراقية في نظرية النمو المعرفي عند بياجيه، فهي مرحلة مهمة للنمو العقلي لدى معظم المراهقين وخاصة الذين يستكملون تعليمهم المدرسي، وهي مرحلة إعلان استقلال عقل الإنسان وتفتحه، فالمراهق يصبح قادرا على إدراك معنى الحياة والموت ومعنى العبودية للخالق (الله) وهو قادرعلى أن يدرك معنى وجوده في الحياة، وفي هذه المرحلة يستطيع المراهق التعامل مع عمليات التفكير المجرد والمصطلحات المعقدة، والدخول في المناقشات والمناظرات، ويستطيع أن يكتشف المبادئ أو القواعد العامة من خلال عدد من الوقائع والأحداث النوعية والعمليات التجريدية، ويستطيع الفرد في هذه المرحلة التخيل، والتفكير الاستدلالي الاستنباطي، والتفكير الاستقرائي، والتفكير المنطقي، والتفكير العلمي، وتفكير حل المشكلات، واتخاذ القرارات، ويزداد اهتمامه المتعلق بالمشاكل الاجتماعية والمجتمعية والعالمية، ويصبح فردا فاعلا ومسؤولا في مجتمعه وأسرته وبيئته، ويستمر في هذا النوع من القدرات العقلية حتى نهاية حياته مع تطورها أكثر بمرور الوقت، ما لم يصب بمرض يؤثر على قدراته العقلية.

وأخيرا؛ ومما هو جدير بالذكر أن الأطفال يختلفون في كفاءتهم العقلية تبعا للسن ومرحلة النمو العقلي التي وصلوا إليها، وأن وصول الطفل إلى المراحل المتقدمة من النمو المعرفي يعتمد اعتمادا كبيرا على الفرص التربوية التي أتيحت لهم خلال سنوات نموهم، وتبعا للخلفية الثقافية التي ينتمون إليها، وتبعا للمثيرات التي يتعرضون لها، مع تفاعل العوامل الوراثية مع كل ذلك.

# قهر الحرمان

أحمد عبداللطيف النجار

**آه من الحرمان ولهفي على المحرومين، فمن الصعب على النفس الإنسانية أن تواجه الحرمان من العطف والحنان من أقرب الناس إليها، ومن الصعب أيضا ان تقهر ذلك الحرمان وتقاومه فلا تستسلم له استسلام العاجزين، والأكثر صعوبة أن ترد الإساءة بالإحسان!**

**صاحبي عبدالغفار عاش كثيرًا من ويلات الحرمان لكنه لم يستسلم له، جاءني ذات ليلة باسمًا، قرير العين مرتاح الضمير يقول:**

نشأت في أسرة مفككة لانفصال الأبوين وسرعان ما فقدت حنان أمي التي كنت أعيش في كنفها بعيدًا عن أبي، والتي لقيت ربها بعد عناء طويل مع المرض الذي أصابها بسبب جحود أبي لنا وتقتيره علينا، وفي المقابل يعيش حياة مترفة مع زوجته الثانية وابنه المدلل منها، هكذا وجدت نفسي وأنا صغير السن بلا عائل ولا راع ولا سند، فاضطررت إلى استعطاف أبي كي يضمني إلى بيته وأسرته أعيش مع زوجته وأبنائه، وضمني أبي بالفعل إلى اسرته كارهًا، ووجدتني أعيش في بيت أبي مواطنًا من الدرجة العاشرة، بل كانت منزلتي أقل من منزلة الخدم وشعرت بالقهر والهوان وعشت في عزلة تامة وسط أهلي، وتحملت أقداري راضيًا بقضاء الله وقدره لكي استطيع مواصلة تعليمي، وسألت نفسي ذات ليلة هل كنت أتوقع من زوجة الأب أن تكون أما حقيقية لي أو أن تكون لي منزلة الابن المدلل لديها؟!، وكانت الإجابة على تساؤلي معروفة، بالطبع لا!

إذن يجب علي أن أنسجم مع أقداري التي فرضت علي ولأحاول أن أتكيف مع عالمي الذي أعيش فيه حتى تهون علي مرارة الحياة، وهكذا تحملت ظروفي وتعايشت مع هؤلاء الغرباء مقابل لقمة العيش، وبحثت حولي عن أصدقاء من أبناء الجيران وزملاء الدراسة، ووضعت همي في دراستي بالحيلة، فقد كنت أتحايل لأجد الوقت الكافي لمذاكرة دروسي وأداء واجبات الخادم المنزلية دون أي تقصير، وتحاشيت بقدر الإمكان أن أعطي زوجة أبي أي سبب للشكوى مني أو الزعم بأنني لا أقوم بما هو مطلوب من أعمال الخدمة المنزلية بكل أشكالها، ووفقني المولى عز وجل إلى النجاح في الدراسة بلا أي تعثر ولا دروس خصوصية، وكنت حريصا على أن أعمل أي عمل إضافي خارج المنزل في اجازة صيف السنة الأولى الإعدادية وأدخر ما أتقاضاه من أجر لأنفق منه على دراستي ومصروفي الشخصي في العام الدراسي التالي، وكلما نجحت في امتحان آخر السنة شعرت أنني اقتربت خطوة نحو الخلاص، وكلما تفوقت في دراستي ازداد سوء معاملة زوجة أبي لي وحقدها عليّ خاصة كلما رسب أحد أبنائها أو تعثر!



حتى إنها فقدت السيطرة على نفسها ذات مرة قبل امتحان الإعدادية وثارت ثورة عارمة عليّ ومزقت كل كتبي المدرسية وألقتها في المجاري بدعوى تقصيري في واجباتي كخادم للأسرة!

تحملت كل تلك القسوة واستعرت كتب زملائي في المدرسة واحدًا بعد الآخر لكي استعد لدخول الامتحان، ونجحت بحمد الله والتحقت بالمدرسة الثانوية وواصلت الكفاح والتحمل والصبر حتى بلغت الثانوية العامة وبدأت امتحانها فلم تحتمل زوجة أبي أكثر من ذلك، وبدأت تتصيد لي الأخطاء وأصرت على طردي من البيت لكي أعجز عن مواصلة الامتحان، والله يا أخي

باحث أسري



بكيت يومها بالدموع الغزيرة لأبي ولها كي ترحمني وتتركني أؤدي بقية الامتحان وطلب مني أبي أن استرضيها وأن أقبل قدميها حتى رضيت في النهاية وتركتني! وظهرت نتيجة الامتحان ونجحت بفضل الله وفعلت المستحيل كي يوافق أبي على أن ألتحق بالجامعة، ولم يستطع أبي الوقوف في طريقي خاصة أنني أعمل في الصيف ولا أكلفه أي مصاريف فوق طاقته، وواصلت العمل أثناء دراستي الجامعية حتى تخرجت وحصلت على شهادتي الجامعية، وساعدني بعض الأشخاص الطيبين على العمل فعملت وبذلت كل طاقتي في عملي وأنا أشعر بأنني أخيرًا قد تحررت من ذل العبودية والخدمة في بيت زوجة أبي، ومضت أيام عمري بخيرها وشرها وتقدمت في عملي حتى وصلت إلى مركز مرموق، ورغم كل ما حدث لم أقطع صلتي بأسرة أبي ولا بإخوتي منه، لكني فقط أتعجب لفشلهم جميعًا في استكمال دراستهم العالية رغم كل ما توفر لهم من رعاية وتدليل وامكانات!

وفجأة رحلت زوجي أبي عن الحياة (سامحها الله) وابتعد أبي عن أبنائه منها وشغل بدنياه الخاصة، وتفرق الأبناء في شتى البلاد يسعون وراء الرزق في مدن بعيدة، ولكني والحمد لله لم أشعر تجاه أحدهم بالشماتة أو بالحقد لأنني أراهم ضحايا تدليل الأبوين وجهلهما وبعدهما عن روح الدين الإسلامي الرحيم، بينما كنت أنا ضحية القسوة وعدم العدل، لكل ذلك لم أقطع رحمي بأحد منهم ولم أتردد في مساعدة من يحتاج منهم للمساعدة.

-آه يا صديقي على الحرمان ولهفي على المحرومين وما أكثرهم في ديار الإسلام العظيم دين المحبة والتسامح



والرحمة، لقد قاسى حبيبي رسول الله ﷺ أشد مما قاسيت، لكنه توكل على خالقه بفطرته السليمة النقية وواجه الحياة يتيمًا وحيدًا ترعاه عناية الله، تمامًا كما فعلت أنت واقتديت به فاعتدت التفكير العقلاني الواقعي منذ الصغر، منذ أرغمت نفسك على قبول واقعك المؤلم في بيت أبيك والرضا به، وقد فسرت أنت نفسك ذلك بالحوار الداخلي تفسيرًا عقلانيًا بأنه من غير المنتظر أن تكون زوجة أبيك أما حقيقية لك وأن تكون لديها الابن المدلل! مع أنه هناك الكثيرات من زوجات الآباء المحترمات الرحيمات اللاتي يرعين حدود ربهن في معاملة أبناء أزواجهن خاصة إذا كانوا يتامى مثلك، وأنا أعرف منهن شخصيًا الكثيرات، لكن بكل أسف لكل قاعدة شواذ، على كل حال كان تفكيرك العقلاني خير عون لك على احتمال أوضاعك القاسية ومحاولة النجاة منها باجتهادك في دراستك واتخاذ الأصدقاء المخلصين خارج دائرة الأهل.

**انسجمت مع الأقدار التي فرضت عليَّ فهانت مرارة الحياة .. وكانت هذه هي النتيجة**

في الواقع كانت فلسفة صاحبي عبدالغفار رائعة في انتقامه ممن ظلموه بنجاحه في دراسته واستقلاله بنفسه بالعمل ثم بصلة رحمه لإخوانه الذين لا ذنب لهم جنوه غير انهم أبناء زوجة أب قاسية القلب، فأنت بذلك يا عزيزي طبقت بغير وعي منك وأنت حدث صغير أحدث ما ينصح به علماء النفس والتربية لمن يواجهون ظروفًا حياتية ظالمة تهدد بتعثرهم وحرمانهم من فرصهم العادلة في حياة كريمة، فخير وسيلة للانتقام ممن ظلمونا وأساءوا إلينا هي أن نتحدى ظروفنا ونستمد من عنت الآخرين معنا قوة حقيقية لتحقيق نجاحنا الشخصي في الحياة، والأعجب من ذلك أن من ينتقمون لأنفسهم بالنجاح ممن حاولوا زرع الفشل في طريقهم يجدون أنفسهم غالبًا بعد أن يصلوا إلى بر الأمان أكثر استعدادًا للتسامح مع من ظلموهم، وتفسير ذلك هو أنهم ربما يكونوا قد اعتادوا خلال رحلة الكفاح ألا يتوقفوا أمام صغائر الأمور وأحقاد النفس البشرية وألا يستسلموا للمشاعر السلبية العاجزة، إنهم يفضلون استخدام طاقتهم النفسية والروحية فيما يحقق لهم ولغيرهم الخير والسلام، تلك هي النفوس النورانية الشفافة المملوءة بنور الإيمان والحب والخير لكل البشر.

أتمّ عامه المائة..

# الشيخ المعمر معوض إبراهيم يفتح قلبه للوعي الإسلامي

حوار: دار الإعلام العربية: هالة عبد الحافظ - إشراق أحمد

**قامة دينية وثقافية فريدة من نوعها، عشق الكلمة منذ طفولته، فأحب الشعر والأدب وأبدع فيهما، ولأن خير الكلمات ما سطرها خالق العباد وأوحاها إلى خير خلقه محمد ﷺ، فقد حرص على حفظ القرآن الكريم صغيرًا، وعلى أن يسخر ذاته للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كتابةً وقولًا وعملًا، فقضى أكثر من ٧٠ عامًا يدقّ أبواب العلم وقلوب الراغبين في الصراط المستقيم، وعلى امتداد مائة عام هي عمره حاليًا ظلّ مرشدًا ومعلمًا داخل مصر وخارجها في العديد من البلاد العربية والإسلامية.. إنه الشيخ المعمر معوض عوض إبراهيم، الذي تعتبر حياته رحلة طويلة من الجهاد العلمي.. التقته «الوعي الإسلامي» في حوار طويل نتابع تفاصيله عبر السطور التالية:**

**● من الصعب أن نحصي الحديث عن رحلة نورانية امتدت على مدى سنوات عمرك المائة.. لذلك نقتطف منها بعض المحطات البارزة ولنبدأ بعلاقتك بمجلة «الوعي الإسلامي»؟**

■ كنت من أكثر الناس حرصًا على متابعة المجلة منذ صدور عددها الأول، عندما كان يقوم على تحريرها في الكويت زميل الدراسة د.عبدالمنعم النمر -رحمه الله، الذي تخرّج معي في كلية أصول الدين عام ١٩٣٩، لكنه ذهب إلى التدريس، بينما ذهبت إلى تخصص الدعوة، وبدأت أكتب في المجلة منذ العدد ١٦، وظللت أكتب إليها دون انقطاع إلا في السنوات الأخيرة بعدما داهمني المرض، فقد كنت أكتب إليها من كل بلد أذهب إليه، ففي الأردن كتبت مقالات عديدة بإمضاء «فلان الفلاني مبعوث الأزهر في الأردن مدينة العقبة»، وكذا من لبنان واليمن والسعودية، حتى ذهبت إلى الكويت سنة ١٩٧٩ بعد أن قابلت وزير الأوقاف آنذاك أبويعقوب الشيخ يوسف الحجي، ووكيلها على باب مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وقتها كانت مدة عملي كأستاذ في الجامعة الإسلامية انتهت، وكنت أُمنى نفسي أن ألقى الله سبحانه في البقيع قرب الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن الأمور تجري على قدر، وليس كل ما يأمله الإنسان يناله، حيث قال لي الوزير «مادمت قد أنهيت عملك في المدينة فنحن نريدك في الكويت»، وأخذ رقم جواز السفر وبعد عودتي إلى القاهرة، أرسل لي، وحينما ذهبت إلى الكويت وجدت المسؤولين فيها أنشأوا قسمًا للدعوة وأوكلوا لي مهمة الإشراف عليه.. وأثناء ذلك واصلت الكتابة في «الوعي الإسلامي»، وكنت حريصًا على قراءة مقالات الشيخ أبوزهرة، وعبدالمنعم النمر، والغزالي وكرام الكتاب الذين كانوا يكتبون في المجلة.

**● وما أحب المقالات إلى قلب فضيلتك التي كتبتها لـ«الوعي الإسلامي»؟**

■ من الصعب جدًا أن يتم سؤالي عمن أحبه أكثر من بين أولادي، تيسير أم راوية أم أماني أم طارق أم صلاح، وكذلك الحال بالنسبة إلى المقالات فهؤلاء بضعة منّي لا أكاد أجد فضلًا لهذا على ذاك، وكل ما وفقني الله إليه كان موضع إعزاز وتقدير وتكريم.

**● مرّت بحياتك شخصيات عديدة مثل العقاد والشيخ محمد رفعت وحسن البنا.. فهل تحدثنا عنهم؟**

■ من حسن حظي أني ولدت في هذا القرن، قابلت العقاد مرة واحدة في العام الذي جئت فيه إلى القاهرة، وقد نشر لي قصيدة في جريدة «الجهاد» سنة ١٩٣٣ وأنا طالب بالصف الثالث الثانوي تحت عنوان «استعذاب العذاب»، كنت أقول فيها:

يا ماخرًا في عباب الهموم أي عباب
وضاربا في فيافي الآلام والأوصاب
والسحب تجري بسح من دمعها الوهاب
أقصر غناك رويدًا لم تلق بعض عذاب

وقد عرفت العقاد مبكرًا، وعزمت بيني وبين الله وأنا طالب في المرحلة الثانوية إن أتيت إلى القاهرة أن أزور ثلاثة: العقاد، والشيخ رفعت، وحسن البنا، فلما شاء الله أن حضرت إلى القاهرة طالبًا بكلية أصول الدين، ذهبت إلى مجلة الدستور التي كان يصدرها الحزب السعدي، وقابلت العقاد وقال لي «أنت معوض الذي كنت أنشر له قصائد الشعر»، وكان أمرًا عجيبًا أنه كان جالسًا على كرسيه لكنه أطول مني وأنا واقف، وسألني عن الكلية التي التحقت بها، فقلت له إنني منتسب لكلية أصول الدين، وعندي فراغ أريد أن أشغله في الصحافة، لعل عائدًا منها يعود عليّ وأشتري منها كتبًا تزيدني فهمًا وعقلًا وعلمًا ومعرفة، فقال لي «أنت في كلية أصول الدين وهي كلية تربي العقل، وأطلب منك أن تصرّ على البقاء فيها، ولا يبهرك بريق الصحافة»، واعتبرت هذا الكلام خيرًا لي من كنوز قارون، فازددت حرصًا على طلب العلم.

أما الشيخ محمد رفعت فقابلته بعد أسبوع من المجيء إلى القاهرة، أردت أن أزوره، لأني سمعت عنه الكثير، فلما ذهبت إلى صلاة الجمعة، وجلست وراء الشيخ،

## كتبت قصيدة مدح في محمد حسين هيكل بعد أيام من نشر كتابه «حياة محمد»

## العقاد قال لي لا تنبهر ببريق الصحافة.. والشيخ محمد رفعت دعا لي بفتح الله



وجدت الناس يستقبلون قراءته بالتكبير والتهليل، فقلت لهم: يأيها الناس إن الشيخ رفعت جدير بهذا التهليل والتقدير، لكن الله يقول ﴿وإذا قُرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾. فإذا بالشيخ يلتفت ببصره نحوي، ويدعو لي دعوة كأني أسمعها الآن قائلا «فتح الله عليك»، فظللت وفيًا لهذا الشيخ، الذي سمعه رجل في كندا لا يعلم اللغة العربية إلا في الإذاعات الموجهة، فدخل القرآن الكريم إلى قلبه، وإذا به يأتي إلى القاهرة، ويقابل مدير الإذاعة ويخبره عن استماعه للشيخ محمد رفعت قيثارة السماء، وظل هذا الكندي في مصر إلى أن تعلّم اللغة العربية وتذوّق القرآن الكريم، ثم اعتنق الإسلام، وأبى أن يعود إلى بلده إلا وقد أصبح داعيًا إلى الله.

**● وماذا عن حسن البنا؟**

■ قابلت الشيخ البنا مرة وأنا في معهد طنطا، ثم قابلته بعد ذلك في لقاءات سريعة، وكثرت مقابلاتي له بعد أن عينت واعظًا، وكنت سعيدًا بذلك العالم الجليل والمرشد العام، ولن أنسى ليلة من الليالي أتى فيها البنا إلى الفيوم، وكان لي زميلان، زميل دراسة، الشيخ خلف محمد علي، والشيخ أحمد عبدالرحيم الذي سبقني إلى الفيوم بعام، كنت قد أتيت من أسوان إلى الفيوم ١٩٤٥، وقد أعدا لي سكنًا، وفي يوم ذهبنا معًا إلى مؤتمر كان المتحدث فيه الشيخ حسن البنا، فحرصنا أن نجلس بعيدًا عن نظره، في أبعد مكان على يمينه، وكنا نظن أنه لن يرانا، فإذا به يتكلم وفتح الله عزّ وجل وأنار بصره وأراه ثلاث عمائم، وقال مشيرًا إلينا «تفضلوا»، كأنه يريد أن يقول للناس اسمعوا كلام هؤلاء، انتفعوا بتوجيههم، فقد كان -رحمه الله- رقيقًا متواضعًا إلى أبعد الحدود.

**● ارتبطت بالشعر والأدب في سن صغيرة جدًا.. فماذا عن القصائد التي نشرت لك وأنت مازلت طالبًا؟**

■ في العام التالي الذي نُشرت فيه قصيدة «استعذاب العذاب»، نشرت لي جريدة السياسة الأسبوعية قصيدة بعد صدور كتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل -رحمه الله، وكنت وقتها طالبًا بالصف الرابع الثانوي بمعهد الدراسات الإسلامية بطنطا، وقد أرسلت القصيدة كنوع من الإشادة بالدكتور هيكل عن هذا الكتاب، وظننت أنها لن تنشر لأني مازلت ناشئًا، وهيكل كان قمة من قمم السياسة والأدب، لكن ذات يوم فوجئت بمدرس البلاغة محمد فهمي وكان ضعيف البصر طويل الجسم يناديني قائلًا: «يا واد يا معوض يا داهية، أنا شوفتلك يا واد»، فظننت أنه رأى لي رؤية، ولأننا كنا نعيش حالة من الخوف من الله والبعد عن المعاصي، كنا نؤمن بالرؤية التي نراها لأنفسنا أو نراها لغيرنا، أو يراها آخرون لنا، فقلت له بلهفة «خيرًا يا أستاذ»، فقال «رأيت لك قصيدة في مجلة السياسة الأسبوعية»، ولأنه كان بيني وبين زملائي تنافس في الأدب فقد أخذوا جميعهم يسألونني كيف فعلت ذلك؟.

**● قلت إن الوعظ والدعوة كانا أهم بالنسبة إليك وأبناء جيلك من الوظائف.. فما أبرز ملامح تجربة فضيلتك الدعوية؟**

■ أحمد الله الذي كان ينير لي الطريق أثناء الدعوة في مصر ومختلف البلدان العربية، فقد قضيت ست سنوات في لبنان، ومثلها في السعودية، وأربع سنوات في الأردن، وبهذه المناسبة أترحم على الدكتور عبدالرحيم محمود شيخ الأزهر الذي ذهب إلى فرنسا وجمع بين علوم الدنيا، وعلوم الإسلام، وجاء بسلوكه القويم، ليرأس الأزهر في آخر عمره، وقد قال لي يومًا: «تسافر إلى الرياض؟»، فقلت: له إن كان لابد فسأسافر إلى مدينة الرسول ﷺ، فطلب من مدير مكتبه أن يُلحقني ببعثة جامعة بن سعود بالرياض، وبالفعل ذهبت إلى الرياض بصحبة أحد أساتذة كلية الشريعة، وقضيت فيها سنتين، وكان يتولى رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد الشيخ محمد إبراهيم محمد الذي قال لي: «جئنا بك لتشترك في التوعية بموسم الحج»، وكان ذلك بمرسوم ملكي.

**● كيف ترى شبابنا اليوم؟**

■ برغم ما نراه من انحراف بعضهم، وهم قلة لا يخلو منهم زمان ولا مكان، فإن هناك من يقول في مثلهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق».. وقد رأينا ذلك في الشباب الذين قادوا ثورة مصر وغيرها من البلدان التي انتصرت على الظلم والفساد، وهذا يؤكد أن الخير موجود في شبابنا، وإن كانوا بحاجة إلى القدوة الحسنة.

# الشيخ معوض في سطور

ولد الشيخ معوض عوض إبراهيم الأزهري الحنفي - حفظه الله- وأطال في عمره عام ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م بقرية كفر الترعة الجديد بمركز شربين بمحافظة الدقهلية، والتحق الشيخ بالأزهر الشريف عام ١٣٤٤هـ -١٩٢٦م، بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية، وحصل على الابتدائية عام ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م وكان شيخ المعهد الأزهري حينئذ الشيخ الكبير عبدالله دراز والد الدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز رحمهما الله، وبعدها حصل الشيخ على الكفاءة عام ١٩٣٣م وعلى الثانوية من معهد طنطا عام ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٥م.

أولع الشيخ منذ نعومة أظفاره بحب اللغة العربية ودراسة الأدب والاهتمام به، ولقد بلغ من تفوقه في فن الأدب أن أستاذ الأدب أهداه كتاب مقامات بديع الزمان وكتب عليه إهداء له، وذلك لنبوغه في فن الأدب إثر محاورة بينه وبين زميل من زملائه، وفي نفس العام نشر له الأستاذ عباس محمود العقاد الكاتب الجبار كما كان يسميه سعد زغلول قصيدة تحت عنوان (استعذاب العذاب) التي استهلها بقوله:

**يا ماخرًا في عباب الهموم أي عباب**
**وضارباً في فيافي الآلام والأوصاب**

وقد نشرت هذه القصيدة في عدد مجلة السياسة الأسبوعية الممتاز التي كان يصدرها محمد حسين هيكل وزير المعارف -رحمه الله - وكان ذلك عام ١٩٣٤م بمناسبة مرور عام على صدور كتاب حياة محمد ﷺ، وكان الشيخ حينئذ بالصف الثاني الثانوي الأزهري.

التحق الشيخ بكلية أصول الدين بالقاهرة بالخازندارا، بعد إنهاء المرحلة الثانوية في المعهد الديني الأزهري بطنطا، وكان عميد الكلية آنذاك الشيخ الإمام الكبير الشيخ عبدالمجيد اللبان رحمه الله.

أكمل الشيخ سنتين في تخصص الدعوة عام ١٣٦٣هـ - ١٩٤١م، ثم بعد ذلك عين واعظا في أسوان عام ١٩٤٢م - إلى عام ١٩٤٥م، ثم في الفيوم من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٤٨م، ثم في مدينة بورسعيد من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٦م، وفي عام ١٩٥٢م حصل فضيلته على تخصص التدريس والتربية من كلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، لأنه لا يعين في التدريس إلا من حصل على تخصص التربية والتدريس من جامعة اللغة العربية وهي لمدة سنتين، وكان الشيخ واعظ بورسعيد في ذلك الوقت حينما نال هذه الشهادة.

## رحلاته

سافر الشيخ إلى لبنان مبعوثًا للأزهر الشريف للوعظ والتدريس من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٢ - في الكلية الشرعية ببيروت، ثم زار اليمن ست مرات متقطعة بعد عودته من لبنان، والتقى فيها هناك بمفتي اليمن الشيخ عبدالله زبارة، رحمه الله، واشترك معه في عدة حلقات من البرنامج «في نور الإسلام» في التلفزيون الكويتي.

عاد الشيخ بعدها إلى مصر فأنشأ المعهد الديني الأزهري في بورسعيد عام ١٩٦٤م، ثم توجه بعدها إلى الأردن عام ١٩٦٥ إلى عام ١٩٦٩م، وكان مقره ميناء العقبة الميناء الوحيد بالأردن، وبعدها عاد الشيخ إلى مصر وعمل مفتشًا ومراقبا للوعظ في القوات المسلحة، ومحاضرًا في الدراسات العليا بقسم الحديث في كلية أصول الدين حتى عام ١٩٧٣م، ثم مدرساً في كليه الشريعة بالرياض عام ١٩٧٣م ثم باحثًا علميًا في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء إلى عام ١٩٧٦م، ثم عمل بعدها مدرسًا في كليتي أصول الدين والحديث النبوي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم عمل رئيساً لقسم الدعوة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت بداية من عام ١٩٧٩ الذي أنشأ فور تعاقده في الوزارة حتى عام ١٩٨٥م.

زار الشيخ بعد ذلك باكستان وزار الكليات العلمية الشرعية في كراتشي وبيشاور ولاهور وقابل هناك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد العسال رحمه الله الذي كان نائبا لمدير الجامعة الإسلامية العالمية، وزار الشيخ عدة دول أخرى كالبحرين وقطر، وسافر إلى سورية فزار دمشق مرتين وحلب وحمص وحماة أثناء عمله في الكلية الشرعية ببيروت.

وبعد عودة الشيخ من باكستان عمل عضوًا في لجنة الفتوى بالأزهر الشريف في عهد الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله، متفرغًا للكتابة في الصحف والمجلات داعياً إلى



الله بكلمة هادية بانية حريصًا على النصح للآخرين.

## من زملائه وأصدقائه

فضيلة الشيخ العلامة محمد خاطر مفتي الديار المصرية، وفضيلة الشيخ العلامة المحقق أحمد صقر، وفضيلة العلامة الكبير الشيخ محمد أبوشهبة، وفضيلة الشيخ الدكتور محمود غرابة، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبدالرحمن بيصار، وفضيلة الشيخ الدكتور عبدالمنعم النمر، وفضيلة الشيخ محمد خليفة الأباصيري، وفضيلة الشيخ محمد الطيب النجار، وفضيلة العالم الجليل شيخ الدعاة العلامة محمد الغزالي رحمهم الله رحمة واسعة، وغيرهم ممن يصعب حصرهما.

## شيوخه

تتلمذ الشيخ على كوكبة نيرة من أكابر علماء الأزهر الشريف، أخذوا العلم كابرًا عن كابر، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: فضيلة العالم الرباني العلامة الشيخ محمد الأودن رحمه الله، والشيخ العالم الجليل العلامة محمد سلامة صاحب كتاب مباحث في علوم القرآن، وفضيلة الشيخ العلامة الجليل محمد عبدالعظيم الزرقاني، صاحب كتاب مناهل العرفان، وفضيلة العالم الجليل العلامة الحجة المسند الشيخ علي سرور الزنكلوني، وعنه يروي فضيلة الشيخ معوض بأسانيده المتصلة، وفضيلة الشيخ الجليل العلامة الفقيه محمد أبوزهرة، وفضيلة الشيخ الجليل محمد يوسف موسى، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم، رحم الله الجميع، وكان الشيخ محمد أبوزهرة يقول: الشيخ معوض ابني البكر والشيخ محمد الغزالي ابني الثاني.

ومن الأعلام الذين عاصرهم وكانت بينه وبينهم مواقف وذكريات يتجلى فيها ارتباط الشيخ بالأكابر من العلماء فضيلة الشيخ الإمام الفقيه العلامة الشيخ عبدالله المشد، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمد الخضر حسين وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عبدالرحمن تاج، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمود شلتوت، وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر العالم الجليل الدكتور عبدالحليم محمود، وغيرهم من السادة أهل العلم الأكابر أمثال الإمام العلامة فقيه الشام الشيخ الصيدلاني أبي اليسر عابدين حفيد الإمام العلامة الكبير صاحب الحاشية المعروفة بحاشية ابن عابدين، الذي استمع إلى محاضرة في الفقه المقارن لفضيلة الشيخ معوض التي ألقاها على طلاب كلية الشريعة، وقد كان الشيخ معوض حينئذ أستاذًا في الكلية الشرعية بلبنان، وفرح الإمام الفقيه الصيدلاني علامة الشام الشيخ أبواليسر بما قاله الشيخ وبما قاله طلابه، وربت على الكتف اليسرى للشيخ معوض ودعا له بالخير.


رئيس التحرير برفقة الشيخ المعمر

## مؤلفاته

أسهم فضيلة الشيخ معوض بمجموعة من المؤلفات النافعة الماتعة منها على سبيل المثال: كتاب «الإسلام والأسرة السعيدة» طبع في بيروت ١٩٦٠م، و«قبس من الإسلام» طبع في بيروت ١٩٦٢م وطبع مرة اخرى بعنوان «عناصر الإسلام وطرق هديه»، وكتاب «إنسانية العبادات في الإسلام» في القاهرة ١٩٧٠م، و «ملامح من هذا الدين» طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة ١٩٧٠م. وكتاب «مع البخاري في كتاب العلم من صحيحه»، طبع بالكويت ١٩٨٢م وسيطبع مرة أخرى مع تنقيح وزيادات يضيفها الآن فضيلة الشيخ، وكتاب «الرسول والرسالة في شعر أبي طالب» طبع بالكويت ١٩٨٣م، و«عنصر الهداية في القرآن الكريم» طبع بالكويت ١٩٨٣م، و«ركائز المجتمع المسلم في سورة الحجرات» طبع بالكويت ١٩٨٣م، وطبع مرة أخرى في القاهرة، و«ذلك الدين القيم» طبع بالاسكندرية ١٩٩٦م. و«الأولاد ودائع الله عندنا» طبع بالقاهرة ٢٠٠٢م، ومن الكتب أيضا كتاب «مشاهد الوجود وشواهد التوحيد»، وكتاب «نفحات القرآن» وكلاهما طبع في دار الدعوة بالإسكندرية عام ٢٠٠٨، وغيرها من الكتب الأخرى التي طبعت والتي لم تطبع، ومازال الشيخ حتى الآن يعكف على كتابة المقالات في الجرائد والمجلات مع مراجعة كتبه ومؤلفاته ومحاولة إخراج مخطوطاته التي لم تطبع بعد.

**تم الاستعانة بتلميذ الشيخ الأستاذ محمد عبداللطيف في الحصول على ترجمة الشيخ**

خزانة من نوادر وكنوز التراث العربي والإسلامي

# مكتبة التراث العربي والإسلامي في قطر

**تعد خريطة «بطليموس» -المحفوظة في المكتبة التراثية- من أقدم الخرائط المطبوعة التي ورد فيها اسم «قطر» باللغة اللاتينية (Catara)، وهو اسم لأهم القبائل التي كانت تقطن الجزيرة العربية وقت حياة «بطليموس».**



تركي محمد النصر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

إن اسم «قطر» من الأسماء القليلة جدًا التي بقيت برسمها ولم يتغير منطوقها - كمعظم باقي الأسماء في الخليج- كما أن الخريطة التي رسمها «نيبور» عن الخليج العربي قبل نهاية القرن الثامن عشر- والتي نشرت ضمن الكتاب الذي اشتمل على أخبار الرحلة التي قام بها للمنطقة عام ١٧٧٢م تحت عنوان: وصف لبلاد العرب- تظهر أسماء أهم المدن القطرية آنذاك، وهي: «قطر، فريحة، اليوسفية، الحويلة» مع الإشارة إلى مناطق أخرى.

أما دولة قطر اليوم فهي درة الخليج التي باتت محط أنظار العلماء والمبدعين وطلاب العلم، لما يظهر فيها من نهضة واسعة، وخاصة في الجانب العلمي والثقافي، ولاسيما ما تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر من إقامة الملتقيات العلمية والثقافية التي تؤكد على حرص البلاد على نشر الثقافة الإسلامية، وكان من أبرز هذه الدورات العلمية ما أقامته إدارة الدعوة والإرشاد الديني في دولة قطر بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية في القاهرة تحت عنوان «ثقافة المحقق» في الفترة من (١/١- ٢٠١٢/١/٥م) في الدوحة، وتشرفت بحضورها برفقة رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي الاستاذ فيصل يوسف العلي، وكانت ناجحة ومفيدة.

وهذا الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي ليس غريبًا على دولة قطر حيث كان لها السبق في تأسيس الكثير من المشاريع والمؤسسات العلمية، والمراكز الثقافية والمكتبات التراثية الضخمة، ومن أشهرها: «مكتبة التراث العربي والإسلامي» في الدوحة، هذه المكتبة التي كانت من أهم المنارات التي تشرفنا بزيارتها خلال رحلتنا الأخيرة إلى الدوحة حيث استمعنا لشرح مفصل عنها من مديرها الأستاذ محمد همام فكري، تحدث خلاله عن أهم مقتنيات هذه المكتبة التراثية.

## المكتبة التراثية

إذا كان الشيخ الدكتور حسن بن محمد بن علي آل ثاني- هو من أبرز المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها- قد تحمل عبء ومسؤولية تأسيس هذه المكتبة، فإن توجهه في الأساس كان يهدف إلى توفير مصادر لتاريخ قطر في كتابات الرحّالة والمستكشفين الذين زاروا المنطقة، ثم تطور اهتمامه ليشمل اقتناء كل ما يتصل بالحضارة العربية والإسلامية من نفائس ونوادر التراث.

وخلال عشرين عامًا استطاع أن يجمع حوالي: (٨٥٠٠٠) عنوانًا في مختلف المباحث والفنون التي يرجع تاريخ بعضها إلى أواخر القرن الخامس عشر مع بدايات اختراع الطباعة في أوروبا.

وهذه المجموعة من مقتنيات المكتبة في أوعيتها المختلفة من مخطوطات ومطبوعات عربية وأجنبية، وصحف ومجلات، وخرائط وأجهزة علمية، هي في حقيقتها مختارات من كنوز التراث التي تزين أقسام هذه المكتبة.

## النشأة والتطوير

تعد المكتبة التراثية التابعة لمؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع- أحد أهم المعالم الثقافية في دولة قطر، فهي تحتوي على مجموعات نادرة من مخطوطات ومطبوعات وخرائط وجرائد ومجلات قديمة تشكل كنوزًا من المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في التراث العربي والإسلامي فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، ولاسيما المخطوطات والكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث



الإنساني.

ترجع بداية التكوين إلى عام ١٩٧٩م، وبعد ذلك تعمق الاهتمام بالدراسات التاريخية التي قادت إلى مرحلة جديدة من التوجيه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية.

ومع بدايات عام ١٩٨٩م تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي، والتي تعد الآن من أهم مكتبات الشرق الأوسط، ومن المكتبات المعدودة في موضوعها عالميًا.

## أقسام المكتبة التراثية ومحتوياتها

تنقسم المكتبة التراثية إلى ثلاثة أقسام أساسية، وهي:

**أولا: قسم الكتب والدوريات العربية والأجنبية**

يحتوي هذا القسم على أكثر من ٨٥ ألفًا من الكتب والدوريات العربية والأجنبية القيمة.

حيث اهتمت المكتبة بكل ما هو مفيد ونافع من الكتب القيمة، ومنها:

**المكتبة تقدم للباحث فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها**

- أوائل المطبوعات: اقتنت المكتبة أوائل المطبوعات العربية والإسلامية في العالم العربي، فجمعت:

- أوائل المطبوعات التي ظهرت في لبنان ١٦١٠م على يد رهبان «دير قزحيا»، وكان أول مطبوع عندهم هو «المزامير» الذي طبع بالسريانية والكرشونية.

- وأوائل المطبوعات التي ظهرت في حلب على يد عبدالله بن زاخر.

- وأوائل مطبوعات المطبعة الحجرية في العراق التي أسسها الرهبان الدومينيكان في الموصل سنة ١٨٣٠م.

- وأوائل المطبوعات للمطبعة الفلسطينية التي أسست سنة ١٨٣٠م، والمطبعة اليمنية التي أسست سنة ١٨٧٧م، وبالمطبعة الحجازية التي أسست سنة ١٨٨٢م، والمطبعة الأردنية التي أسست سنة ١٩٢٢م.

- الصحف والمجلات والدوريات: كما يتضمن هذا القسم حوالي (٢٠٠) عنوانًا لصحف ومجلات ودوريات نادرة بدأ صدورها في نهاية القرن التاسع عشر، وتعد من الناحية التاريخية تجسيدًا حيًا لتاريخ الصحافة العربية، لاسيما أن منها جرائد ومجلات يتيمة (صدر منها عدد واحد أو اثنان أو أكثر قليلا) بالإضافة إلى أوائل المجلات التي صدرت في منطقة الخليج العربي مثل مجلات وجرائد: «الفلاح، أم القرى، نشرة أنباء أم القرى، صوت الحجاز، بريد الحجاز، القبلة، البلاد السعودية، المدينة المنورة، النهضة، صوت البحرين، لغة العرب، فتاة الشرق، الرائد، البعثة الكويتية، والعالم العربي» وغيرها.

ومن المجلات والجرائد النادرة «الأخبار، المقتطف، الهلال، الرسالة، الأديب، أبولو، اللطائف، الثقافة، العروس، الكلية، الفنون، النحلة، نهج الإسلام، ومجلات مراكز البحوث والمؤسسات العلمية العربية المختلفة»، وغيرها، ومعظمها في حالة جيدة.

- الرسومات الفنية: كما ينبهر الزائر لهذا القسم بما يراه من رسومات المحترفين الذين قاموا بتجسيد معالم وآثار المنطقة، وجوانب من الحياة الاجتماعية، وهي تمثل في مجملها وضخامتها تراثًا فنيًا تاريخيًا هامًا نذكر منها كتب كل من: «دنون، ديفيد، روبرست، بريس دافن، لويس كاساس، ريتشارد تيمبل، وإيتيان دينيه»، وغيرهم من العلماء والفنانين.

- المجاميع والأعمال التاريخية: هذا بالإضافة إلى المجموعة الكاملة للورنس العرب، والرحالة جون فيلبي، وكذلك الرحالة البريطاني وليم بلجريف، وهو

أول أوروبي يأتي إلى قطر في عام ١٨٦٢م، وبير كهارت وجيارود، وغيرهم.

بالإضافة إلى أعمال القناصل السياسيين والعسكريين الذين عملوا في شركة الهند الشرقية، كأعمال المقيم السياسي البريطاني لويس بيلي، وسادر الذي يعد أول من عبر الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب، وشكسبير، وغيرهم من الرحالة المستكشفين.

- ترجمة معاني القرآن الكريم: لعل من أهم مجموعات هذا القسم تلك التي تشتمل على الترجمات الأولى والنادرة لمعاني القرآن الكريم بكافة اللغات الأجنبية «اللاتينية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الهولندية، الإيطالية...» وغيرها.

كما تضم المكتبة ترجمة محمد مرمدوك بيكثول، وكان أول من ترجم معاني القرآن الكريم بعد اعتناقه الإسلام، هذا إلى جانب العديد من ترجمات غيرهم من الباحثين.

- ترجمة التراث العربي: في هذه المجموعة من كتب التراث العلمي العربي والإسلامي مترجمًا إلى اللاتينية وغيرها من اللغات، والمطبوعة في أوروبا مع بدايات اختراع الطباعة، تبرز قيمة ما قدمه علماء العرب والمسلمين للبشرية، فقد حملوا بذور الحضارة لينشروها في أرجاء العالم بعد أن قاموا بتحقيقها وتنقيحها وتصنيفها وفقًا للمنهج العلمي التجريبي الذي أدهش العالم بموضوعيته، حيث انكب عليه علماء الغرب لنقله إلى جامعات أوروبا، ومن أهم علماء العرب في هذه المرحلة: «أبوالقاسم الزهراوي ت: ١٠١٣م، ومحمد ترغاوي ت: ١٤٤٩م،



مدير المكتبة محمد همام فكري يشرح للزوار محتويات المكتبة

وأبومعشر البلخي ت: ٨٨٦»، وغيرهم كثير.

- كتب التاريخ الأندلسي: تؤرخ هذه المجموعة من الكتب النادرة لتاريخ الأندلس، وهي في تنوعها المعرفي تغطي جوانب هامة من تاريخ الحضارة الإسلامية في إسبانيا في مجالات الأدب والمعمار والطب والسياسة، وتظهر في مجملها موقف الغرب من المد الإسلامي ونهاية الوجود العربي في إسبانيا.

هذا، بالإضافة إلى مجاميع العلوم، والتراجم، والكتب الأجنبية، وكتب القصص الشعبي، وغيرها.

**ثانيًا: قسم الخرائط**

ويحتوي هذا القسم على أكثر من ٦٠٠ خريطة مخطوطة ومطبوعة، تشكل مجموعة متميزة من الخرائط القديمة التي أصبحت شاهدًا على حركة تطور فن رسم الخرائط من جهة، والتطور الكارتوجرافي من جهة اخرى، كما تتميز هذه المجموعة بأنها تؤرخ للتحولات السياسية والجغرافية في منطقة الخليج العربي، سواء تلك التي لا تزال قائمة، أو التي وردت في كتابات رسامي الخرائط والرحالة والمستشرقين والمؤرخين الأوائل أمثال:

- بطليموس الذي صدرت له أول خريطة مطبوعة لشبه الجزيرة العربية في عام ١٤٧٧م.
- والخريطة التي وضعها العثمانيون عن الخليج.
- والخريطة المخطوطة النادرة لطريق الحج من إسطنبول إلى مكة المكرمة، وتعد هذه الخريطة من أقدم الخرائط الطبوغرافية لمنطقة الخليج العربي وبلاد ما بين النهرين، حيث ترجع إلى الثلث الأول من القرن السابع عشر الميلادي، وهي عبارة عن لفافة يزيد طولها عن ثلاثة أمتار.
- وخريطة البحر الأحمر التي وضعها القنصل الفرنسي في الاسكندرية دو جلاتيني، وغيرها من الخرائط غير المنشورة التي تمثل أعمالا نادرة وقيمة للغاية.

كما تضم هذه المجموعة نماذج عدة للكرة الأرضية تم تصنيعها في القرون الثلاثة الماضية، وهي تصور الأرض كاملة بتفاصيل المعلومات الجغرافية المتوفرة في هذه الفترة والتي سبقتها، بالاضافة إلى مجموعة من الأطالس القديمة التي تشكل في مجملها قسما متكاملا للخرائط القديمة المتعلقة بالعالم وقاراته والمنطقة العربية على وجه الخصوص، وكذلك أعمال رسامي القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر لكل من كورونلي ودي لاهاي، وغيرهم، بالاضافة إلى الخرائط البانورامية لبعض الأماكن الهامة في مسقط وهرمز وطنجة ومكة المكرمة والمدينة المنورة وعدن ومباسا.

ولابد لهذه المكتبة أن تفخر باقتنائها

لهذه المجموعة النفيسة والنادرة التي اكتملت بوجود الكرات الأرضية والسماوية المتنوعة.

**ثالثًا: قسم المخطوطات**

ويحتوي هذا القسم على حوالي ٢٠٠٠ مخطوط أصلي، وهي من أندر وأنفس المخطوطات في شتى المجالات كالرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والنبات والحيوان، بالإضافة إلى العلوم التطبيقية: كالطب والهندسة والزراعة والصناعة والفنون، والعلوم الإنسانية، وغيرها.

كما يحتوي هذا القسم على مجموعة من المصاحف النادرة التي تعطي فكرة عن التطور الحاصل في فنون المخطوطات سواء في الزخارف النباتية والهندسية والتوريقية (الأرابيسك)، والتذهيب بالذهب الخالص، والخطوط العربية التي تسر الناظرين وأهمها: «الكوفي بأنواعه، والثلث وتفرعاته، والنسخ، والديواني»، وغيرها.

وكذلك الصور والرسوم والخرائط، والمنمنمات والتخطيطات وغيرها.

ومن أروع المخطوطات «المخطوطات الخزائنية» التي حظيت بعناية فائقة، ولاسيما أن قسمًا منها بخطوط مؤلفيها، مع عرض تاريخي للتسلسل الزمني الذي يعطي فكرة عن تطور المخطوطات المفرد والمجاميع بلغات مختلفة، ومن أماكن مختلفة تغطي العالم الإسلامي، ومن أقاصي الصين ومن جنوب شرق آسيا إلى أقاصي المغرب العربي وبلاد الأندلس، وبعضها باللغات التركية والفارسية والسريانية والحبشية.

هذا بالاضافة إلى عرض لأشكالها



وأحجامها وجلودها، وتنوع ذلك وجمالياته المبهرة.

## مشروع الرقمية وخدمات المكتبة

بما أن مكتبة التراث العربي والإسلامي هي إحدى المكونات الأساسية المهمة لمركز التطوير الثقافي بمؤسسة قطر، فقد استخدم العاملون القائمون عليها أحدث التقنيات الجديدة للحفاظ على مقتنياتها، فجاء مشروع الرقمية في المكتبة التراثية بهدف تحويل المعرفة من الورق إلى الرقمية، بغية تيسير الوصول إلى المعلومة لتحقيق مستوى أفضل نحو إجراء البحوث، وإتاحة مقتنيات المكتبة للاطلاع عليها عن طريق الإنترنت من جميع أنحاء العالم ليلا ونهارًا، إضافة إلى الحفاظ على الكتب والمخطوطات التراثية من خلال تقليل نسبة الاستهلاك مستقبلا.

وقام مركز التطوير الثقافي في دولة قطر بإعداده بحيث يستغرق تنفيذه عامًا كاملا، ويغطي هذا المشروع (٥٠٠٠) كتاب، و (٣٠٠) مخطوطة، و(٤٠٠) خارطة، وكلها منتجة طبقًا لأعلى مستويات الجودة العالمية.

إن المكتبة التراثية إذ تبدأ العمل في هذا المشروع الرقمي الرائد، فإنها تهدف إلى توفير خدماتها للباحثين وطلاب العلم على مستوى العالم، وذلك من خلال:

- إمكانية الوصول إلى المادة أو المعلومة عن طريق الانترنت.
- إمكانية مقارنة المعلومات والتحقق من صحتها من عدة مصادر في وقت وجيز.
- إمكانية البحث داخل النصوص في اللغات الأوروبية من خلال تقنيات (OCR).
- وضع الأساس لاستخدام تقنيات بحث داخل النصوص العربية واللغات الأخرى.
- تيسير إمكانية الوصول إلى المعلومات والموضوعات للمعلمين وطلاب العلم.
- توفير مصادر تعليمية غنية لطلاب مختلف المراحل التعليمية.

## الخاتمة

وهكذا فإن المكتبة التراثية بما تحتويه من ثروة ضخمة من التراث العالمي والعربي والإسلامي، وبما أقامت من المشاريع الرقمية والإلكترونية لخدمة هذا التراث، لتسير في طريقها الرائد في العالم العربي والإسلامي لتكون منارة من منارات العلم يشع نورها من دولة قطر- حرسها الله- لتضيء دروب الباحثين وطلاب العلم في أرجاء المعمورة.

### المصادر


١- النشرة التعريفية الصادرة عن إدارة المكتبة التراثية.
٢- كتاب «قطر في القلب والتاريخ» صادر عن مركز التطوير الثقافي للمكتبة التراثية.
٣- كنوز من التراث العلمي العربي في أوروبا لمحمد همام.

سلسلة النهضة التعليمية ٣ - ٤

# نماذج تعليمية حققت النهضة

هالة عبدالحافظ - إشراق أحمد

**يظل التعليم هو المحرك الأساسي لتطور الحضارات ومحور نماء المجتمعات.. وفي سلسلتنا حول النهضة التعليمية تطرقنا في الحلقة الأولى إلى ركائز وقيم هذه النهضة، ومن ثم تناولنا في الحلقة الثانية الأسباب التي أدت إلى تراجع التعليم العربي وتخلّفه، وأكدنا أنه لا سبيل لإنكار تدني مستواه في غالبية الدول العربية، وأنه لا يرقى إلى مستوى آمال وأحلام المواطن العربي.. وها نحن نمضي في الحلقة الثالثة إلى نماذج لبعض الدول التي حققت نهضة تعليمية، فإليها..**

تحت عنوان «التعليم.. التعليم.. التعليم» كتب المفكر المصري طارق حجي في صفحته الإلكترونية مقالاً أوضح فيه أن الأنظمة والمؤسسات التعليمية تنقسم إلى مدرستين، الأولى تتبع نظم القرن الـ١٩ وأوائل القرن الـ٢٠ وتهتم بفلسفة التلقين واختبارات الذاكرة، بينما تهتم المدرسة الثانية ببث قيم الإبداع وحرية البحث والإيمان بتعددية المعرفة وعالمية العلم والعمل الجماعي والقدرات الخلاقة للموارد البشرية، فالإبداع لديها عوضًا عن التلقين.

## قيم الإبداع

وأشار حجي إلى عدد من الدول التي حققت طفرة تعليمية مشهودة، ومنها اليابان وعدد من دول شمال أوروبا وأبرزها فنلندا ودول أخرى مثل سنغافورة، وأكد أن هذه الدول سبقت الجميع في الانتقال الواسع من فلسفة التعليم المرتبطة بالتلقين واختبارات الذاكرة إلى فلسفة التعليم المعنية بالإبداع وبث قيم التقدم، مؤكدًا أنه يمكن إجمال أهم هذه القيم في:

- زرع قيم السماحة الفكرية والدينية في عقول ونفوس وضمائر أبناء وبنات المجتمع.
- زرع الرغبة في التعرف إلى الآخر في برامج التعليم.
- تأسيس مفهوم إنسانية التقدم والعلم والمعرفة.
- تفعيل الإيمان بالموارد البشرية كمصدر الثروة والقيمة الأولى في المجتمع مع ما يحتمه ذلك من النهوض بوضع ومكانة المرأة.
- تأسيس ثقافة التعايش المشترك.
- استئصال ثقافة الملكية المطلقة للحقيقة من أذهان وضمائر أبناء وبنات المجتمع.
- استئصال التعصب والتزمت من البنية الفكرية لأبناء وبنات المجتمع.
- إيجاد صلات وثيقة بين التعليم والأنشطة الاقتصادية في كل مجتمع.

**فنلندا واليابان وسنغافورة قدّمت أفضل ٣ تجارب نهضوية على مستوى العالم**

## أرقى ثلاثة أنظمة

وتابع حجي أن حقيقة التعليم في بلد مثل فنلندا التي يعتبر نظام التعليم فيها أحد أهم وأرقى ثلاثة نظم للتعليم في العالم إلى جانب سنغافورة واليابان هي أنه تعليمٌ مجاني من بدايته إلى نهايته، ليس بحكم قرارٍ سياسي، ولا توجه حكومي، إنما بنص الدستور الفنلندي، مشيرًا إلى أن علاج التوسع الكمي في التعليم الجامعي بفنلندا وسنغافورة واليابان لم يكن عن طريق إلغاء المجانية، وإنما بإيجاد توازن عملي ورقمي وكمي بين أعداد من يتوجهون إلى التعليم الجامعي ومن يتوجهون إلى التعليم المهني. وأكد أنه بهذا التوازن وحده يمكن تجاوز أثر التوسع الكمي على نوعية التعليم الجامعي.

وتساءل عن وجود الإرادة السياسية والوعي الإداري لأهمية العمل على أعمدة التعليم الأساسية التي في رأيه تتمثل في الفلسفة التعليمية، والمقررات والبرامج الدراسية، والمدرس، والتلميذ وأخيرًا المكان الذي تتم فيه العملية التعليمية، وكذلك إدراك أنه ليست هناك حاجة إلى عمليات تجميل

وتحسين لصورة هذه الأعمدة، إنما هناك حاجة إلى عملية إحلال شاملة وكاملة لشيء آخر مختلف عما هو لدينا.

## التجربة التركية

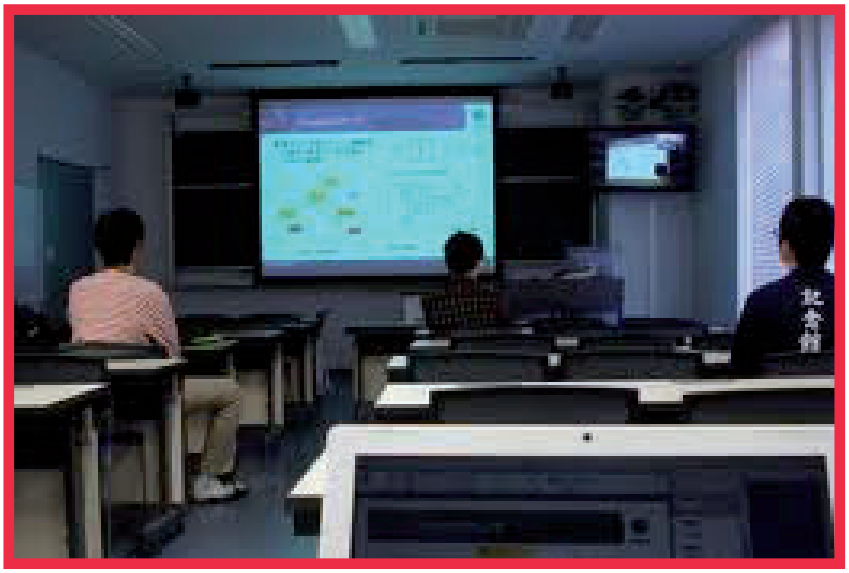
وإذا كانت النماذج الثلاثة لفنلندا وسنغافورة واليابان بعيدة عن الواقع العربي، فهناك نماذج أخرى يمكن محاكاتها عربيا، ومنها النموذج التركي الذي ظهر أخيرًا معلنا عن انطلاقه في تجربة تعليمية جديدة عرفت باسم «مشروع الفاتح» للانتقال إلى عالم التعليم الرقمي، وهذا ما قررته تركيا وأعلن عنه رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان عام ٢٠١١ استكمالا لحالة التدرج النهضوي في التعليم، والذي كانت مرحلته الأخيرة قبل إعلان هذا المشروع قيام الحكومة التركية بتوزيع الكتب المدرسية مجانًا على الطلاب.

حتى إن اختيار الاسم لم يبتعد عن ثقافة البلد التي من المفترض أن يعمل التعليم على ترسيخها بالأجيال فكان «مشروع الفاتح» نسبة إلى القائد «محمد الفاتح» أو محمد الثاني السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان، وهو فاتح القسطنطينية الذي حكم قرابة ٣٠ عامًا شهدت توسعًا كبيرًا للخلافة الإسلامية والمدارس والمعاهد التعليمية ونهضة في الشعر والأدب والترجمة والعمارة والبناء والجيش من الناحية العسكرية.

يقوم مشروع النهضة التعليمية التركية على فكرة

## تجربتا تركيا وماليزيا هما الأقرب إلى التطبيق عربيًّا

تقليل حمل الطالبِ الكتبَ من ناحية والانتقال إلى عالم التقنية من ناحية أخرى، حيث تقوم الحكومة بتوزيع حاسوب لوحي I Pad، متضمنًا برنامج الفاتح على ١٥ مليون طالب؛ ليتمكنوا من الحصول على جميع الكتب المدرسية من خلاله، إلى جانب تركيب ألواح ذكية بدلًا من السوداء في ٢٦٠ ألف صف مدرسي، ومن المتوقع أن يشمل المشروع ما يقرب من ٨١ ولاية تركية خلال الأربع سنوات المقبلة؛ ليكون بذلك أكبر مشروع استثماري في مجال التربية والتعليم التركية تقدر تكلفته بسبعة مليارات دولار.. ومن بين أهداف المشروع تعليم الطالب باستعمال التركيبات الإلكترونية والصوت والصورة والخرائط والرسوم البيانية والرسوم واللوحات من خلال ما أطلق عليه «كتاب – ز» الذي يحتوي على جميع احتياجات الطلاب من معلومات وأسئلة.



## التجربة الماليزية

وإلى ماليزيا، التي إذا ذكر اسمها ذكر مهاتير محمد، رئيس الوزراء الأسبق، الذي وجعل هدفه النهوض بالدولة وتغيير وجهها بالتركيز على ثلاثة محاور أساسية، هي: التعليم والتصنيع ويخدمهما المحور الاجتماعي.

وبحسب مقال نشره موقع «قصة الإسلام» بتاريخ ٣١ أكتوبر ٢٠١٠ بعنوان «مهاتير محمد.. صانع النهضة الماليزية» أكد أن اهتمام مهاتير بالتعليم تركز بشكل كبير على مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية، حيث جعلها جزءًا من النظام الاتحادي للتعليم، واشترط على جميع دور رياض الأطفال الالتزام بمنهج تعليمي مقرر من الوزارة يتضمن موادّ تُنمي المعاني الوطنية، وتعزّز روح الانتماء مع الوصول إلى المرحلة الابتدائية؛ لتصبح العملية التعليمية في المرحلة الثانوية شاملة يدرس فيها إلى جانب العلوم والآداب المجالات المهنية والفنية، مع الحرص على إنشاء كثير من معاهد التدريب المهني لاستيعاب طلاب المدارس الثانوية وتأهيلهم لدخول سوق العمل، خاصة في مجالات الهندسة الميكانيكية والكهربائية وتقنية البلاستيك ليواكب مرحلة التصنيع التي سارت جنبا إلى جنب مع المرحلة التعليمية.

كما قامت الحكومة الماليزية بوضع خطة شاملة في مجال التعليم كان من بين أهدافها إدخال الحاسب الآلي



وشبكة الإنترنت في كل مدرسة، وفي كل فصل دراسي حتى بلغت نسبة المدارس المرتبطة بالإنترنت عام ١٩٩٩ أكثر من ٩٠٪ وفي الفصول الدراسية بلغت ٤٥٪، كما قامت الحكومة بإنشاء «المدارس الذكية» التي تتوافر بها موادّ دراسية تساعد الطلاب على تطوير مهاراتهم من خلال موادّ متخصصة عن أنظمة التصنيع المتطورة وشبكات الاتصال ونظم استخدام الطاقة التي لا تحدث تلوثًا بالبيئة.

واعتمدت العملية التعليمية في ماليزيا على حاجات الطلاب وقدراتهم وهذا يحتم أن يكون مدير المدرسة من القيادات التربوية البارزة، ويعاونه فريق من الأساتذة ذوي القدرات المهنية الممتازة، على أن يكون للطلاب حق المشاركة في اختيار البرامج الدراسية، وفيه تحرص المدارس على التنويع والتطوير في أساليب التدريس ما بين رحلات علمية وترفيهية...

ويرجع نجاح التجربة الماليزية إلى تحديد الدولة الدقيق لأولوياتها، حيث وضعت التعليم والبحث العلمي على رأس أولوياتها، ومن ثم خصصت أكبر قسم من الميزانية لتدريب وتأهيل الحرفيين، والتربية والتعليم ومحو الأمية وتعليم اللغات والبحوث العلمية وإرسال عشرات الآلاف كبعثات للدراسة في أفضل الجامعات الأجنبية.

إلى جانب هذا، ابتدعت ماليزيا مشروعًا يتكامل مع أهداف النهضة التعليمية يعرف باسم «جي قاف» J-QAF، يهدف إلى بناء الشخصية الماليزية وصياغتها على هدى التعاليم الإسلامية ويقوم على أربعة أركان أساسية يرمز كل حرف من حروف البرنامج إلى أحد هذه الأركان: فحرف J يرمز إلى كتابة اللغة الملايوية وهي لغة ماليزيا الأصلية، وحرف Q يرمز إلى الاهتمام بتعليم القرآن الكريم وإحسان الصلة به وجعله منهجًا للحياة، بينما يرمز الحرف A إلى الاهتمام باللغة العربية؛ لأنها الوسيلة الأساسية لفهم القرآن الكريم، وأخيرًا يرمز الحرف F إلى الاهتمام بالعلوم الإسلامية الواجب معرفتها، على أن يبدأ هذا البرنامج من مرحلة التعليم الابتدائي وحتى نهاية التعليم الجامعي.

## التجربة الأوروبية

ولا تختلف التجربة الأوروبية كثيرًا من حيث وضع الأهداف الأساسية من التعليم، خاصة في الربط بين العلم والحياة، حيث يستعرض د.حسام بدراوي في كتابه «التعليم.. الفرصة للإنقاذ» التجربة التعليمية في أوروبا خاصة في التعليم العالي، موضحًا أن دول أوروبا حددت أربعة أغراض للتعليم العالي، وهي إعداد الطلبة لسوق العمل، وإعدادهم لتبوؤ مواقعهم في الحياة كمواطنين نشطاء داخل مجتمع ديمقراطي، والتأكيد على أهمية التنمية الشخصية، وتأسيس قاعدة عريضة من المعرفة المتطورة والحفاظ عليها.

وأوضح بدراوي الملامح الرئيسية لإطار عمل مؤهلات التعليم العالي في إنجلترا وويلز وأيرلندا الشمالية وتتمثل في اكتساب ثقة الجماهير في المعايير الأكاديمية، وتحقيق فهم جماهيري للإنجازات التي تمثلها مؤهلات التعليم العالي، وهو الأمر الذي تشارك فيه المملكة المتحدة باقي دول أوروبا، وهو التحدي الذي يواجه الدول العربية، خاصة في مصر -على حد قوله.

وتابع: إن أغراض إطار عمل مؤهلات التعليم في المملكة المتحدة تتحدد في تزويد جهات تقديم التعليم العالي، ومختبريها للخارجين بمرجعيات مهمة لوضع المعايير الأكاديمية وتقييمها، والمساعدة على تبيين مسارات التقدم المحتملة، خاصة في سياق التعليم مدى الحياة، وترويج فهم مشارك ومشترك للمتطلبات المقترنة بالمؤهلات التقليدية عن طريق تيسير استخدام مناسب لمسميات المؤهلات على مستوى قطاع التعليم العالي بأكمله.

# الأطباء ليسوا ملائكة!

د. عبدالرحمن عبداللطيف النمر

**في رأي «أبقراط» (أبو الطب الحديث) أن الطب أشرف مهنة يمتهنها الإنسان. وهذا الشرف لا يرجع إلى أن الطب «مهنة راقية» (بتعبير الوقت الحالي) ولكن مرجعه إلى أن الطب أقرب المهن إلى نفس الإنسان، وألصقها بتخفيف آلامه وتسكين أوجاعه، وإعادة السلامة إلى نفسه والعافية إلى بدنه. وفي «جمهورية أفلاطون»، ليس يسبق الاشتغالَ بطبابة الناس إلا الحكمُ بين الناس بالعدل. والمتعمق في هذا التعبير البليغ- على بساطته- يجده صحيح المنطق. فبالعدل تصلح أحوال الناس، وبالطب تستقيم أبدانهم!**

فهل طب اليوم هو ما عناه «أبقراط» وما ذهب إليه «أفلاطون»؟! الحق لا. وليس أدلَّ على ذلك من أن جمهور الناس- في شتى بقاع الأرض- لم يعد راضيا عن الخدمات الطبية المقدمة إليه، وأسلوب تقديمها إليه.

لماذا سخط الناس على الطب والأطباء؟! و لماذا تحول الطب من «مهنة شريفة» لها نبلها وقداستها إلى «مهنة راقية»؟! وأين الحق في هذه القضية؟ هل هو في جانب الجمهور أم في جانب الأطباء؟!

هذا ما نستعرضه في السطور التالية.

## عميل أم عبء

لا يجب أن ينخدع الإنسان بجبروت الماكينات والآلات التي يملأ طنينُها الآذان، والتي تملأ الإنسان زهْوًا بنفسه وإعجابا بقوته! ذلك أن الإنسان بحكم تكوينه «مخلوق ضعيف». وليس هذا الجبروت الزائف إلا قناعا يواري وراءه الإنسانُ ضعفَه وقلةَ حيلته!

يكفي أن تنغرز شوكة من سمكة في حلق إنسان، حتى يصرخ ويولول في ذعر وألم. ويكفي أن ينسكب قدح من ماء يغلي على جلد إنسان ليذوق ألما مضنيا ولذعا، قد يسكب الدمع من مآقي أكثر الرجال شجاعة وجَلَدًا واحتمالا. ويكفي أن يصاب الإنسان بنزلة برد تلزمه الفراش، حتى يشعر بالضعف والهزال، وينهار قناع الجبروت الذي يتوارى خلفه!



هذا الضعف الطبيعي الموجود في الإنسان بحكم تكوينه، يزداد ويتضاعف عندما يمرض الإنسان. والضعيف يحتاج إلى رحمة وعطف، ويحتاج إلى من يحنو عليه ويسكب السكينة في أنحاء نفسه الموجعة. وهذا ما يدفع الإنسان إلى طلب معونة الطبيب - فإنه يأمل أن يجد ملاكا يعيد إلى نفسه مفقود العافية والسكينة. فهل تتحقق دائما توقعات المريض؟

بعض الأطباء، إذا كان في عيادة خاصة، فإنه يستقبل «عميلا» (أو زبونا) ولا يستقبل «مريضا»! وبعض الأطباء عندما يكون في مستشفى، ويستقبل مريضا، فإنه يستقبل «عبئا» ولا يستقبل «مريضا»! وهذا التناقض الظاهر بين توقعات المريض، وبين الطريقة أو الأسلوب الذي يعامله به الطبيب، هو لب القضية وقلب المشكلة.

والمريض في هذا الموقف هو المحق. وهل يمكن أن يلام من يهاجمه لصٌ فيستنجدُ بالشرطة؟ أو هل يمكن أن يلام من يستنجد برجال الإطفاء عندما يشب في بيته حريق؟! ولكن الشرطة تلام إذا لم تنجد الملهوف، وكذا يلام رجال الإطفاء إذا لم يسعفوا المنكوب. كذلك لا يلام مريض لا يجد عند طبيبه من الرفق وسعة الصدر ما هو متوقع منه و مأمول.

على أن الأمور لا تقف عند حد صدام توقعات كل من المريض والطبيب. ولكنها تمضي خطوة أخرى، لتهدم جانبا جميلا آخر من جوانب هذه المهنة العظيمة. وهذه الخطوة الأخرى تنبع كذلك من ضعف المريض وحاجته إلى فهم طبيعة مرضه، وطريقة علاجه. ولكي يطمئن المريض فإنه

طبيب وكاتب علمي من مصر

## سهام النقد تتجه نحو الخدمات الطبية ولكن الطبيب بشر يجتهد فيصيب أو يخونه التوفيق

دائما يسأل: لماذا اختار الطبيب نوعا بعينه من العلاج؟

وطبيعي أن هذه الإيضاحات تحتاج إلى وقت وجهد من جانب الطبيب. وربما يتضاعف الوقت والجهد لطمأنة المريض، إذا كان المريض من أصحاب الهاجس وكثيري الشكوك. فإذا كان الطبيب في عيادته الخاصة، فقد يكون ملهوفا لاستقبال أكبر عدد من «العملاء»، فلا ينفق مع المريض الوقتَ الكافي للإيضاح وبث الطمأنينة. وقد يكون الطبيب من أصحاب «الفطنة التجارية» فينفق مع المريض ما شاء من وقت، ثم يحصل على أجر ذلك بطرق ملتوية!

أما إذا كان الطبيب في مستشفى، فالوقت أضيق من أن يتسع لرفاهية توضيح الأمور للمريض. والجهد أكبر من أن ينفق في القيام بدور الملاك. ونتيجة لذلك ينصرف الطبيب عن المريض، بعد أن يؤكد للمسكين في كلمات قليلة أنه «يعرف عمله»! والمؤكد أن المريض يعرف يقينا أن الطبيب يعرف عمله، وإلا ما أسلم نفسه له. ولكن هذه المعرفة من جانب المريض بأهلية الطبيب، لا تكفي لبعث الطمأنينة في نفس المريض- وهي جزء لا يتجزأ من العلاج.

ومرة ثانية، فلا لوم على المريض. ولا عجب- والحال كذلك- أن يوصف بعض أطباء المستشفيات ب «الغرور»، وأن يوصف بعض أطباء العيادة الخاصة بأنه «تاجر»!

### حيوانات تجارب

على صعيد آخر، ينبع سخط الناس على الطب والأطباء من الأوضاع القائمة في بعض المستشفيات. وأول بوادر السخط اضطرار المريض إلى الانتظار- إما إلى أن يحضر الطبيب المسؤول، أو إلى أن يحين دور المريض في الفحص. والانتظار عقيم في كل الأحوال. فكيف إذا كان الإنسان في حالة الضعف التي وصفنا سلفا؟!

فإذا استراح المريض من عناء الانتظار وقابل الطبيب، فإن المقابلة تسفر عن نتيجة من ثلاث: إما أن تكون حالة المريض هينة، ويفلح الطبيب في إقناعه بذلك، فينصرف المريض مستريحا. وإما أن تكون حالة المريض هينة ويخفق الطبيب في إقناع مريضه بذلك، فينصرف المريض ساخطا. وإما أن تستدعي حالةُ المريض الإقامةَ في المستشفى لبعض الوقت، فيتم إدخاله إلى أحد الأقسام. وهنا قد تبدأ رحلة جديدة للمريض، يتاح له من خلالها أن يتعرف بنفسه على غرور بعض الأطباء وتوانيهم، وإهمال نفر من هيئة التمريض وتراخيهم! وقد يكون المريض سعيد الطالع فلا يطول به المقام في هذه «الغربة النفسية».

أما إذا كان المريض عاثِرَ الحظ، فوقع في براثن مرض خطير يستلزم طول المقام في المستشفى، فغالبا ما يُعْتَبَرُ المريض من «أصحاب البيت»! وبذلك تسقط عنه «حقوق الضيافة». أي أنه- بتعبير آخر- قد لا يلقى سوى حظ يسير من الاهتمام أو الرعاية.

وهؤلاء الضحايا المساكين الذين يطول بهم المقام في المستشفى، يتجرعون غالبا أصنافا عديدة من الدواء، ويخضعون لأنواع عديدة من الفحص الطبي. وغني عن الذكر أن علة ذلك- من وجهة نظر الأطباء- هو التعجيل بشفاء المريض، وإعفائه من آلام المرض. ولكن الظن يذهب بالمريض إلى أنه أصبح حقلا لإجراء التجارب، سيما وأنه كثيرا ما يسمع عبارات مثل «هذا الدواء جديد»، أو «هذا العقار يستخدم لأول مرة»! وأحيانا يُطلب إلى المريض أن يوقع على وثيقة يُقِرُّ فيها أنه «بمحض اختياره الحر الكامل يقبل نوع العلاج الذى يعطى له، ويتحمل- دون أي مسؤولية قضائية تجاه الطبيب المعالج- أيَّ نتائجَ سلبيةٍ أو عكسية للعلاج»!

وطبيعي أن المريض ليس في موقف يسمح له بحرية الاختيار! وهل يختار الغريق نوع الخشب الذي يطفو به على سطح الماء، أو اسم الزورق الذي يحمله إلى الشاطئ؟! أليس المريض محقا في الاعتقاد أنه- رغم أنفه- حقلُ تجارب؟!

وفي بعض المستشفيات التعليمية الملحقة بكليات الطب، يحدث للمريض ما هو أدهى من ذلك. فهناك قد يتحول المريض إلى «لوحة إيضاح»! ولا بأس أن يكون المرض الذي يعاني منه مريضٌ بعينه، موضوعَ محاضرة علمية. ولكن تطبيق ذلك عمليا على المريض (خصوصا إذا كان المريض سيدة) مسألةٌ قد تنطوي على نوع من الاعتداء على آدمية المريض! أما إذا تعرض المريض قسرا لأن يكون «وسيلة إيضاح»، فليس وراء ذلك انتهاك لكرامة الإنسان!

وقد يقال إن الطلبة في كليات الطب لن يتعلموا شيئا، إذا لم يروا المرض على الطبيعة، ويفحصوا المريض بأنفسهم. وهذا قول صائب لا خلاف عليه. وإنما الخلاف على أسلوب تطبيق ذلك. وما لم يكن المريض



راضي النفس بأن يسهم بذلك القسط في تعليم أطباء جدد، فلا يجب أن ترغمه قوة في الأرض على ذلك. وحتى عندما يتطوع المريض بذلك عن نفس راضية، فيجب أن تكون الاستفادة من تطوعه محوطة بكثير من الرفق واحترام آدميته.

## الرأي الآخر

قد يوجد بين ضباط الشرطة من يتعاون مع مروجي المخدرات (كما في كولومبيا مثلا)، وقد يوجد بين القضاة من يرتشي ليبطل حقا أو ينصر باطلا، وقد يوجد بين الكتاب من يسرق مؤلفات الآخرين وينسبها إلى نفسه، وقد يوجد بين الصحفيين من يزيف الأنباء ويقلب الوقائع... باختصار يوجد في كل مهنة من يسيء إليها.

والمؤكد أن بين أطباء اليوم نفرًا يتاجر بآلام الناس، ومن يستخدم المهنة لبناء مجد شخصي أو تحقيق مكاسب فردية، ومن يسيء معاملة المرضى إلى حد لا يستحق معه أن يحمل اسم «طبيب» أو «حكيم».

والمؤكد كذلك أن هناك ممارسات كثيرة في بعض المستشفيات، تندرج تحت عنوان «عدم اللياقة» و «الخروج على أخلاقيات المهنة».

لكن- للإنصاف- فإن الأمور لا تصل إلى هذا الحد من السوء في كل الأحوال، ومع كل الأطباء، وفي سائر المستشفيات. ومعلوم يقينا أن مراعاة آداب مهنة بعينها مسألة شخصية بحتة، قبل أن تكون قضية «لوائح تنظيمية»، وقبل أن تكون مسألة يمين أو قسم أو خلافه. بمعنى أن الطبيب الذي يحترم مهنته، مثله مثل صاحب أي مهنة أخرى يوليها احترامه، إنما يفعل ذلك من منطلق معايير أخلاقية رفيعة يضعها لنفسه ويلتزم بها. وليس معنى ذلك أن يُتْرَكَ المريضُ تحت رحمة صدفة تقوده إلى طبيب «صاحب معايير أخلاقية»! وإنما معنى ذلك أن مهنة الطب- وربما غيرها من المهن كذلك- باتت في حاجة إلى نوع جديد من الإشراف والتوجيه لتصحيح المسار.

وكما يطالب البرلمان البريطاني هذه الأيام بوجود لجنة محايدة لبحث شكاوى الجمهور ضد الشرطة، فيجب أن تكون هناك لجنة مماثلة لبحث انتهاكات الأطباء، والاطلاع على أسلوب عملهم. وعلى الرغم من صعوبة تحقيق ذلك، نظرا لاختلاف طبيعة مهنة الطب عن مهنة الشرطة، ونظرا لأن لجان فحص الأعمال الطبية يجب أن تكون على إلمام بالمعارف الطبية وطرق تطبيقها، إلا أن ذلك لا يمنع بالمرة إعادة النظر فيما يجري اليوم باسم الطب.

وإلى أن يتم ذلك، وحتى لا يكون في إنصاف الجمهور غَبْنٌ لأطباءَ ما زالوا يحملون وسام المهنة على صدورهم في نبل ووقار، فلابد من إيضاح بعض الأمور.

في كثير من بقاع الأرض، يعمل الأطباء في ظل ظروف شاقة، وتحت ضغوط كبيرة، سواء في ذلك البلاد المتخلفة والمتقدمة. ففي مناطق كثيرة من العالم، يخصص طبيب واحد لكل ثلاثين ألف نسمة! وفي الهند- على سبيل المثال- حيث يوجد جيش من الأطباء، لا يزال يخصص طبيب واحد لكل ثلاثة آلاف نسمة! ومعنى ذلك أنه قد يطلب من الطبيب أن يفحص ما بين مائتين إلى ثلاثمائة حالة يوميا! وغني عن الذكر أن هذا وراء وُسْعِ البشر. ولا ينبغي أن يتوقع المريضُ «المثاليَةَ» من الطبيب في ظل تلك الظروف.

وفي البلاد المتقدمة، هناك ضغوط من نوع آخر. فهناك يلهث الطبيب وراء الماكينات والآلات والأجهزة التي يتم استحداثها كل يوم في حقل الطب. ويلهث الطبيب بين رفوف المكتبات وفي قاعات المؤتمرات، ليلم بالقدر اللازم من المعرفة الذي يمكنه من العمل فيما يسمى «الطب الآلي الحديث».

من جهة أخرى، فإن طبيعة عمل الطبيب تتطلب منه يقظة كاملة طول الوقت. فأدنى خطأ في تقرير جرعة دواء، قد يكون فيه حتف المريض. وهذه اليقظة الكاملة إنما تتحقق على حساب أعصاب الطبيب. وربما يكون مثيرا لدهشة القارئ أن يعلم أن أكثر ضحايا نزيف المخ هم من الأطباء!

وحين لا يتحقق الشفاء بدواء وصفه طبيب بعينه، فليس معنى ذلك أن الطبيب يجهل عمله، أو أنه لم يكن أمينا في اختيار الدواء. وإنما علة ذلك أن كيمياء الجسم البشري بالغة التعقيد. والدواء الذى شفى مريضا قد يكون وبالا على مريض آخر! فمثلا، قد تؤدي الأقراص المهدئة إلى زيادة الأرق والتوتر. وبينما يفيد «البنسلين» بعض المرضى، فقد يضر مريضا آخر! وهذه النتائج العكسية تعرف باسم «الاستجابة غير المتوقعة» «Idiosyncrasy» (أو الاستجابة الشاذة أو الاستجابة غير السوية) ولا دخل للطبيب فيها.

وتعقُّدُ كيمياء الجسم البشري هو السبب في وجود وابتكار بدائل دوائية كثيرة. وقد يكون الطبيب مضطرا إلى أن «يجرب» أكثر من دواء مع نفس المريض، قبل أن يصل كلاهما إلى النتيجة المطلوبة- وهي الشفاء. ولو مرض الطبيب نفسه، فقد يتعرض لذات التجربة بمحاولة أكثر من دواء.

ثم، قبل كل هذا وبعده، فإن الطبيب بشر مثله مثل سائر البشر، عنده أفراحه وأحزانه، متاعبه وآلامه. وكما يقضي نهاره- وربما ليله كذلك- يواسي المرضى ويأسو جراحهم، فإنه يحتاج إلى المواساة والعطف. وعبارة شكر رقيقة من المريض لطبيبه، هي كل ما يطمح إليه أي طبيب. لكن المؤسف أن بعض المرضى يتهاون في إبداء الشكر، وإظهار الامتنان. وبدلا من ذلك، قد يتطاول علي طبيبه ويحتدُّ عليه، وقد يسيء إليه بالقول أو بالفعل.

ليس الطبيب ساحرا يشفي الناس بعصا سحرية، ولا هو «بهلوانا» يضحك الناس ويدخل في قلوبهم المسرة، ولكنه بشر يجتهد فيصيب مرة، و قد يخونه التوفيق- عن غير عمد أو جهل- مرة. ولكي يستريح المريض ويريح، فيجب عليه عندما يذهب لمقابلة طبيب أن يتوقع أن يقابل «بشرا» وليس «ملاكا».

# من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

### ٦/٤٢/ع٨٤...الوقت الذي تشرع فيه العقيقة

**يوجد أب لعدد خمسة من الأولاد وخمس من البنات، ولم يذبح لهم عند الولادة، وقد حصل خلاف في ذلك، لأن البعض قال: يجوز أن يذبح عنهم الآن بعيرًا يجمعهم فيه، والبعض قال: لابد من أن يذبح عقيقة لكل مولود، فما هو الصواب في ذلك وفقكم الله؟**

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن أكثر العلماء على استحباب العقيقة وعدم وجوبها، وإن الوقت الذي تشرع فيه هو اليوم السابع، أو الرابع عشر، أو الحادي والعشرون من ولادة المولود، أما فعل العقيقة عن الكبير إن لم يعق عنه صغيرًا فلم يرد فيه شيء ولو فعل فهو حسن، لما فيه من التوسعة، ولكن لا يكون عقيقة. والله أعلم.

### ٤/١١٤/٨٠...الأضحية عن الميت

**هل تجوز الأضحية عن الميت؟ وعلى من تجب؟**

● أجابت اللجنة:

إن الأضحية غير واجبة، وهي عن الحي لا عن الميت إلاَّ إذا أوصى أن تضحى عنه في حدود ثلث تركته، أو اشترطها في وقفه، ومن ضحى عن الميت من غير وصية جاز. والله أعلم.

### ٣/٦٩/٧٩...القسم العسكري

**عرض على اللجنة كتاب جمعية خيرية وكتاب رئاسة الأركان العامة للجيش، والذي يطلب كل منهما إجابة اللجنة عن القسم العسكري الذي يؤديه الملتحقون بالتجنيد الإلزامي حيث يتضمن القسم عبارة «وبذمتي وبشرفي».**

**وقد أرفق بكتاب رئاسة الأركان العامة صيغة القسم المقترح لأخذ رأي اللجنة فيه ونصه:**

**«أقسم بالله العظيم. أقسم بالله العظيم. أقسم بالله العظيم. باعتباري عسكريًا في الجيش الكويتي، أن أكون وفيًا لدولة الكويت، أمينًا على حقوقها، مخلصًا لأميرها، مطيعًا لجميع الأوامر الحقة التي تصدر إلي من رؤسائي، منفذًا لها في البر والبحر والجوّ داخل وخارج البلاد، وأن أضع نفسي ومواهبي في خدمة الكويت، وأن أحمي علمها، وأحفظ استقلالها وسلامة أراضيها، معاديًا من يعاديها، مسالمًا من يسالمها، محافظًا على شرفي وسلاحي، لا أتركه قط حتى أذوق الموت، والله على ما أقول شهيد».**

● وبعد الاطلاع على الموضوع أجابت اللجنة بما يلي:

إن العبارة التي يتضمنها القسم وهي «وبذمتي وشرفي» مخالفة للوارد شرعًا، وهو ما ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «ألا من كان حالفًا فلا يحلف إلاَّ بالله» وما ورد في سنن الترمذي وأحمد أن النبي ﷺ قال: «إذا حلف أحدكم فليحلف بالله أو ليصمت».

كما ترى اللجنة اعتماد صيغة القسم العسكري المقترح. والله أعلم.

### ٣/٢٢/٧٨...تعمد الكذب في اليمين

**يسأل سائل عن امرأتين بين زوجيهما أمر يخفيانه عن الناس، فعرفت إحداهما بما بينهما، فأخبرت الأخرى، فشك زوجها أنها تعلم فاستحلفها هل قالت لها الأخرى شيئًا يتعلق بصديقه فلان؟ وكانت تعلم أنها إذا أخبرت بالحق فإنها تطلق هي والأخرى، وكان حلفها بالله وعلى المصحف، فماذا عليها؟**

● أجابت اللجنة:

إن هذه المرأة آثمة بحلف هذه اليمين الكاذبة، ولا يلزمها كفارة بل تستغفر الله وتتوب إليه. والله أعلم.

### ٣/٦٥/٧٩...كفارة اليمين

**سائل أخبر بأنه أوصل زوجته إلى سكن صديقاتها للزيارة وطلب منها أن لا تتأخر عليه لأنه ينتظرها خارج السكن، إلاَّ أنها تأخرت في الخروج، فغضب الزوج عليها فقال لها: والله العظيم إنك لن تأتي إلى هذا المسكن مرة أخرى، وبعد مرور عدة أيام علم الزوج أنها ذهبت لنفس السكن دون علمه ويسأل إن كان يلحقه شيء؟**

● أجابت اللجنة:

إن عليه كفارة اليمين، وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، وتختار اللجنة جواز إخراج القيمة، وهي خمسة دنانير، لكل مسكين نصف دينار. والله أعلم.

### ٥/١٧٣/٨١...العجز عن أداء النذر

**نذرت أن أصوم لله سنة كاملة متتابعة، إن شفى الله ولدي، والحمد لله شفي الولد، ولكني الآن لا أستطيع الصيام فماذا أفعل؟**

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن على السائلة أن تشرع في صيام سنتها، فإذا شق عليها مشقة زائدة أفطرت الأيام التي تزول بها المشقة، ثم تستأنف الصيام وهكذا حتى تتم السنة وهي: ٣٥٥ يومًا فإذا انتهت السنة قضت الأيام التي أفطرتها، فلو بدأت في أول محرم، فإذا جاء أول محرم التالي قضت كل ما أفطرته في تلك السنة، فإن فات التتابع وجب عليها كفارة يمين واحدة، لأنها اشترطت في يمينها التتابع وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم. والله أعلم.

### ٢/٤٦/ع٨٤...العجز عن أداء النذر

**رجل يقول: إني نذرت إن قضى الله كذا وكذا، وحقق ذلك؛ فنذر عليّ أن أكسو الكعبة.**

**وراتبه لا يزيد عن ٢٠٠ دينار كويتي وهو لا يعرف قيمة مصاريف كسوة الكعبة، فإن كان لا يستطيع بسبب عدم القدرة ماليًا فماذا يفعل؟**

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن المستفتي قد نذر ما لا يقدر على الوفاء به كما تعرف حالته المادية من سؤاله، ولذا عليه كفارة يمين وهي إطعام عشرة مساكين

من أوسط ما يطعم أهله أو كسوتهم، فإن كان غير مستطيع فعليه صيام ثلاثة أيام، واللجنة تنصح المستفتي عدم تكرار مثل هذا النذر. واللّه أعلم.

### ١٦/١/ع/٨٤ـ العجز عن أداء النذر

**سائل قال: إذا وفقني اللّه وحصلت على عمل لأذبحن بعيرًا ورأسين من الغنم مختلفة الألوان وعلى رأس كل شهر ذبيحة، وقد وفقني اللّه بعمل ولم أستطع أن أوفي بالنذر بسبب الدين الذي عليّ، فما يلزمني شرعًا؟**

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن على السائل أولًا سداد الدين الذي عليه، ثم بعد ذلك يوفي نذره متى قدر إذا كان عجزه لعارض يرجى زواله، أما إذا عجز عجزًا لا يرجى زواله فعليه أن يكفر كفارة يمين، علمًا بأنه يأثم بتأخير وفاء النذر حال استطاعته. واللّه أعلم.

### ٧٨/٣٨/٢ـ العجز عن الصوم المنذور

**نَذَر إن يسّر اللّه له عملًا أن يصوم يوم الخميس من كل أسبوع، وقد يسر اللّه له العمل وبدأ يصوم منذ ستة أشهر تقريبًا، ويقول: إن ظروف الجو الآن في الصيف ومشقة العمل تجعل الصيام صعبًا عليه، فهل يجوز أن يؤجل الصيام إلى وقت آخر؟**

● أجابت اللجنة:

إن الصيام إذا كان يضره ضررًا بالغًا جاز له أن يفطر ويقضي هذه الأيام في وقت آخر، وإن لم يكن الضرر بالغًا فلا يجوز له الإخلال بنذره، فإن أخل وأفطر ارتكب إثمًا، عليه أن يتوب منه، وعليه القضاء أيضا. واللّه أعلم.

### ٨٣/٣١/٤ـ اليمين الغموس

**ذكر سائل أنه طُلب للشهادة في واقعة اعتداء على أحد المسلمين، قال: وكنت حاضرًا هذه الواقعة، وقد دافعت عن ذلك الرجل، حيث لم يصب بأي إصابات إلاّ أن زجاج سيارته الخلفي قد تهشم. ولكن نظرًا لظروف معينة طلبت منه أن يعفو عن استدعائي لهذه الشهادة لظروف أخبرته بها ولكن أصر على ذلك. وكنت أعتقد في ذلك الوقت بأنني لو قلت الذي حدث أمام النيابة أن الشاب الذي اعتدى على هذا الرجل سيسجن، وبالتالي سوف أتضرر وأسرتي من ذلك الموضوع، فحلفت أمام النيابة بأنني لم أكن موجودًا ولم أرَ أحدًا، فما موقف هذا اليمين وجزاكم اللّه خيرًا؟.**

● أجابت اللجنة:

إن هذا إثم كبير ويمين غموس، وعلى السائل أن يستغفر اللّه عز وجل كثيرًا ويتصدق ويدعو لهذا الشخص بالخير، ولا تجب عليه الكفارة، فإن أخرجها فلا بأس. واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

### ١٧/٢/ع/٨٤ـ دفع الكفارة لنشر الدعوة الإسلامية

**هل يجوز دفع مال كفارة الإفطار في رمضان أو غيره وفوائد الربا لشخص دون معرفته بحرمة الربا، وذلك لتمويل الدعوة الإسلامية؟**

● أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز دفع مال الكفارات أو الفدية عن الإفطار في رمضان أو غيره في تمويل الدعوة الإسلامية إذا كان المنتفعون من هذه الأموال من الفقراء والمسلمين مع مراعاة إيصال مبلغ الكفارة الواحدة إلى العدد المطلوب في النصوص الشرعية.

أما أموال الفوائد الربوية فإن الأولوية في صرفها هي لمن هم في حالات الاضطرار والمجاعات كالمناطق المشار إليها في السؤال. واللّه أعلم.

## قرار مجمع فقهاء الشريعة بأميركا بشأن القروض الطلابية

### في الفترة من ٩ - ١٣ من شهر ذي القعدة ١٤٣٠ الموافق ٢٨ - ٣١ من شهر أكتوبر ٢٠٠٩ في مونتريال بكندا

● الأصل هو تحريم القروض الربوية، سواء أكانت قروضًا للطلاب أم لغيرهم، لدخولها في الربا الجلي الذي أجمع أهل العلم سلفًا وخلفًا على تحريمه، وينبغي استفراغ الوسع في طلب البدائل المشروعة قبل القفز إلى التعلل بالضرورات والحاجات.

● وفي عالم الجامعات في الغرب توجد منح دراسية للنابغين، ولغير القادرين، بالإضافة إلى فرص عمل جزئية تمكن من الجمع بين الدراسة والعمل، وتقي من الوقوع في هذه القروض، كما قد توجد قروض حسنة تتكفل الدولة بدفع فوائدها إذا تمكن الطالب من سداد كل ما عليه خلال ستّة أشهر من تخرجه، أو منح من بعض الشركات والهيئات مقابل عقود للعمل معها بعد التخرج، فينبغي استفراغ الوسع في ذلك كله.

● إذا انعدمت كل هذه البدائل، وتعينت القروض الربوية سبيلًا وحيدًا لتيسير التعليم الجامعي دوامًا أو ابتداءً، أو سبيلًا لتأمين حاجة الجاليات المسلمة مما لا غنى عنه من الحرف والصناعات، عد ذلك ضرورة ترفع إثم الربا وإن بقي حكم التحريم، شريطة أن يكون المضطر غير باغ ولا عاد، وذلك بأن تقدر الضرورة بقدرها، مع دوام الحرص على التماس البدائل المشروعة، والخروج من هذه القروض الربوية عند أول القدرة على ذلك تخفيفًا للفائدة الربوية ما أمكن، ونؤكد على ضرورة الرجوع إلى أهل الفتوى في تقدير هذه الحاجات والضرورات، وأنه لا ينبغي لأحد أن يعول على نفسه في ذلك، أو أن يقيس حاجاته على حاجات الآخرين.

إعداد: هيفاء حسن

# أجسام غامضة تحت مياه بحر البلطيق

عثر عدد من الباحثين عن الكنوز في البحار على تكوينٍ غريب ظهر عبر شاشات الرادار خلال مسح مياه البلطيق بحثًا عن حطام السفن القديمة، ويظهر التكوين على شكل أسطواني يشبه القرص بقطر يصل إلى ستين مترًا، ويتبعه ذيل بطول يتجاوز ٤٠٠ متر، غير أن الأمر الأغرب تمثل في اكتشاف جسم آخر مماثل على بعد ٢٠٠ متر.

وقال أفراد الفريق الذي أنجز الاكتشاف إنهم على ثقة بأنهم حققوا «اكتشاف العمر»، ولم يبق أمامهم إلا معرفة حقيقة ما أظهرته الشاشات من خلال القيام برحلة استكشافية تحت المياه خلال الأشهر القليلة المقبلة.

وذكر قائد الفريق والغواص المتخصص أن الاكتشاف جرى في نقطة تقع بين فنلندا والسويد، وتم من خلال مسح كانت تجريه كاميرات الفريق لقاع البحر بحثًا عن حطام المراكب القديمة. وأضاف ليندبرغ: «أعمل في هذا المجال منذ عقدين ولم يسبق



لي رؤية شيء مثل هذا... ولدى مشاهدتي لهذه الأشكال تحت المياه قلت لفريقي إننا قد عثرنا على سفن فضائية».

## تطبيقات عملية لأشعة الشمس

يحاول العلماء الاستفادة من الطاقة الشمسية في عدة تطبيقات عملية، فقد أفاد باحثون في جامعة لندن أن جدري الماء أقل انتشارًا في المناطق التي ترتفع فيها معدلات الأشعة ما فوق البنفسجية وأضاف الباحثون أن الأشعة الشمسية قد تعطل نشاط الفيروسات على الجلد ما يصعب عملية انتقالها، ومن جانب آخر احتفلت أخيرًا قرية تينا في سويسرا بتدشين أول مصعد معلق (تليفريك) في العالم يعمل بالطاقة الشمسية على مسافة ٤٥٠ مترًا وسيكون مخصصًا لنقل هواة التزلج إلى مرتفعات وادي «سافيان» وإمداد القرية بالطاقة.




## الذكاء والجينات

اكتشف الباحثون في جامعة «ادينبورغ»، عبر استخدام تحليل جيني واختبارات ذكاء لدى أشخاص بمرحلة الطفولة ولاحقًا بمرحلة الشيخوخة، أن العوامل الجينية والبيئية معًا تلعب دورًا في ما إن كان الشخص سيحافظ على معدل ذكائه خلال حياته.

وقال الباحثون، قدرنا أن قرابة ربع التغييرات في اختبارات الذكاء خلال فترة الحياة قد تكون بسبب عوامل جينية، وقد استخدم العلماء خلال الدراسة بيانات جينية تتعلق بـ ١٩٤٠ شخصًا غير أقارب من أسكتلندا، بالإضافة إلى معلومات بشأن اختبارات ذكاء أجريت لمن شملتهم الدراسة عندما كانوا في سن الطفولة، وبعدها في سن الـ ٥٤ و٦٨ و٧٠ و٧٩.

ونظر الباحثون بشكل خاص باختلافات في جزء من الحمض النووي يدعى SNP، ارتبطت بتراجع ذكاء الأشخاص أو الحفاظ على مستواه مدى الحياة.

واستطاعوا تقييم المساهمة الجينية بالاختلافات المتعلقة بالذكاء بين فترة الطفولة والشيخوخة، لدى نفس الأشخاص.

وفي الوقت نفسه وجدت دراسة هولندية جديدة أن بعض الخلل الجيني في كروموزومات الرجال قد يكون مرتبطًا بالإعاقات الفكرية في ذريتهم خصوصًا إن أصبح الرجل أبًا في وقت متأخر من حياته.

# البحر الميت ٤٢٦م تحت منسوب سطح البحر

قال فريق دولي من العلماء إن البحر الميت جف تقريبا قبل نحو ١٢٥ ألف سنة بسبب فترة من الجدب.

ووفق العينات التي حصل عليها فريق من العلماء من أكثر من دولة، من خلال المثاقيب المتخصصة تأكد ذلك. ويساور العلماء قلق شديد إزاء تراجع منسوب البحر الميت، أكثر بحار العالم انخفاضا عن سطح الأرض.

وعثر الباحثون على عمق نحو ٢٥٠ مترا تحت سطح البحر على تكلسات ملحية صلبة، رأوا أنها دليل على عصر اختفى فيه البحر تقريبا. كما عثر الباحثون على طبقات أرضية طينية تدل على عصر تلا هذه الفترة، وكان أكثر مياها.

وقال الباحثون إن منسوب مياه البحر الميت يبلغ حاليا ٤٢٦ مترا تحت منسوب سطح البحر العادي.

يشار إلى أن البحر الميت يحصل على مياهه من نهر الأردن، وأنه ليس متصلا ببحار أخرى، وأنه يفقد مياهه بالتبخر فقط.

# ذاكرة عملاقة!!

نجح علماء من أميركا وألمانيا في صناعة أصغر ذاكرة بيانات مغناطيسية عرفها العالم حتى الآن.

ولا تزيد مساحة البايت الواحد على هذه الذاكرة على ١٢ ذرة حديد وبذلك تصل كثافة التخزين إلى نحو ١٠٠ ضعف الأقراص الصلبة المعروفة حاليا، حسبما أكدت جمعية ماكس بلانك الألمانية أمس في هامبورغ، التي أوضحت أن السعة التخزينية لهذا النوع الجديد من الذاكرة المغناطيسية تصل لكثافة تخزين البيانات نفسها التي يمتلكها الحمض النووي للإنسان.

ومشيرا لهذا الإنجاز، قال سيباستيان لوت، الباحث في جمعية ماكس بلانك: «في ضوء التوجه للتصغير في الصناعات الإلكترونية فقد أردنا أن نعرف ما إذا كان من الممكن الوصول بهذا التصغير إلى حجم بعض الذرات».

وأشار لوت إلى أن السر الذي بنى عليه العلماء هذه الفكرة الجديدة هو اعتمادهم على ما يعرف بالمغناطيسية الحديدية المضادة التي كان العلماء يعتقدون أنها غير صالحة لحفظ البيانات.

غير أن هذه الذاكرة العملاقة لا تصنع إلا تحت ظروف خاصة وفي درجة حرارة ٢٦٨ درجة مئوية، بالإضافة إلى أن هيكله يصنع ذرة ذرة وهو شيء غير ممكن إلا باستخدام ما يعرف بمجهر مسح نفقي حسبما أوضح لوت.

# سرقة الأنهار الجليدية

تواجه الأنهار الجليدية خطرًا كبيرًا بفعل التغيرات المناخية، لكن تهديدًا جديدًا بات يواجهها حاليًا وهو السّرقة!

فقد أظهر تقرير للأمم المتحدة أن عصابات إجرامية باتت تهدد الأنهار الجليدية في العالم، وأعطى مثالا على ذلك بالموجودة في تشيلي، حيث تحقق الشرطة بسرقة خمسة أطنان ونصف الطن من الثلج البالغ عمره آلاف السنين من نهر جورج مونت الجليدي، وقالت هيئة الإستراتيجية الدولية من مخاطر الكوارث التابعة للأمم المتحدة، في بيان إن الإستخراج غير الشرعي للثلج، قد يسبب تهديدًا كبيرًا إضافيًا لنهر جليدي مساحته ١٧٥ ميلًا مربعًا، وهو جزء من حقل جليد جنوب باتاغونيا البالغة مساحته ٥ آلاف ميل مربع، وهو ثالث أكبر نهر جليدي في العالم، وأشار البيان إلى أن نهر جورج مونت الجليدي ينصهر بمعدل كيلومتر واحد في السنة، ما يجعله أكثر المؤشرات تعبيرًا عن الاحتباس الحراري

# من هنا وهناك!

■ توصل اللبناني عمر خالد المصري، إلى اختراع يتيح استعمال المياه وقودًا مساعدًا للسيارات، وطبق اختراعه على سيارته وهي من نوع «شيفروليه».

■ عرضت سيارة كهربائية صغيرة قابلة للطي أنتجتها مجموعة شركات في منطقة الباسك الإسبانية على المفوضية الأوروبية لتكون نموذج سيارة معتمدة للمدينة غير ملوثة بتاتًا.

■ قال الممثل البريطاني «ليام نيسون» إنه يفكر في اعتناق الدين الإسلامي بعد أن تأثر بصوت الأذان خلال تصويره لفيلم في إسطنبول.

■ ظل خطاط أفغاني يعمل طوال خمسة أعوام، لينتهي من خط أكبر مصحف في العالم، حيث يبلغ طول أوراقه ٢,٢٨م، وعرضها ١,٥٥م، ويبلغ وزنه ٥٠٠ كيلوغرام، وعدد صفحاته ٢١٨ صفحة، وهي مكونة من الورق والقماش، أما الغلاف فهو مصنوع من جلد الماعز، ومزخرف بنقوش بارزة، وبلغت تكلفته نصف مليون دولار.

■ لم يعد التحكم بالتلفاز صوتيًا أو بحركة يد أو حتى تحديث صفحة إنترنت بنظرة، من ضروب الخيال، إذ يبزغ مستقبل جديد مع واجهات إلكترونية جديدة لا تحتاج إلى مفاتيح ولا إلى لوحة مفاتيح ولا إلى فأرة كمبيوتر.




إعداد: التحرير

# خطر مجلات العنف والعدوانية على الطفولة العربية

«الغاية تبرر الوسيلة».. مبدأ لا أخلاقي غير مقنع: إن العديد من المسؤولين عن مجلات الأطفال العربية يتبعون أساليب ووسائل ملتوية وغير أخلاقية من أجل الترويج لمطبوعاتهم وبيعها للأطفال.

فهم يلجأون إلى تقديم ونشر العنف (أقوال- صور- رسوم) عن سبق إصرار وترصد قصد جذب الأطفال والناشئة لقراءة ومطالعة مطبوعاتهم ومجلاتهم ونشراتهم وتحقيق أكبر قدر ممكن من المبيعات والأرباح المادية، وبالتالي فإنهم لا يعيرون أي اهتمام للتأثيرات السلبية النفسية الخطيرة الناجمة عن تقديم العنف بكل صوره وأشكاله ماداموا يؤمنون بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة والتي تتمثل في نشر مواضيع وقضايا وقصص وصور ورسوم العدوانية والعنف بمجلاتهم لتحقيق أهداف وغايات غير نبيلة كالشهرة والنجومية والربح المالي السريع والاغتناء الفاحش.

وأمام هذه المبررات والأعذار الواهية وغير الأخلاقية التي يتذرع بها المسؤولون والمشرفون على مجلات الأطفال فإنهم يتحملون المسؤولية الكاملة في الدفع بالناشئة إلى عالم الانحراف والضياع الديني والأخلاقي والفكري والسلوكي وخاصة الجنوح نحو ممارسة كل أصناف العدوانية والعنف والاعتداء بالبيت والمدرسة والشارع تجاه إخوانهم وأصدقائهم وزملائهم الصغار وبفضل التأثير السلبي والمحاكاة والتقليد الأعمى لمضامين ومحتويات القصص والحكايات الدرامية والمضللة ومحاكاتهم للأحداث الدامية والوقائع الخطيرة التي يقرأونها ويتابعونها بحب وشغف كبيرين واهتمام وإعجاب شديد.

# الصندوق الأسود

لاشك أن جل من سيطالعون العنوان، سينصرف تفكيرهم إلى حوادث الطائرات المؤلمة وما ينجم عنها من خسائر بشرية، فهناك تلازم بين المعنى والمبنى لا يفارق الأذهان لكن لم لا نوجد تلاقحًا للمعاني المترادفة لذات الألفاظ ومن ثم نخرجها من دائرة الاستعمال المحدود، وهو من البلاغة في شيء.

فإن كان الصندوق الأسود هو خزينة الأسرار الضرورية والبالغة الأهمية فإن حياة البشر، كل البشر، لا تخلو من العديد من الأسرار التي ينبغي أن تطويها الصدور حينا من الدهر، بل منها ما يجب قبره مع صاحبه، ولله در من قال:

**ومستودعي سرًا تضمنت سره**
**فأودعته في مستقر الحشا قبرا**
**وما السر في قلبي كميت بحفرة**
**لأني أرى المدفون ينتظر النشرا**

وبعيدا عن الأسرار الحياتية الخاصة، فهناك الأسرار الحربية، والتي تتعلق بعتاد الجيوش وخططها الحربية، والتي يجب حفظها في صدور الرجال الأكفاء، حتى ليعد إفشاؤها خيانة كبرى تصل العقوبة فيها إلى الإعدام، إذ أن تلكم الأسرار من الأهمية بمكان للإخفاء والتمويه عن الأعداء، ومن ثم فإفشاؤها ينجم عنه أخطار جسام تضر بالمصالح العليا للبلاد، وهنا تبدو أهمية فضيلة كتمان السر في تحقيق النصر والظفر في الحروب.

والكتمان والستر من الفضائل التي حثت عليها السنة النبوية الشريفة، ففي حديث أبي هريرة «لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» (رواه مسلم)، وفي حديث آخر «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» (متفق عليه).

ومن مطويات الصندوق الأسود البشري والتي يجب عدم إفشائها البتة، ما يرتبط بالعلاقة الزوجية وأسرارها يقول المصطفى ﷺ «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها» (رواه مسلم)، والسعي لقضاء حوائج البشر يتطلب قدرًا من الكتمان فهو خليق بالنجاح وفي الأثر «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود».

ويقول الإمام علي: «سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره»، وقد يكون أمناء الأسرار أقل وجودًا من أمناء الأموال، فحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار كما أن حمل الأسرار أثقل من حمل الأموال.

وهناك فصيل من البشر لا يعرف شيئًا اسمه الكتمان،



إن الدور الخطير الذي تقوم به المجلات العربية الخاصة بالأطفال الذي يتمثل في تعليم وتلقين الأبناء والناشئة كل مظاهر العنف والعدوانية ونشر القصص والحكايات والصور والرسم واللقطات الدرامية والكاريكاتير وغيرها يحتم على القائمين والمشرفين والمسؤولين على هذه المنابر الإعلامية المكتوبة والمقروءة مع بقية المسؤولين عنها من إداريين ومحررين وكتاب ومصورين ورسامين وغيرهم الرجوع إلى الحق وجادة الصواب والتوبة إلى الله وذلك بالكف والتوقف عن الأفعال غير الأخلاقية الخطيرة التي يرتكبونها في حق الأطفال الصغار وفي المقابل يجب عليهم إعطاء وتقديم بدائل حقيقية وواقعية وكتابة حكايات وقصص ووقائع ورسوم وصور حية من الواقع تنفعهم في دينهم ودراستهم ودنياهم وأخراهم.

إن مسؤولية المجتمع الإسلامي المعاصر تجاه الأطفال جسيمة خصوصًا المسؤولين عن البيت والمدرسة والمكتبات ودور الثقافة ووسائل الإعلام المختلفة، فمن واجب هؤلاء جميعًا نصح وتوجيه الأطفال نحو القراءات الجادة الهادفة التي تفيدهم وتنفعهم في كل شيء خاصة تلك التي تتميز بالأصالة والجدة والموضوعية ثم الانفتاح على الواقع والمعاصرة.

إن قضية تعليم وتربية الطفولة العربية مسؤولية جسيمة وخطيرة في نظر الشرع الإسلامي الحنيف، والتفريط في هذا الواجب تترتب عليه عواقب وخيمة في حياة الأطفال من جميع النواحي الاجتماعية والأخلاقية والتربوية والنفسية والصحية وغيرها، وكما جاء في الحديث النبوي الشريف يقول الرسول ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (رواه ابن حبان)

**عمر بن إدريس الرماش**

فإذا تكلم أفشى سره وسر غيره، وألقى في أفواه الرجال، وأفاض بما ينبغي أن يكون خفيًا لا يألو بالًا لعواقب، فكل شيء في جعبته مذاع، وهذا الصنف قد يمتد ضرره للآخرين ولو بحسن نية.

ومن العجيب أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها وأحفظ وأما إن كثرت خزائن الأسرار كان ذلك لها أضيع، وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مأربه.

والثرثرة والحديث عن الآخرين هما أحد أسباب إفشاء الأسرار، ناهيك عما ينجم عنها من معاص كالغيبة والنميمة وهما من أشد الذنوب التي نهى المولى سبحانه وتعالى عنها، وتؤكد إحدى الدراسات الأميركية أن ٥٠ في المائة من الأحاديث بين الناس تتعلق بالآخرين، كما أن المرأة أكثر قابلية لإفشاء الأسرار من الرجل حيث إن المرأة تتكلم يوميًا بمعدل يصل لضعف كلام الرجال ويزيد، ويعد إفشاء الأسرار جريمة في مختلف الثقافات الشعبية في العالم، ففي بريطانيا يعد من أعظم الخطايا، ويعتبر كقتل الوالد في فرنسا، أما في ألمانيا فيعد كقتل الأطفال بالاستغلال الجسدي.

لكن هناك من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق أو استشارة ناصح أمين، وهنا يجب تحري الدقة في اختيار من يودع السر لكتمانه، فليس كل من كان على الأموال أمينا كان على الأسرار مؤتمنًا، والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار، فالرجل قد يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم الأسرار، وإن الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب فإن أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره كأنما ألقى عن نفسه حملًا ثقيلًا، كما قال الإمام علي رضي الله عنه.

ومما لاشك فيه أن كتمان الأسرار من أهم عوامل زرع الثقة بين الناس، كما أنها تكسب صاحبها احترام الآخرين له، وقيل: كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها لا خير في إنسان لا يمسك سره ولله در من قال:

**إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثا**
**فبعه ولو بكف من رماد**
**وفاء للصديق وبذل مال**
**وكتمان السرائر في الفؤاد**

فما أحوجنا إلى فضيلة حفظ السر، حتى نرتقي ونحوز ثقة الآخرين وما أحوجنا إلى تعليم الناشئة تلك الفضيلة حتى يشبوا رجالًا وقد جبلوا على حفظ السر، ومن هنا تكون مجتمعاتنا أكثر رقيًا بضميمة تلك الفضيلة إلى فضائل أخرى، كالصدق والعدل والأمانة والإخلاص والإيثار والتراحم وغيرها.

**محمود علي محمد**



# ورفعنا لك ذكرك

جعل الله عز وجل ذكره دائما في كل وقت، وعلى كل حال، وجعل كل ما يحيط بنا يذكرنا بعظمته وجلال قدرته سبحانه وتعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ (البقرة: ١١٧)، وجعل الله تعالى شيئا من هذا الذكر لأنبيائه ورسله الدعاة إلى سبيله، وجعل أعظمهم ذكرًا هو أعظمهم قدرًا نبيه الخاتم محمدا ﷺ فقال عز وجل: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ (الشرح: ٤)، في آية من سورة الشرح تتلى إلى يوم الدين، ورفع الله ذكر نبيه ليبين أنه لا سبيل إليه إلا عن طريق واحد هو طريق محمد ﷺ فمن أراد الوصول إلى رضاه وتحقيق تقواه فعليه أن يتبع صراط محمد وسنته قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)، ولهذا كان المدخل إلى الإسلام يتضمن إقرارين: إقرار بأن لا إله إلا الله وإقرار بأن محمدا رسول الله، بل جعل الله ذكر محمد ﷺ مقرونا بذكره في كل أذان يشق كل سماء في كل بقاع الأرض ليس مرة في اليوم وإنما خمس مرات في اليوم والليلة، قال شاعر الرسول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

**وضم الإله اسم النبي إلى اسمه**
**إذا قال - في الخمس - المؤذنُ أشهد**
**وشق له من اسمه ليعزه**
**فذو العرش محمود وهذا محمد**

وقد رفع الله ذكر نبيه فجعله معروفًا مذكورًا عند جميع الأنبياء السابقين قبل أن يأتي زمانه وقبل أن تشرق شمس نبوته ورسالته بل أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به ويصدقوه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ١١)، وقد نطقت كل الكتب السماوية بذكره والتبشير به فكان ذكره مرفوعا عند كل الأمم السابقة ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٦) ففي التوراة يروي البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «وجدت في التوراة في صفة النبي ﷺ يقول الله سبحانه وتعالى: «يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، ويفتح عيونا عُميا، وآذانا صُما، وقلوبا غلفا بأن يقولوا: لا إله إلا الله» (البخاري).

وفي الإنجيل جاء فيه: «أَنطلق لأني إن لم أَنطلق لم يأتكم «البارقليط» فأما إن انطلقت أرسلته أليكم فإذا جاء، ذاك الذي يوبخ العالم على خطي» فهذه بشارة متكاملة بالنبي وقد قال ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى عليهما السلام».

وقبل بعثته ﷺ رفع الله ذكره فكانت جميع الكائنات تعرفه كان السحاب يظله بإذن الله وهو صبي في رحلته مع عمه في الشام، وكان بمكة حجر يسلم عليه (صحيح مسلم)، وكان مشهورًا بمكة بأعظم وصفين: الصادق الأمين، ولما جاءت الرسالة ونزل الوحي صار أبخل البخلاء من ذكر عنده الرسول ﷺ ولم يصل عليه (مسند أحمد)، وجاء الأمر بالصلاة على النبي ﷺ في كتاب الله بسياق مختلف عن كل أمْر أمَر الله به، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٦)، فبدأ الله تعالى بنفسه مصليًا ثم ملائكته ثم أمر بذلك عباده المؤمنين ليكون ذكره ﷺ عاليا في الملأ الأعلى ثم في الملأ الأدنى، كما جعل الله تعالى هذا الذكر المرفوع منوعًا بين صلاة الله وهي ثناء حسن، وبين صلاة الملائكة وهي دعاء واستغفار، وبين صلاة عباد الله المؤمنين وهي تعظيم وذكر (تفسير ابن كثير)، فشمل ذكره ﷺ العالمين لأنه خير من أخلص لله العبادة والقربى.

ورفع الله تعالى ذكر نبيه ﷺ في الآخرة فهو صاحب الشفاعة العظمى ليقضي الله بين الخلائق بعدما طال الموقف وشق الأمر على الناس حين يذهبون إليه بعد اعتذار جميع الأنبياء أن يشفعوا عند الله أن يقام الحساب فيأتون محمدا ﷺ ليشفع عند الله تعالى فيقول: «أنا لها أنا لها» فيكون هو وأمته أول من يقضى لهم قبل جميع الخلائق: قال ﷺ: «نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق» (رواه مسلم).

ويكون محمد ﷺ أول بشر يدخل الجنة، قال ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» ورفع الله أجر ذكره ﷺ، فجعل من صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى عليه عشرا صلى الله عليه بها مائة.

وجعل الله عز وجل لكل من سلك طريق محمد ﷺ ذكرا في الدنيا والآخرة: لهم البشرى في الحياة الدنيا ونصرتهم لشريعته، ودعوتهم إلى طريقته، وكذلك الحال مع التابعين وتابعيهم بإحسان نترحم عليهم ونحبهم ونذكرهم بخير لأنهم ساروا مخلصين على طريق النبوة المحمدية.

وعلى الجانب الآخر عاقب الله كل من خالف نهج محمد بأن

قطع ذكره، ومحا أثره في الآخرة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)، وإن تبقى لبعض هؤلاء الأراذل ذكر في الدنيا فإنما يكون ذكرهم بين من هم على شاكلتهم؛ أسافل البشر وأخباث الخلق، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣)، أي إن مبغضك يا محمد هو المقطوع ذكره عن كل خير، وببغضه لك وذكره لك بما أنت بريء منه يبغضه جميع الخلق، ولهذا تبوء جميع محاولات المسيئين للنبي ﷺ بالفشل الذريع ويعود السباب الباطل وبالا على صاحبه فلا يضر السحاب نباح الكلاب.

وأختم هذا الكلام المعطر بذكر خير البشر بكلام أحد أصحاب العقول المنصفة من بلاد طالما أساءت وتعصبت ضد نبي الإسلام، يقول الكاتب البريطاني المعروف «توماس كارلايل» في كتابه «الأبطال» : «من العار أن يصغي أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بأن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا لم يكن على حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجًا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة أو خديعة مخادع؟ لو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج لأصبحت الحياة سخفًا وعبثًا وكان الأجدر بها ألا توجد».

**أشرف المنسي محمد**

## تيه أم خلل في الذاكرة؟

ينبغي أن يعرف أن مشارب الناس متنوعة وعقولهم مختلفة وأفكارهم متعددة وهذه هي الحياة بحلوها ومرها، وقديمًا قال أحدهم:

**تعشقتها شمطاء شاب وليدُها**

**وللناس فيما يعشقون مذاهب**

وكل ميسر لما خلق له وهذه هي إرادة الله الذي أراد أن تحمل الحياة بين جنبيها التنوع والتعدد ويكون على ظهرها الخبيث والطيب والحق والباطل والحلال والحرام والإنسان بعد ذلك مختار والبشر لهم الحرية في أي طريق يسيرون وأي وجه يقصدون فالبعض يريدها هادئة كريمة وآخر يحبها فتنة وصراعات وثالث يعشقها صحة وقوة وآخر يحب الفخر والتعالي والآخر يحب التواضع وخفض الجناح، وقد يكون هذا التنوع وهذا التوجه ناتج عن أمزجة وميول فيذهب كل فصيل إلى إلفه أو إلى طبعه والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف، وقد يكون الاختلاف ناتج عن انفصام في الشخصية أو انحراف في النفسية ويتعدى إلى الغير فهذا هو الأخطر الذي يحتاج إلى الالتفات والتقويم أو المقاومة والدفع في الحياة، وقد خلق الله لنا العقول والأفهام لتميز الخبيث من الطيب ونعرف الصالح من الطالح ونكتشف الطريق المستقيم من المعوج حتى لا تنحرف البوصلة وتضيع الجادة ويتحطم المجداف، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: الميل إلى الأقوال الباطلة ليس من شأن أهل الحق الذين لهم إدراك وقوة فهم وفضل دراية وصحة رواية بل ذلك دأب من ليس له بصيرة نافذة ولا معرفة نافعة ويتحتم مقاومة ذلك إذا تحققت في الباطل أمور منها:

١- إذا عادى الباطل أهل الحق وحاربهم والمعروف أن أهل الباطل على اختلاف ألوانهم وفئاتهم يحاربون الحق وأهله ويكيدون لهم، وصدق القائل:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها

عند التقلب في أنيابها العطب

وقد يلبس الباطل جلود الحق بتزيين الألفاظ وزخرفة الأقوال، وتنميق العبارات.

**في زخرف القول تزيين لباطله**

**والحق قد يعتريه سوء تعبير**

**تقول هذا مجاج النحل تمدحه**

**وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير**

مدحًا وقدحًا وما جاوزت وصفهما

والحق قد يعتريه سوء تعبير

٢- إذا تسلح الباطل وتغول وتمرس بعدة وعتاد وقهر الناس واستحل بيضتهم وأجبرهم على ما يريد.

٣- إذا حارب الهوية وعادى الإسلام وأهله وقتل دعاته وصادق أعداءه.. ومقاومة الحق للباطل لابد لها من رجل وعدة وعزم ومن ذلك قول العرب في أمثالهم:

**تعوي الذئاب على من لا كلاب له**

**وتتقي صولة المستنفر الحامي**

وقولهم: ذل من لا سيف له وقد يتوقى السيف وهو في غمده وقد يجبن الشجاع بلا سلام، واستكمال العدة آكد في النصر وأبلغ في الفوز، هذا وغيره من الأمثال العربية في تراثنا العظيم الذي تنكبناه ولم نلتفت إليه وصرنا أضحوكة ومتاعًا وطعاما للآكلين ومرتعًا للظالمين حتى من بني جلدتنا.

**محمد السيد عامر**

إعداد: التحرير

## خير ما يرزق العبد

قال ملك لأحد وزرائه يمتحنه: ما خير ما يرزق العبد؟

قال: عقل يعيش به، قال: فإن عدمه؟، قال: فأدب يتحلى به، قال: فإن عدمه؟، قال: فمال يستره، قال: فإن عدمه؟، قال: فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد.

«كشكول ابن عقيل، ص:٨٨»

## نصيحة من ذهب

عندما خرج أسد بن الفرات في عشرة آلاف مقاتل إلى ثغر سوسة ليغزو جزيرة صقلية، خرج الأمير وأهل العلم وأعيان الأمَّة لتوديعه، فقال بأعلى صوته من فوق السفينة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له. يا معشر المسلمين، ما وُلِّيَ لي أَبٌ ولا جَدٌّ ولاية قَط، وما رأى أحدٌ من سلفي هذا قط، وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام، فأجهدوا أنفسكم في طلب العلم، وتدوينه، وكابدوا عليه، واصبروا على شدته، فإنَّكم تنالون به الدنيا والآخرة».

## وصية الخليفة الفاروق لابنه

أوصى عمر t ابنه عبدالله عند الموت فقال: يا بني عليك بخصال الإيمان. فقال: وما هنَّ يا أبت؟

قال: الصوم في شدة أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردغة الخبال، فقال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر.

«ابن سعد ١/٢٦١٩».

## الأرواح جنود مجندة

قال علي رضي الله عنه: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف».

عن مجاهد رحمه الله: رأى ابن عباس رجلًا فقال: «إن هذا ليحبني، قالوا: وما علمك؟ قال: إني لأحبه، والأرواح جنود مجندة...».

قال أبوحاتم: إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء من تقلبه وسكونه: هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده، ولأن المرء على دين خليله، وطير السماء على أشكالها تقع.

وقال ابن جعفر بن سليمان الضبعي: سمعت أبي يقول: الناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط،... وكل إنسان مع شكله.

«روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ٩٩».

## فقيه على فراش الموت

دخل إبراهيم بن الجراح على القاضي أبي يوسف في مرضه الذي مات فيه، ففتح عينيه وقال: الرَّمي راكبًا أفضل أم ماشيًا؟.

قلت: ماشيًا، فقال: أخطأت. فقلت: راكبًا، قال: أخطأت، ثم قال: كل رمي بعده وقوف؛ فالرَّمي فيه ماشيًا أفضل، وما ليس فيه وقوف؛ فالرمي فيه راكبًا أفضل.

فقمت من عنده، فما انتهيت إلى باب الدار حتى سمعت الصراخ في بيته، فعجبت من حرصه على العلم في مثل تلك الحالة.

«الصبابات فيما وجد على ظهور الكتب من الكتابات ص:١٢٥»

## أوَّل مَنْ أحدث الوزارة في الإسلام

«أبوالعباس السَّفَّاح» عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، العباسي، الهاشمي، القرشي.

هو أول من أحدث منصب الوزارة في الإسلام، فاتخذ حفص بن سليمان وزيره. وكان الأمويون - في أيام دولتهم - يتخذون رجالًا من الخاصَّة يستشيرونهم في بعض شؤونهم، لكنهم لم يصطلحوا على تسمية أي واحد من هؤلاء وزيرًا بشكل رسمي.

«مروج الذَّهب للمسعودي. معجم الأوائل»

## ميتة أبي خارجة

قال الأصمعي: رأيت أعرابيًا ماسكًا بستار الكعبة، وهو يقول: اللهم أمتني ميتة أبي خارجة!

فقلت له: يرحمك الله، وكيف مات أبوخارجه؟؟

قال: أكل حتى امتلأ، وشرب حتى ارتوى، ونام في الشمس، فمات شبعان ريان.

«**الأمثال العربية**».

## حكمة بالغة

قال بعض الحكماء: من طلب أربعًا بغير أربع لم يجد:

- من طلب علمًا بغير عمل بقي بلا علم.
- ومن طلب أخًا بلا عيب بقي بلا أخ.
- ومن طلب طعاما بلا شبهة بقي بلا طعام.
- ومن طلب طاعة بغير رياء بقي بلا طاعة.

«**الصبابات فيما وجد على ظهور الكتب من الكتابات ص١٢٠**»

## صفة الجواد

روى اللخمي أن الحَجَّاج سأل ابن القرية عن صفة الجواد، فقال: نعم، أصلح الله الأمير، هو الطويل الثلاث، القصير الثلاث، الرحب الثلاث، الصافي الثلاث، فقال الحجاج: صفهنَّ وبيِّن لفظك، فقال: أما الطويل الثلاث: فالأذن، والعنق، والذراع. وأما القصير الثلاث: فالعسيب، والرسغ، والظهر، وأما الرحب الثلاث: فالجوف، والمنخر، والجبهة. وأما الصافي الثلاث: فالأديم، والعين، والحافر، وقد جمعها بعضهم بقوله:

وقد أغتدي قبل ضوء الصباح
وورد القطا في الفلاة الحثاث
بصافي الثلاث عريض الثلاث
قصير الثلاث طويل الثلاث

«**إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص:٣٤**»

## الاستشارة والسر

استشار أحد الملوك وزراءه فقال أحدهم: «ولا ينبغي للملك أن يستشير منا أحدًا إلا خاليًا به، فإنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين وإفشائه إلى ثلاثة وإفشائه إلى العامة، لأن الواحد رهن بما أفشى إليه. والثاني يطلق عنه ذلك الرهن، والثالث علاوة فيه، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يظهره رهبةً منه ورغبة إليه، وإذا كان عند اثنين دخلتْ على الملك الشبهة، واتسعت على الرجلين المعاريض، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئًا بجناية مجرم، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له عن الآخر ولا حجة معه.

«**عيون الأخبار لابن قتيبة**»

## مصاحبة الأحمق

قال المعتمر بن سليمان: سمعت أبي يقول: كان يُقال: «تنكبوا عن مجاراة الأحمق فإنكم إن جاريتموه كنتم مثله، واجتنبوا صحبته فإنها الدَّاء العضال الذي لا دواء له».

وقال الحسن البصري: «إياكم وصحبة الأحمق، فإنَّ مصادقته جالبة العداوة، وعليكم بأهل التقى والعلم فإنكم لن تعدموا منهم رشدًا».

«**عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب**»

# مسك الختام

## التخطيط الإعلامي

تمام الصباغ

علماء الأمة وفقهاؤها أصَّلوا وفصَّلوا في علم مقاصد الشريعة الإسلامية، وبينوا بكل جلاء ووضوح الغاية المثلى والهدف الأساس من ورائه، ألا وهو السعي الجاد لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل، ودرء المفاسد وصولًا إلى السعادة الدنيوية والأخروية لكل أفراد المجتمع.

ومقاصد الشريعة كما بيَّن الفقهاء لا تقتصر على جانب من جوانب الحياة دون آخر، بل تشمل مناحي الحياة كافة، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والإعلامية وغيرها، بحيث يوجد الاجتهاد المقاصدي نقلة معرفية تستطيع أن تساهم في الإقلاع الاجتماعي للفكر الإسلامي، بما يسمح لهذه الأفكار بالاستمرارية والتوالد، عبر قراءات جديدة تعكس روح العصر، وتندرج في المسار التكاملي للمعارف والعلوم الإسلامية، ولاشك أن الجانب الإعلامي مهم جدًا، لم يتنبَّه له كثيرًا علماء الشريعة الأقدمون، بقدر ما أولوا الجوانب الحياتية الأخرى من اهتمام في مقاصد الشريعة، ولكن ومع تنوع وتقدم وسائل الإعلام في أعقاب الثورة المعلوماتية، ظهرت أهمية هذا الجانب، الأمر الذي يفرض على علماء الأمة الاجتهاد والتأصيل الشرعي فيه بالتعاون والتنسيق مع رجال الإعلام المخلصين، بحيث يضعون هيكلية إعلامية سليمة، تتوافق كلية مع مقاصد الشريعة، على أن تشمل هذه الهيكلية كل فروع الإعلام، بدءًا من إيجاد الكادر الإعلامي المؤهل للدفاع عن الإسلام وأحكامه في كل أعماله الإعلامية مرورًا بإصدار الصحف والمجلات الهادفة، وإنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية والمسرحية، التي ترضي الجماهير حسب المعايير الإسلامية.

إن الإعلام الذي يقيم بناءه الهيكلي على سياسة تخالف مقاصد الشريعة- وهو ما نراه في عصرنا الحاضر- ويسعى لتزييف الحقائق جريًا وراء كسب مادي أو معنوي، إنما يُعتبر شاهد زور في ميزان الشرع، وهو من أكبر الكبائر في حق الأمة، يقول ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الاشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يقولها حتى قلت (الراوي) ليته سكت» (صحيح البخاري).

إنها دعوة مخلصة لعلماء الأمة ورجال الإعلام لتخطيط إعلامي سليم وحرٍّ وصادق يعيد للأمة ريادتها، ويسهم في استعادة دورها الإيجابي الفاعل في المسيرة الحضارية والإنسانية.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).